مَلِك مُحارِب ساحِر مُحِب

النماذج السيكولوجية
الأربعة للذكر الناضج.

روبرت موور
دوجلاس جيليت
ترجمة: محمد ذو الفقّار

عصير الكتب

عصير الكتب
للنشر و التوزيع

لمزيد من المعلومات عن عصير الكتب www.booksjuice.com

العنوان الأصلي: king_warrior_magician_lover

طبع بواسطة: HARPER COLLINS

حقوق النشر © ١٩٩٠ لـ روبرت موور ودوجلاس جيليت

Copyright ©1990 by Robert moore and douglas Gillette

الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

حقوق الترجمة © محمد ذو الفقار

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة
من دون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر

روبرت موور ودوجلاس جيليت

ملك.. محارب.. ساحر.. محب علم نفس / روبرت موور ودوجلاس جيليت ترجمة محمد ذو الفقار - القاهرة عصير الكتب للنشر والتوزيع ٢٠٢٠

٢٧٢ ص، ٢١ سم

I . S . B . N: ٢-٨٦-٩٢٢-٩٧٧-٩٧٨

رقم الإيداع: ٢٨٨٥٤/ ٢٠١٩

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٠

تنسيق داخلي: عمر جوبا

تصميم الغلاف: محمود هشام

مدير الحقوق الأجنبية: محمد صلاح فضل

المدير العام: محمد شوقي — مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
00201150636428

المراسلة: النار Email: P.bookjuice@yahoo.com

روبرت موور
دوجلاس جيليت

مَلِك مُحارِب .. سَاحِر .. مُحِب

النماذج السيكولوجية الأربعة للذكر الناضج

ترجمة
محمد ذو الفقار

مراجعة
محمد الجيزاوي

عصير الكتب

مُقدمة المُترجم

نُشِرَ هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٩٠ في الولايات المُتحدة، من قِبَل مؤلفي الكتاب «روبرت موور» و«دوجلاس جيليت»، وكلاهما باحثَين في علم النفس التحليلي التابع لمدرسة عالم النفس الشهير «كارل يونج»، كما أنهما عملا كمُستشارين نفسيين لسنوات عديدة في مجال التحليل النفسي، بالإضافة إلى كونهما باحثين في الميثولوجيا والأديان.

يُعتبر هذا الكتاب من فئة التطوير الذاتي، وقد لاقى رواجًا واسعًا بعد نشره، حتى انضم لقائمة الكُتب الأكثر مبيعًا في أمريكا بعد عدة شهور فقط من نشره.

لكن شهرة الكتاب زادت بشكل ملحوظ جدًّا بعد سنة ٢٠١٠، عندما بدأ ذكره من قِبَل العديد من المدونين ورواد مواقع التواصل الاجتماعي، ويرجع هذا الاهتمام بالكتاب وأفكاره - منذ تلك الفترة وحتى الآن - لأسباب اجتماعية وسياسية عديدة في الغرب، منها انتشار النسوية الراديكالية

التي أصبحت تُهاجم فكرة الذكورة ذاتها بغض النظر عن أفعال الذكور، بل أصبحت تُهاجم أيضًا النسوية المُعتدلة العادلة، بالإضافة أيضًا إلى مشكلة فقدان الهوية الشخصية والجنسية للشباب والشابات التي أصبحت أحد أهم المشاكل الاجتماعية في الغرب، والتي امتدت في السنوات القليلة السابقة إلى مُجتمعاتنا العربية.

وفي الحقيقة فإن سبب رواج هذا الكتاب في الغرب - ليس فقط في أوساط الشباب المُثقفين، بل أيضًا بين أوساط الشابات والنسويات المُعتدلات - هو امتياز جميع أفكاره بالاعتدال والإنصاف لكلا الجنسين، فالمؤلفون - كما سنرى لاحقًا - يعترفون بالكوارث التي سببها النظام الذكوري غير الناضج تجاه الإناث وتجاه المُجتمع ككل، كما أن الكتاب يُقدم أسسًا قوية للهوية الذكورية الناضجة، هوية بعيدة كل البعد عن الاستبداد الذكوري، لكنها بعيدة أيضًا عن تهميش دور الرجال في المُجتمع وإخصائهم نفسيًا واجتماعيًا.

ولعل أحد أهم الدوافع التي شجعتني على ترجمة هذا العمل - بعد قراءتي له عدة مرات في خلال الخمس سنوات الماضية - هو أهمية ما يقدر هذا الكتاب على منحه لنا في المُجتمعات العربية خصيصًا في الوقت الحالي؛ فلقد عانت

مُجتمعاتنا كثيرًا - وما زالت تُعاني - بسبب سيادة حكم «الصبيانية» الذي يُطلق عليه حكم «النظام الأبوي» أو «النظام الذكوري»، وكما سيوضح هذا الكتاب، فعدم النضج النفسي هو المُشكلة الأساسية خلف العديد من العوارض التي تواجهنا اليوم في العالم العربي: من تفسُّخ الأسرة، وغياب المعنى والهدف للشباب والشابات، والاستبداد السياسي والاجتماعي، والخيانة الزوجية والعنف الأسري، والمزيد من المشاكل الأخرى التي سيطرحها الكتاب ويوضح علاقتها بعدم النضوج الذكوري.

هذه المشاكل الحقيقية أدت إلى وجود حساسية رهيبة بين النساء والرجال، خصيصًا الشباب والشابات؛ فالشابات اللواتي يُحاربن النظام «الذكوري» الأبوي لديهم كل الحق في الدفاع عن حقوقهم المشروعة، في ظل المُعاناة التي تواجههن كل يوم لمجرد أنهن نساء، لكنهن لا يعرفن أن ما يُحاربنه هو في الحقيقة الوجه السلبي للذكورة، وأن الوجه الإيجابي للذكورة بعيد كل البعد عن هذا الاستبداد والاستغلال.

في المُقابل، يرى الشباب أن هذا الهجوم هو هجوم على هويتهم الذكورية بذاتها، بغض النظر عن أفعالهم، وهذا لأنهم لم يجدوا بعدُ بديلًا عن الذكورية الاستبدادية؛ مما يؤدي في

الأغلب إلى ردة فعل عدوانية تجاه هذا الهجوم على هويتهم الذكورية، وهذا ما تستغله النسويات الراديكاليات.

الرجل في العالم الحديث لا يرى أمامه سوى نقيضين: **النقيض الأول** هو الاستبداد الذكوري التي تمتاز به المُجتمعات العربية، **والنقيض الثاني** - الذي ينتشر حاليًا أكثر وأكثر في الغرب - هو تهميش دوره كذكر وإرغامه على السلبية.

وأنا من جانبي أؤمن أن هذا الكتاب يُمكنه أن يُقدِّم أرضًا ثابتة تعمل كقاعدة بناء هوية ذكورية جديدة للرجل - سواء كان عربيًا أو غربيًا -، هوية تُقدِّر وتحترم دوره كذكر، وتُشجعه وتُخرج أفضل ما فيه، دون أن تكون استبدادية واستغلالية وأنانية.

سبب آخر دفعني إلى ترجمة هذا العمل الرائع، هو عرضه العديد من الأفكار العامة والأساسية في مجالَي علم النفس التحليلي والميثولوجيا، فبالرغم من المقدار الهائل من الحكمة - النظرية والعملية - الكامنة في هذين المجالين، إلا أن المعرفة العامة بهما في العالم العربي محدودة، حتى ضمن أوساط القراء والمُثقفين.

فيما يخص علم النفس التحليلي، فالكتاب كله مبني حول فكرة النماذج الأصلية **Archetypes**، وهي أحد أهم اكتشافات

عالم النفس الشهير «كارل يونج»، ولقد قدم «موور» و«جيليت» هنا هذه الفكرة بطريقة مُبسطة لتيسير استيعابها حتى لغير المُطلعين على هذا المجال، كما أن الكتاب يستعرض فكرة اللاوعي الشخصي واللاوعي الجماعي وأهمية التواصل مع هذه المُحتويات اللاوعيية في سبيل التطوير الذاتي، كما يتم ذكر العديد من الاضطرابات النفسية الشائعة المُرتبطة بالأنماط السلوكية والفكرية المُعينة.

لذا فالكتاب يُعتبر مُقدمة جيدة إلى عالم علم النفس التحليلي الشاسع والعميق، وخصوصًا إلى عالم مدرسة «كارل يونج» أو كما تُسمى المدرسة «اليونجية».

أما فيما يخص الميثولوجيا، فالكتاب يستعرض الخلفية التاريخية والميثولوجية للنماذج السيكولوجية (الملك والمُحارب والساحر والمُحب) عن طريق ذكر بعض أشهر القصص الميثولوجية من مختلف ثقافات وأرجاء العالم، والذي سيدهش القارئ غير المُطلع على مجال الميثولوجيا هو مدى تشابه وتقارب هذه القصص مع بعضها بغض النظر عن موطنها أو زمانها، بل ومدى انتشار الأنماط الأساسية التي ترويها هذه القصص، ليس فقط في أديان العالم القديم، بل حتى في أديانا الحديثة.

من الناحية العملية، فكل هذه الأفكار الغنية من هذه المجالات المُختلفة مُوظفة هنا بامتياز لمُساعدة القارئ عمليًّا، فالكتاب في الأصل هو كتاب تطوير ذاتي وليس كتاب علم نفس بحت، كما أن الأمثلة التي يُقدمها المؤلفون عن الحالات الحقيقية لبعض عملائهم - وأحيانًا أيضًا من بعض الأفلام الحديثة - تساعد جدًّا في استيعاب الأفكار وتطبيقها، بالإضافة إلى أن الفصل الأخير مُخصص بالتحديد لعملية التطبيق العملي في حياة القارئ.

كما أن الكتاب ينتمي لفئة أُسميها «الكُتب الديناميكية»، وهي الكتب التي «تتغير» مع الوقت، مع تغير خبراتك الحياتية ومعرفتك العامة، وهذا هو السبب وراء قراءتي لهذا الكتاب عدة مرات على مدار السنين الماضية، فكل مرة كنت ألاحظ أشياءً وأفكارًا لم ألاحظها من قبل، وكل مرة أُعْجَبُ بفقرات أو جمل لم أقدرها سابقًا.

في النهاية، أتمنى للقارئ أن يحصل على نفس المُتعة والفائدة التي حصلت عليها من هذا الكتاب، فدُونَ أدنى شك يُعتبر هذا العمل من الأعمال التي غيرت حياتي تمامًا.

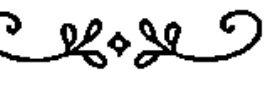

مُقدمة الكتاب

فاتحة

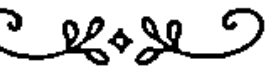

أصبح الاهتمام بالنماذج الأصيلة للملك، المُحارب، الساحر والمُحِب في ازدياد مُؤخرًا، سواء في أوساط الرجال أو حتى على مستوى الأعمال المنشورة سواءً الأدبية أو التاريخية، داخل الولايات المُتحدة وخارجها.

فمُعظم الناس يؤمنون أن هذه الأنماط النفسية كانت تُشكِّل أحجار البنية الأساسية لنفسية الذَّكَر الناضج، وبالفعل فإن البحوث في علم النفس التي تناولت إيضاح وتسمية هذه النماذج الأربعة - التي تُشكِّل بطريقة ديناميكية مُتداخلة الأساسات العميقة للبنية النفسية عند الذكور - عُرِضَت في الأصل كمجموعة من المُحاضرات في مُؤسسة «كارل يونج»[1] بشيكاغو، ومن ثم تم إصدارها كتسجيلات صوتية لاقت شعبية

(١) هو تلميذ وصديق لسيجموند فرويد، لكنه انشق عن مدرسة فرويد وأسس تيارًا مستقلاً في التحليل النفسي وصارت له مدرسة يتبعها الكثيرون من علماء النفس على مستوى العالم، له عدة كتب أشهرها «الكتاب الأحمر».

كبيرة وتركت تأثيرًا كبيرًا على أوساط الرجال، ونحن نؤمن أن نتائج الأبحاث التي لُخِّصَت في هذه المُحاضرات تُشكِّل تقدمًا علميًّا باهرًا في مجال فك رموز الأساسات العميقة للنفس البشرية، سواء الذكورية أو الأنثوية.

وكتاب «ملك مُحارِب ساحر مُحِب» هو دراسة استقصائية تهدف لاستكشاف نتائج هذه البحوث ومحاولة فهم النفسية الذكورية، وهو أول جزء من سلسلة خماسية عن السيكولوجية الذكورية على هذا النمط، وستقوم الكتب التالية في السلسلة بتوضيح الآثار الأوسع لهذا النموذج السيكولوجي العميق، وعلى الذين لديهم اهتمامات تقنية احترافية في علم النفس أو الذين لديهم الرغبة والفضول لمعرفة المزيد عن الأفكار التي وردت في الكتاب، عليهم الاطلاع على قائمة المراجع والقراءات المُختارة في نهاية الكتاب.

لكن الهدف من هذا الكتاب، هو تقديم موجز مُبسط عن هذه المواضيع للرجال، فقراءة هذا الكتاب ستُساعدك في فهم نقاط قوتك وضعفك كرجل، وستمنحك خريطة للمناطق السيكولوجية الذكورية التي سيبقى عليك مُهمة استكشافها.

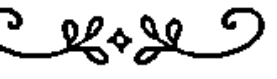

المقدمة

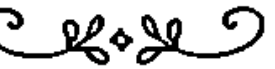

في أواخر القرن العشرين، أصبحت لدينا أزمة كبيرة ومُعقدة بشأن هوية ودور الذَّكَر، وقد بدأ الباحثون في علم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم النفس مُلاحظة أبعاد ومخاطر هذه الأزمة أو الظاهرة التي تمس كل واحد منا على المستوى الفردي كما تمس المُجتمع ككل.

لماذا أصبح هناك اضطراب هائل في سلوك الإنسان على الأقل في الولايات المُتحدة وأوروبا؟ يبدو أن إبراز أو توضيح نموذج ذكوري أو أنثوي مُحدد أمسى أكثر صعوبة وتعقيدًا.

يُمكننا أن ننظر إلى النُّظم العائلية ونرى مدى الدمار الذي طال العائلة التقليدية النموذجية، وكيف أنَّ الكثير من العائلات أصبحت مؤخرًا تُعاني من مُشكلة غياب الأب المُؤسفة، غيابًا مجازيًّا أو حرفيًّا، وما لهذا الغياب من تأثير سلبي مُدمر على نفسية الأطفال من الجنسين، فالأب الغائب أو الضعيف يُعوق

قدرة الأبناء على تحقيق هويتهم، ويعوقهم عن تكوين علاقات قوية وايجابية مع الآخرين من جنسهم أو من الجنس الآخر.

لكننا نؤمن أيضًا أنه لفهم واستيعاب أسباب انحلال الأسرة، يجب النظر للمُشكلة بصورة أعمق وعدم التسرع في إرجاع سبب هذا الانحلال لغياب الأب فقط، فبالرغم من أهمية هذه المُشكلة، هناك عاملان آخران يلعبان دورًا هامًا في هذا الانحلال والتفسخ العائلي.

أولًا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار غياب طقوس التلقين وعملية المُباشرة لإعداد الأبناء من الطفولة إلى الرجولة، ففي المُجتمعات التقليدية هناك سمات واضحة لما نُسميه نفسية الصبي ونفسية الرجل، يُمكن رؤية هذه السمات بوضوح شديد في المُجتمعات القَبَلية البدائية، فعند هذه القبائل طقوس مُصممة بعناية وحرفية لتُساعد أطفال القبيلة الذكور على الانتقال بثقة لمرحلة الرجولة.

وقد تلاشت هذه الطقوس على مر العصور ببطء حتى اختفت تمامًا، أو تحولت إلى عمليات أقل عُمقًا وتأثيرًا فأصبحت ما يُسمى بـ «طقوس المُباشرة الزائفة».

وتاريخيًا بدأ التلاشي لهذه العملية الطقسية مُنذ بداية فترة الإصلاح البروتستانتي وعصر النهضة، فكلتا الحركتان كانتا

تتشاركان الرفض والتقليل من قيمة هذه العمليات الطقسية القديمة.

وعندما يتم التقليل من أهمية وقُدسية طقس شعائري ما، لا يبقى منه سوى ما أطلق عليه فيكتور ترنر «مُجرد احتفال سطحي»، أي احتفال لا يملك القوة اللازمة لترك تأثير فعال وتحقيق تحول حقيقي في وعي الإنسان.

وبُعدنا عن هذه الشعائر الضرورية أبعدنا بالتالي عن العملية التي يُمكن من خلالها تحقيق ثقة عميقة في الهوية الجنسية للرجال والنساء.

لكن ماذا يحدث لمُجتمع تخلى عن الطقوس والعمليات التي تتشكل وتتقوى من خلالها تلك الهوية؟ في حالة الرجال، هناك العديد ممن لم يحظوا بطقس شعائري تحضيري مؤثر كافٍ لتحضيرهم للنضوج، وهو ما يؤدي إلى سيطرة «سمات نفسية الصبي» على رجال من المُفترض أنهم بالغون نفسيًا وجسديًا.

هذه السمات الطفولية أو الصبيانية موجودة في كل مكان حولنا، ومن السهل جدًا رؤية تأثيرها، أحد هذه التأثيرات هي التعامل بطريقة عدوانية واستغلالية تجاه الآخرين، أو في الجهة المُعاكسة التعامل بضعف وسلبية، مما يُعيق قُدرة كل من

الرجال والنساء على عيش حياتهم بصورة خلّاقة ومؤثرة، كما يُعيقهم عن أن يُقدروا ويُعجَبوا بهذه الفاعلية في حياة الآخرين، وغالبًا ما يحدث أن يعيش الرجال والنساء حياتهم مُذبذبين بين النقيضين، عدوانيون تارة وضعفاء تارة أخرى.

وبجانب غياب الطقوس الشعائرية المؤثرة، هناك عامل مهم آخر يُساهم في مُشكلة تلاشي هوية الذكورة الناضجة، هذا العامل أصبح واضحًا في بعض الحركات النسوية حديثًا، وهو ما يُسمى بنظام سيادة الأب Patriarchy أو «المُجتمع الذكوري»،

إن ما يُطلق عليه النظام الأبوي أو الذكوري هو المؤسسة الاجتماعية والثقافية التي حكمت العالم الغربي بل وأغلب العالم ككل، مُنذ بداية الألفية الثانية قبل الميلاد وحتى الآن، وقد رأت النسويات كيف أصبحت السيطرة الذكورية في المُجتمع مُستبدة وقامعة لروح الأنثى المُمثلة في السمات الأنثوية أو في النساء أنفسهن.

لكن في نقدهم الراديكالي - المُتشدد - لهذا النظام، استنتج بعض النسويات أن الذكورة في حد ذاتها مُستبدة

وقمعية واستغلالية، وأن روح المحبة والعطف «إيروس»[1] تأتي فقط من الجانب الأنثوي في المُعادلة الإنسانية.

وبقدر ما كانت هذه الأفكار والمواقف مُفيدة في تحرير كلٍّ من الذكر والأنثى من القوالب النمطية للنظام الأبوي، إلا أننا نؤمن أن وجهة النظر هذه تحتوي على مغالطات حقيقة، فمن وجهة نظرنا نرى أن النظام الأبوي لا يُعبر بحق عن جذور الذكورة الحقيقة العميقة، فروح الذكورة الحقيقية ليست مُستبدة وظالمة واستغلالية، أي إن النظام الأبوي الاستبدادي هو تعبير عن الذكورة غير الناضجة، تعبير عن السمات النفسية الطفولية، وأيضًا - جزئيًا - تعبير عن الجانب المُظلم والمجنون وغير المتوازن من الذكورة، هذا النظام يُعبر عن ذكورة هشة، موضوعة على أسس غير ناضجة.

إن ما يُدعى «النظام الأبوي» يُشكِّل عدوانًا على الذكورة الناضجة، كما يُشكِّل عدوانًا على الأنوثة الناضجة، فالذين يُسيطرون على هذه الأنظمة يسعون للسيطرة ليس فقط على النساء بل على الرجال أيضًا، فمن الواضح أن النظام الأبوي مبني على أُسس الخوف الطفولي من النساء، وأيضًا الخوف من الرجال، الأطفال الذكور يخافون أيضًا الرجال الحقيقيين.

---

(١) إيروس Eros هو إله الحب عند الإغريق. ويعبر في علم النفس عن روح الحب والحنان والعطف والإحسان. (المترجم)

إن الرجل السلطوي لا يسعى ولا يُرحب بالتطور الكامل لروح الذكورة الناضجة في أولاده أو رعاياه، كما لا يُرحب بالنضوج الأنثوي الكامل لبناته وموظفيه من النساء، تلك هي قصة المسئول في العمل الذي يملؤه الحقد والغيرة عندما نُعبر عن سماتنا الحميدة؛ من الجمال والنضج وقُدرة الإبداع لدينا، فكلما نُصبح أكثر جمالًا وثقة وكُفئًا كلما أَثَرْنَا عدوانية مسئولينا، أو حتى زُملائنا، وما يُهاجمنا في الحقيقة هو عدم نضج البشر الذين يرتعبون من فكرة تطورنا وتقدمنا نحو نضوج أنثوي أو ذكوري كامل ومُتكامل.

إن النظام الأبوي تعبير عما نُسميه نفسية الصبي (الطفل الولد)، وهي ليست تعبيرًا عن الجوهر الكامن للذكورة في أساسها، في شكلها الكامل، وقد وصلنا إلى هذا الاستنتاج من خلال بحثنا في الأساطير والحكايات القديمة والأحلام الحديثة، ومن خلال تأملنا في التغيير الهائل في أدوار الذَّكَر والأنثى في المُجتمع ككل، وكذلك من سنوات عملنا المهني في التحليل النفسي ؛ فقد أصبح من الواضح لنا أن هناك شيئًا ضروريًا غائبًا في الحياة الداخلية للعديد من الرجال الذين يسعون للعلاج النفسي التحليلي.

في مُعظم الأحوال، لا يكون هذا الشيء الناقص هو غياب العلاقة الكافية بالروح الأنثوية داخلهم كما يظن العديد من المُحللين النفسيين[1]، ففي الكثير من الحالات يكون لهؤلاء الرجال الذين يسعون للعون ماضٍ وحاضر يظهر فيه تأثير سلبي للأنثى في حياتهم الشخصية، بل ما ينقص مُعظم هؤلاء الرجال هو تكوين علاقة قوية بطاقاتهم الذكورية الأصيلة والعميقة، فقد منعهم هذا النظام الأبوي من تكوين هذه العلاقة والحفاظ عليها، وكذلك هاجمت بعض الأفكار النسوية المُتطرفة ما تبقى لهم من هذه الروح للذكورة الناضجة، إن هؤلاء الرجال يُعانون بسبب غياب أي عملية فعالة لتحضيرهم ونقلهم لمُستوى الذكورة الناضج.

عندما حاول هؤلاء الرجال - أثناء التحليل النفسي - تحسين علاقتهم مع أنظمتهم الذكورية الداخلية، من خلال التأمل، الصلاة، وما يدعوه اليونجيون - نسبة لأتباع كارل يونج - بـ «التخيل الفعال»، وعندما باتوا على اتصال أكثر قوة بنماذج الذكورة الأساسية بداخلهم، وجدنا أنهم أكثر استعدادًا وقابلية ورغبة في التخلص من سمات الأبوية القمعية المُستبدة، كذلك التخلص من العديد من الأفكار والمشاعر

---

(١) روبرت موور ودوجلاس جيليت هم في الأصل محللين نفسيين يونجين (متبعين لمدرسة (كارل يونج)قبل أن يتجهوا لمجال الكتابة والمحاضرو. (المترجم)

والسلوكيات السلبية الأخرى، وقد أصبحوا أكثر قوة وثقة حقيقية وتوازنًا، وأصبح سلوكهم أكثر دعمًا وإيجابية لأنفسهم وللآخرين من الرجال والنساء.

في ظل هذه الأزمة الذكورية القائمة، نحن لا نحتاج - كما تدَّعي بعض النسويات - إلى قوة ذكورية أقل، لكننا نحتاج إلى ذكورة أكثر نضجًا، نحتاج إلى سمات سيكولوجية الرجل وليس سيكولوجية الصبي، نحتاج أن نشعر بالثقة والأمان من ناحية طاقتنا الذكورية لكيلا نسعى للسيطرة على الآخرين والبطش بهم.

فهذا العدوان الذي يقوم به النظام الأبوي تجاه كل من الذَّكَر والأنثى، بالإضافة إلى ردة فعل النسويات تجاه النظام الأبوي - عندما لا تكون ردة الفعل هذه حكيمة بصورة كافية - قد تؤدي في الواقع إلى المزيد من الجروح في روح الذكورة الحقيقية.

ربما لم يأت اليوم بعدُ الذي تنهض وتسود فيه روح الذكورة الناضجة أو الأنوثة الناضجة، هذا احتمال لا يُمكن الجزم به، لكن ما نحن مُتأكدون منه أن روح الذكورة الناضجة ليست ظاهرة في الوقت الحالي.

يجب علينا أن نتعلم أن نُحِب الذَّكَر الناضج وأن نُحَبَّ منه، نحتاج أن ندعم ونحتفل بالذكورة الناضجة القوية والمؤثرة، ليس فقط من أجل جودة حياتنا الشخصية كرجال أو من أجل علاقتنا مع الآخرين، بل أيضًا لأن أزمة الذكورة الناضجة تؤثر بوضوح في الأزمة العالمية لبقاء جنسنا البشري على قيد الحياة، في ظل المخاطر العديدة القائمة.

عالمنا الحالي الخطير وغير المُستقر، يحتاج بشكلٍ عاجل إلى المزيد من الرجال الناضجين والنساء الناضجات؛ ليكون لجنسنا أمل في البقاء مستقبلًا.

ولأنه ليس لدينا في المُجتمع عملية طقسية قادرة على مُساعدتنا في التحول من نفسية الصبي إلى نفسية الرجل؛ يجب على كل واحد منا كرجال - بمُساعدة ودعم بعضنا بعضًا - أن يسلك طريقه بنفسه لتحقيق هذا الهدف، أن نصل إلى المصادر العميقة للطاقة الذكورية الموجودة بداخلنا جميعًا، يجب أن نجد الطريق إلى هذه الطاقات العظيمة، ونأمل - نحن المؤلفين - أن يساهم هذا الكتاب في إنجاز وتحقيق هذا الهدف الضروري.

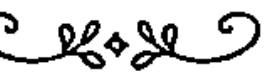

الفصل الأول

التحول من سيكولوجية الصبي إلى سيكولوجية الرجل

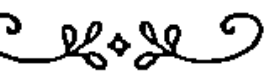

١- الأزمة في طقوس الذكورة:

أحيانًا نسمع عن رجل ما أنه «لا يستطيع جمع شتات نفسه»، بمعنى أنه ليس لديه بُنيان نفسي مُتماسك، إنه مُشتت، هناك انفصال بين كثير من مكونات شخصيته، كل مكون من هذه المكونات كأنه يعيش حياة مُستقلة وغالبًا ما تكون حياة فوضوية.

إن الرجل الذي «لا يستطيع جمع شتات نفسه» هو في الأساس رجل لم يَحْظَ بفُرصة للخضوع لعملية طقسية تُحضِّره وتؤهله للرجولة، فيظل صبيًّا (طفلًا)، ليس لأنه يريد ذلك، لكن لأن أحدًا لم يُعلمه طريقة تحويل طاقاته الطفولية إلى طاقات رجولية، لم يُرشده أحد إلى عامله الداخلي المليء بالإمكانات الذكورية.

عندما نزور كهوف أسلافنا في «كرو- ماجنون» بفرنسا، ونهبط من خلال الممرات المُظلمة إلى المحاريب القديمة ونُضيء مصابيحنا، لا يسعنا سوى الانبهار بعظمة وغموض هذه الأماكن المشحونة بالطاقة الذكورية، نشعر وكأن المكان حرك شيئًا بداخلنا، الحيوانات المرسومة على الحائط هنا (البيسون والظبي والماموث) تُشع بالجمال والقوة على الجُدران المُتموجة، تسقط ظلالها بين طيات الصخور فتبدو كأنها حية وواقعية، وبجانب هذه الحيوانات نجد بصمات أيادي الرجال، الصيادين الفنانين، المُحاربين القُدامى، حُماة القبيلة، الذين اجتمعوا هُنا ليؤدوا طقوسهم البدائية.

لقد اجتمع عُلماء الأنثروبولوجيا[1] في العالم كله على أن هذه المحاريب صُنِعَت خصيصًا من الرجال وإلى الرجال، تحديدًا لتأهيل الصبيان طقسيًّا للدخول إلى العالم الغامض للمسئولية الذكورية والروحانية الذكورية.

لكن هذه العمليات الطقسية لتحضير الصبيان للرجولة لم تقتصر فقط على أسلافنا القُدامى وحسب، ولكنها - كما أظهر العديد من الباحثين مثل ميركيا إلياد وفيكتور ترنر - ما زالت قائمة حتى يومنا هذا في الثقافات القبلية، في أفريقيا وأمريكا

(١) الأنثربولوجي هو علم يهتم بدراسة الأعراق البشرية وخصائصها.

الجنوبية وجزر جنوب المُحيط الهادئ، وفي العديد من الأماكن الأخرى، وقد بقيت هذه الطقوس حية حتى في أمريكا الشمالية، بين قبائل الهنود الحُمر المُتمسكين بثقافاتهم.

قد تبدو الدراسات التي قام بها المُختصون عن هذه الطقوس جافة ومُملَّة، لكن يُمكن رؤيتها ملونة ومليئة بالحيوية في بعض الأفلام المُعاصرة، فالأفلام في العصر الحديث يُمكن اعتبارها كالأساطير والحكايات الشعبية في العصر القديم، إنها قصص نرويها لأنفسنا عن ذواتنا، عن حياتنا ومعناها، بل إن عملية المعالجة للرجال والنساء هي أحد الأنماط المتكررة الخفية ضمن العديد من أفلامنا.

أحد الأمثلة الجيدة على هذه الأفلام يُمكن إيجاده في فيلم «The Emerald Forest»، في هذا الفيلم يظهر صبي أبيض تم أسره وتربيته من قبيلة هنود البرازيل، وفي أحد الأيام كان الصبي يلعب في النهر مع فتاة جميلة، وقد لاحظ زعيم القبيلة بفطنته أن الصبي لديه اهتمام أو إعجاب ما بالفتاة، وهذا الإعجاب الذي يُعتبر من بوادر النشاط الجنسي كان إشارة للزعيم الحكيم، فجَمعَ الزعيم بعض رجال القبيلة وزوجته

على ضفاف النهر، وفاجأ الزعيم ذلك الصبي «تومي» وهو يلعب مع الفتاة، بقوله: «تومي، لقد حان وقت موتك.» وبدا الجميع خائفين.

سألت الزوجة - وهي حنونة كجميع الأمهات -: «هل يجب عليه أن يموت؟» وأجاب الزعيم: «نعم».

المشهد التالي يدور في عتمة الليل، مع القليل من ضوء نار الحطب، ويظهر تومي وهو يُعذب من رجال القبيلة الأشداء، ومن ثم يدفعوه بالقوة إلى الغابات الكثيفة المُظلمة، وهناك يبدو وكأنه يؤكل حيًّا من قِبَل نمل الغابة الجائع والمُتوحِش الذي يُغطي جسده.

أخيرًا، تسطع الشمس ببُطء، وتومي ما زال على قيد الحياة، فيأخذه الرجال إلى النهر ليُحمموه، يُزيلون النمل العالق على جسده، ثم يقول الزعيم بصوت مرتفع:

«لقد مات الصبي ووُلِدَ الرجل.»

ومن ثم يحصل الرجل - أي الصبي سابقًا - على أول تجربة روحانية له، من خلال نبتة مُهلوسة موضوعة في غليون طويل يستنشقه من خلال أنفه، فيُهلوس وتكشف هلاوسه حيوانه

الروحي، نسر يُحلق به في العالم الجديد للوعي الفائق، فيرى - وكأنه ينظر من السماء - غايته المُقدسة بكمالها وتكاملها.

ثم يُسمح له أن يتزوج، لقد أصبح تومي رجلًا، وحينما يتحمل مسئولية وهوية الرجال، ينال مرتبة عالية ضمن شُجعان القبيلة، ومن ثم يُصبح زعيم القبيلة.

يُمكن القول: إن أحد أهم تجارب الحياة الحيوية تتمثل في مُحاولة الانتقال من مستوى وعي مُعين إلى مُستوى وعي أعلى أو أعمق، التحول من هوية مُشتتة إلى هوية أكثر نظامًا وتماسكًا، يجب أن يسعى كل إنسان لتحقيق هذا الهدف، نحن نسعى للوصول إلى حياة البلوغ والنضوج بمُتعها لنا، وحقوقنا وروحانيتنا فيها، المُجتمعات القبلية البدائية كان لديها مفاهيم واضحة بشأن البلوغ الجسدي والنفسي وكيفية الوصول إليه، سواء كان بلوغًا ذكوريًا أو أنثويًا، وكان لديهم طقوس - كما رأينا في فيلم The Emerald Forest - تُمكن الأطفال من تحقيق ما نُطلق عليه نضوجًا هادئًا مليئًا بالثقة.

أما في ثقافتنا نحن فلدينا العديد من الطقوس الزائفة، فهناك توهم بأن الإذلال وفقدان الهوية المفروض على الشبان في مجالات عديدة «سيصنع منهم رجالًا»، عصابات الشوارع

أحد أشكال هذه الطقوس الزائفة أيضًا، وكذلك أنظمة السجون، التي تُدار بشكل كبير عن طريق العصابات.

نحن نُطلق على هذه الظواهر «طقوس زائفة» لسببين: الأول أن هذه الطقوس بالرغم من أنها تكون أحيانًا غاية في التعقيد - بالأخص في وضع العصابات - إلا أنها في الأغلب تؤهل الصبي إلى نوع ذكورة مشوَّه ومُقزم وخاطئ، وهذه هي بالتحديد «الذكورة الأبوية المُستبدة»، ذكورة استغلالية للآخرين، وغالبًا حتى للنفس ذاتها، في بعض الأحيان تكون عملية «قتل طقسية» مطلوبة من الرجل الذي يُعد ليُصبح أحد أفراد العصابة، وغالبًا أيضًا ما تتضمن العملية المُخدرات، بالتالي عندما يُصبح الصبي أو المُراهق عضوًا فعالًا في هذه الأنظمة والجماعات يُحقق تطورًا سيكولوجيًّا موازيًا لنفس مستويات التطور الصبيانية غير الناضجة التي يُعبر عنها المُجتمع، لكن في هذه الحالة غالبًا ما يحتفظ الصبي بقيم تُعتبر على النقيض من قيم المُجتمع، ثقافة مُضادة متطرفة.

طقوس الإعداد الزائفة هذه لا تُنتج رجالًا، فالرجال الحقيقيون ليسوا عدوانيين تعسفيًّا، لكن النفسية الصبيانية - التي سنتعمق في تفاصيلها في الفصل الثالث - مشحونة بالرغبة في السيطرة على الآخرين بطريقة أو بأخرى، كما أنها في الأغلب

تكون مؤذية لحاملها ذاته، تمامًا كما هي مؤذية للآخرين، إنها بطريقة ما سادية ومازوخية في الوقت نفسه، أما نفسية الرجل فهي على العكس، داعمة وتعاونية مع الآخرين، ليست عدائية ومُدمرة.

ومن أجل أن يتخلص أي ذَكَر من نفسية الصبي ويُحقق نفسية الرجل، يجب أن يكون هناك موت.

الموت -رمزيًا كان أو سيكولوجيًا أو روحانيًا - هو دائمًا جزء شديد الضرورة في أي طقوس تحضيرية، بالمصطلح السيكولوجي، يجب على «أنا» (Ego) الصبي أن تموت، الحياة القديمة بكل ما فيها من أفعال وأفكار ومشاعر يجب أن تموت رمزيًا وطقسيًا لكي ينشأ الرجل، من الناحية الأخرى فالطقوس المُزيفة غالبًا ما تعمل على تضخيم «أنا» الصبي، تلك الأنا التي تسعى للسلطة والتحكم، فيُصبح الصبي مُراهقًا نابعًا لمُراهقين آخرين.

الإعداد الطقسي الحقيقي الفعال يذبح الأنا الصبيانية بكل رغباتها؛ لتُبْعَثَ علاقة جديدة مع مركز قوة غير معلوم سابقًا، الخضوع لقوة الذكورة الناضجة دائمًا ما يُنتج شخصية ذكورية جديدة تمتاز بالهدوء والعطف والحكمة والرؤية الواضحة وكذلك التولدية.

أما العامل الثاني الذي يجعل مُعظم طقوس التأهيل في ثقافتنا طقوس زائفة؛ أن هذه العملية غالبًا ما تكون غير مُحتواة، والعملية الطقسية تُحْتَوَى أو تُنَظَّم عن طريق شيئين أساسيين: الأول هو المكان المُقدس، أما الثاني فهو المرشد الحكيم، الذي يُمكن أن يكون رجلًا أو امرأة، وهذا الشخص يكون محل ثقة الجميع - بما فيهم الشاب أو الفتاة الذين سيتم تحضيرهم - ولديه القُدرات والخبرة التي تؤهله أن يُرشِد الطفل خلال العملية ويصل به - أو بها - إلى تحقيق الهدف الأسمى من العملية.

«ميركيا إلياد» قام بأبحاث عميقة عن دور «المكان المُقدس» في العملية، وقد وجد أن هذا المكان الذي يكُرَّس خصيصًا لهذه الطقوس هو مكان ذو أهمية لا غنى عنها لكل فعل تحضيري أيًّا كان نوعه، في المُجتمعات القبلية قد يكون هذا المكان - الذي تُقام فيه الطقوس - منزلًا أو خيمة أو كوخًا، قد يكون كهفًا، وأحيانًا يكون هذا المكان هو البرية بأكملها التي يُقاد إليها الصبي ليموت أو يجد رجولته، أحيانًا يكون المكان الدائرة السحرية للسحرة، أو في المُجتمعات الأكثر حداثة حُجرة مُقدسة في معبد ضخم، لكن يُشترط أن

يكون هذا المكان معزولًا عن أي تأثير خارجي - وخصوصًا في حالة الأولاد - بعيدًا عن تأثير الأمهات والإناث في العموم.

الصبيان الذين يجب تأهيلهم يوضعون حينها في المكان المُقدس ليمروا بعدة تجارب قاسية من الرعب النفسي والعاطفي، إلى الألم الجسدي الشديد، ليتعلموا أن يخضعوا لألم الحياة وأن يستسلموا للرجال الحُكماء، وأن يحترموا أساطير وتقاليد الذكورة الخاصة بالقبيلة، إنهم يُلقنون كل الحكمة السرية للرجال، ولا يُفْرَج عنهم إلا حين يُكملوا التحول الكامل المطلوب ويُبعثوا من جديد كرجال.

وهذا المكون الأساسي لعملية التأهيل والمتمثل في وجود المرشد الحكيم يوجد - على سبيل المثال - في فيلم The Emerald Forest في زعيم القبيلة ومجموعة من الرجال ذوي الأهمية في القبيلة.

المرشد الحكيم هو شخص يعلم الحكمة السرية وخباياها، يعلم طريقة حياة القبيلة ونظامها، كما يعلم جيدًا الأساطير والحكايا الخاصة بالقبيلة، إنه تعبير حقيقي وواقعي عن روح الذكورة الناضجة.

ومع تناقص عدد الرجال الناضجين في مُجتمعنا، من الواضح أن المرشد الحكيم أصبح نادرًا جدًّا، وبالتالي مع غياب هذا العنصر، فإن الإعداد الطقسي يظل مشوهًا ومُنحرفًا، فيدعم النفسية الصبيانية بدلًا من التقدم نحو النفسية الرجولية، حتى وإن كان هناك عملية إعداد أو مكان مُقدس.

إن أزمة الذكورة التي نُعاني منها واضحة أمامنا، فمع اختفاء نماذج يُقْتَدى بها من الرجال الناضجين، وغياب الدور المُجتمعي والمؤسسي في تحضير الصبيان، يُتْرَك كل رجل بمُفرده في الطريق، وبدون أدنى فكرة عن دور وأهمية جنسنا كرجال وما يجب أن نسعى ونطمح إليه، ومُعظمنا يضل الطريق أو يتوه فيه.

كل ما نعلمه أننا كذكور نشعُر بالقلق الدائم، نشعر أننا عاجزون ضعفاء مُحبَطون غير مُقدَّرين، وغالبًا ما نشعر حتى بالعار أننا رجال، كل ما نعلمه كذكور أن إبداعنا يُعْتَدَى عليه، مُبادراتنا تُقابَل بالعدوانية، يتم تجاهلنا والاستخفاف بنا، فأمسينا بدون أدنى ثقة بأنفسنا.

نرى أننا أصبحنا في عالم يحكمه قانون الغابة، نحاول جاهدين أن نُحافظ على وظيفتنا وعلاقاتنا، بدون نجاح يُذْكَر.

الكثير منا يحتاج إلى روح الدعم والتشجيع التي يُقدمها الأب بالرغم من أن مُعظمنا لم يتعرف على هذه الروح؛ الأب الذي لم يكن موجودًا في حياة مُعظمنا، ولن يكون موجودًا مهما حاولنا.

لكننا - مؤلفي هذا الكتاب - كباحثين في الميثولوجيا والأساطير، وكـ «يونجيين» - نسبة لكارل يونغ - نرى أن هناك بوادر أمل، بوادر أمل وأخبارًا سعيدة - لكل من الرجال والنساء - نُريد أن نُعلنها، وهو ما سنفعله الآن، في الجزء القادم.

٢- إمكانات الذكورة الكامنة:

مَنْ كان مُطلعًا على أفكار عالم النفس العظيم «كارل يونغ» يعلم أن لديه أسبابًا قوية ليأمل أن تلك المشاكل التي نواجهها خارجيًا في العالم كذكور - كغياب الأب، عدم نُضج الأب، عدم وجود عملية طقسية فعالة وذات معنى، وقلة المرشدين الحُكماء - يُمكن مُعالجتها، ونحن كمُختصين وأطباء نفسيين ليس لدينا الأمل فقط، بل التجربة الفعلية والخبرة العملية، ومن واقع خبرتنا نرى أنه توجد داخل كل رجل البنية الأساسية للذكورة الناضجة الإيجابية، اليونجيون يُسمون هذه الإمكانات بـ «النماذج الأصلية» (Archetypes).

يونغ وخُلفاؤه وجدوا أن في المُستوى العميق لـ «اللاوعي» لكل إنسان يوجد به ما سماه يونغ بـ «اللاوعي الجمعي»، هذا اللاوعي الجمعي مكوَّن من أنماط غريزية وطاقات مُهيئة موروثة غالبًا من التاريخ الجيني لجنسنا البشري، هذه الأنماط والنماذج تمدنا بالقواعد الأساسية لسلوكنا وأفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا كبشر، هذه النماذج هي الصور الأسطورية التي عبر عنها الفنانون والرُّسل على مر التاريخ، وقد ربطها يونغ مُباشرة بكائناتٍ أخرى.

مُعظمنا يعلم أن صغار البط - في اللحظة التالية للفقس والخروج من البيض - يتتبعون أي أحد وأي شيء يمُر أمامهم حينها، هذه الظاهرة تُسمى التطبع، وهذا يعني أن صغار البط الجُدد لديهم نظام داخلي مُحدد يربطهم بأمهم أو راعيهم، وليس عليهم أن يتعلموا مع التجربة ما هو الراعي أو ما هي الأم، أي إن نموذج الراعي يظهر فورًا حالمَا يفقس ذلك البيض.

للأسف في بعض الأحيان لا تستطيع البطة الأم أن تُلبي احتياجات صغارها دائمًا، لكن بالرغم من هذا وبالرغم من أن الراعي قد لا يكون بطة من الأساس، فإن نموذج الراعي الموجود داخل الصغار يُشكل سلوكهم.

بطريقة مُماثلة، البشر مربوطون عميقًا داخليًّا بـ «الأم» و«الأب» وبعلاقات إنسانية، وتجارب حياتية أخرى عديدة، وبالرغم من أن هذه النماذج في الحياة الواقعية قد لا ترقى لمستوى التوقعات - كما لا ترقى أحيانًا أم البط لمستوى توقعات صغارها - يظل هذا النموذج قائمًا، إنه قائم وثابت ومُشترك بيننا كلنا كبشر.

وأحيانًا نظن خطأً أن والدينا الحقيقيين هم النماذج المثالية للآباء، كما تظن صغار البط أحيانًا أن القطة هي أمهم.

عندما تكون هذه النماذج في الحياة الحقيقية مُنحرفة وسلبية كما في حالة الوالدين العدوانيين أو غير المؤهلين - تظهر في حياتنا كمشاكل نفسية عويصة ومُعيقة، لكن إن كان والدانا «جيدين كفاية» كما يقول عالم النفس «وينيكوت»، حينها نستطيع أن نختبر وأن نقترب من نماذج العلاقات الإنسانية بصورة إيجابية، لكن للأسف الكثير منا - وربما مُعظمنا - لم يحصل على تربية ونشأة جيدة كفاية.

وجود النماذج الأصلية مُثبت ومُوثق تجريبيًّا بعدد مهول من أحلام وتخيلات البشر والذين يُقدمون على العلاج النفسي، ويُمكن رؤيتها بوضوح شديد أيضًا في أنماط سلوكيات البشر.

وهذه النماذج موثقة في الدراسة العميقة للأساطير القديمة والأديان، فنجد مرارًا وتكرارًا نفس الأنماط الأساسية تظهر في الحكايات الشعبية والأساطير، وكذلك في أحلام الناس الذين لا يعرفون شيئًا عن هذه الحكايات أو الأساطير.

على سبيل المثال، قصة موت وبعث الإله أو الرسول موجودة في العديد من ميثولوجيا الثقافات المُختلفة: في المسيحية وفي الديانات الفارسية وفي السومرية وفي أساطير الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين، وكذلك في أحلام الذين يخضعون للتحليل النفسي، كل هذا يُقدم دليلًا قويًا على أن هذه الأنماط الأصلية هي التي تصيغ الحياة العقلية والنفسية للإنسان.

يبدو أن هناك أعدادًا كبيرة من هذه النماذج الأساسية، وأنها يُمكن أن تظهر بطبيعة أنثوية أو ذكورية، أي إن هناك نماذج نمطية تُشكل الأفكار والمشاعر والعلاقات للنساء، وهناك نماذج نمطية تُشكل الأفكار والمشاعر والعلاقات للرجال.

بالإضافة إلى أن يونج اكتشف أن في داخل كل رجل شخصية فرعية مؤنثة سماها «الأنيما»، وهي تُمثل كل النماذج الأنثوية،

وكذلك في داخل كل امرأة هناك شخصية فرعية مُذكَّرة سماها «الأنيموس»[1]، وهي تُمثل كل النماذج الذكورية.

كل البشر يُمكنهم بطريقة أو بأخرى أن يتواصلوا ويعبروا عن الأنماط الأساسية، ونحن نفعل هذا بالفعل عندما نتواصل مع بعضنا بعضًا.

كل هذا المجال - أي مجال النماذج الأساسية - يتم مُناقشته ومُراجعته بصورة فعالة ومُستمرة كلما تطورت معرفتنا بالدواخل العميقة للنفس البشرية، لقد بدأنا للتو أن نفهم بطريقة مُنظمة الحياة الداخلية للإنسان، هذا العالم الداخلي الذي لطالما ظهر لنا في أساطيرنا وطقوسنا وأديساننا وأحلامنا ورؤانا، فلا يزال مجال علم النفس الخاص «بالنماذج الأصلية» مولودًا جديدًا.

ونحن نُريد أن نُري الرجال كيف يُمكنهم أن يتصلوا مع هذه النماذج بصورة إيجابية ويُحرروا منها إمكانياتهم الكامنة، ليس فقط لمصلحتهم بل لمصلحة الجميع من حولهم، وربما حتى لمصلحة البشرية ككل.

---

(١) مفهوم الجزء المؤنث في لاوعي الأنثى (أي الأنيما أو الأنيموس كما سماها كارل يونج) هو مفهوم نظري معقد عن مكونات اللاوعي عند الانسان. وأول ما طرح هذا المفهوم هو كارل يونج. للاطلاع على هذا المفهوم يمكن الرجوع إلى كتاب «الانسان ورموزه» وكذلك كتاب «النماذج البنية واللاوعي الجمعي» لكارل يونج. (المترجم)

٣- السيكولوجية الصبيانية:

السياسي المُتلاعب، تاجر المخدرات، الرجل الذي يضرب زوجته، المُدير المُتسلط، الزوج الخائن، المُوظف المُنبطح دائمًا، المسئول الذي يظن أنه معصوم من الخطأ، الخريج الحديث المُتعجرف، عضو العصابة، الأب الذي لا يحضر فاعليات ابنته المدرسية بدعوى الانشغال، المُدرب الذي يُهين أفضل لاعبيه، المُحلل النفسي الذي يُهاجم لَمَعان الأفراد الذين يقصدونه ويسعى لجعلهم عاديين، الشاب المُدلل؛ كل هؤلاء لديهم شيء مُشترك: إنهم جميعًا صبيان، يتظاهرون أنهم رجال.

كلهم أصبحوا هكذا في الواقع لأنَّ أحدًا لم يُرِهم ماهية الرجل الناضج، نوع ذكورتهم هي نوع صبياني غير مُكتمل النمو، ومُعظمنا لا يُلاحظ ذلك، نحن دائمًا نُخطئ الحكم بأن سلوكيات هؤلاء الرجال التحكمية والعدائية والاستغلالية نابعة من قوتهم، بينما هم في الحقيقة يُعبرون عن هشاشتهم وحساسيتهم الشديدة، هشاشة وضعف الطفل المكسور الجريح بداخلهم.

الحقيقة المؤسفة هي أن مُعظم الرجال قد أصبحوا راكدين عند مُستوى تطور غير ناضج وطفولي، هذه التطورات المُبكرة تتحكم فيها الأنظمة المُناسبة للصبيانية، وعندما تتمكن هذه الأنظمة من التحكم في العوامل التي تؤدي للنضج، وتصبح هذه النفسية غير المتطورة أساسًا للسلوك، فعندها سنصطدم بتلك التصرفات الصبيانية من الأفراد، ودون وعي منهم أو من الآخرين.

غالبًا ما نتعامل بطريقة عاطفية مع الصبيانية في مُجتمعنا، والحقيقة أن الطفل داخل كل واحد منا عندما يكون في مكانه الصحيح ويلعب دوره المطلوب في حياتنا، يكون مصدر المُتعة والطاقة والمرح والانفتاح العقلي وروح المُغامرة، لكن هناك نوعًا آخر من الصبيانية السلبية يظل مُتحكمًا في تصرفاتنا وتعامُلاتنا مع أنفسنا والآخرين، حتى عندما يكون من اللازم التعامل بطريقة ذكورية ناضجة.

الصورة رقم ١

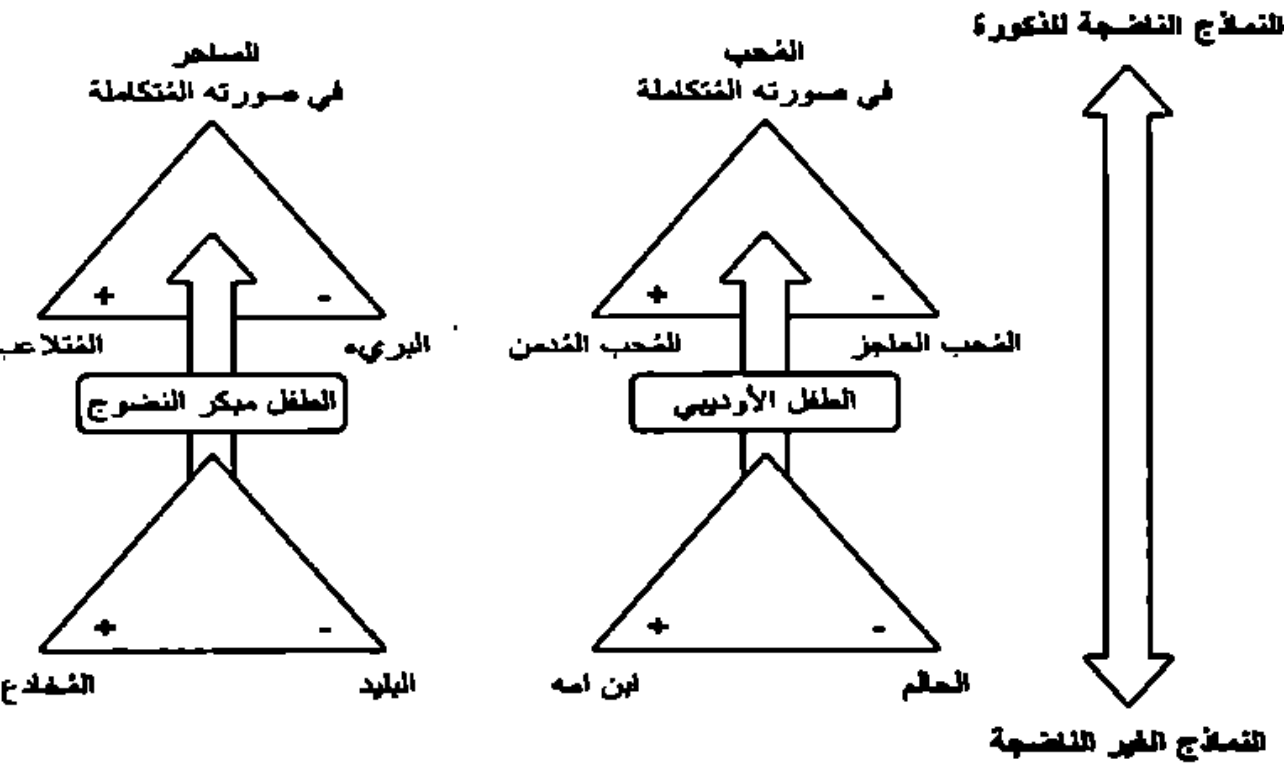

النماذج الناضجة للذكورة
النماذج الغير الناضجة
المحب
في صورته المتكاملة
المحب العاجز
المحب المدمن
الطفل الأوديبي
الحالم
ابن امه
الساحر
في صورته المتكاملة
البريء
المتلاعب
الطفل مبكر النضوج
البليد
المخادع

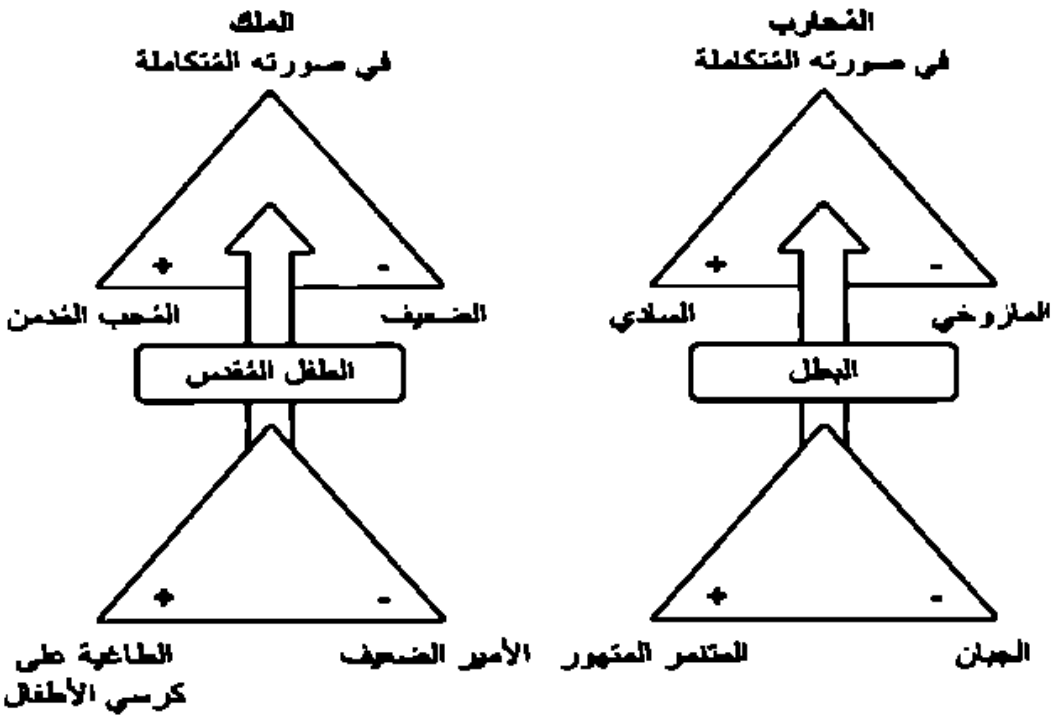
الملك
في صورته المتكاملة
+
-
الشعب المخدوم
الضعيف
الطفل المقدس
+
-
الطاغية على كرسي الأطفال
الأمور الضعيف
المحارب
في صورته المتكاملة
+
-
المازوخي
السادي
البطل
+
-
الجبان
المتذمر المتهور

بُنيان النماذج:

كل نموذج من النماذج الأصلية في نفسية الذَّكَر (النماذج الصبيانية أو الرجولية) لديه شكل ثلاثي، كما هو مُوضح في الصورة رقم ١.

في أعلى المُثلث يوجد النموذج بصورته الكاملة المُتكاملة، أما في قاعدة المُثلث، يتمثل النموذج الذي نسميه الخلل ثُنائي القطب أو الظل.

يمكن النظر إلى هذا الخلل «ثنائي القطب» في نفسية الصبي ونفسية الرجل على أنه نموذج غير ناضج أو مُختل، يُعبر عن حالة سيكولوجية مُتطرفة تعجز عن التوازن أو التماسك، وإن ضعف التوازن والتماسك في النفس البشرية يُعتبر دائمًا أحد أعراض التطور غير الكافي وغير المُكتمل، وعندما تصل شخصية الصبي أو الرجل إلى المُستوى اللازم من التطور والنضج، يتحد القطبان المُعاكسان للجانب المُظلم ويصبحان مُتجانسين ومتكاملين.

بعض الأطفال الصبيان يبدون أكثر نُضجًا من غيرهم، هذا يعني أنهم يتواصلون - بطريقة غير واعية بالتأكيد - مع نماذج الصبيانية في صورتها الكاملة أكثر من زملائهم، إن هؤلاء

الصبيان قد وصلوا إلى مُستوى من الاتحاد الداخلي والتكامل النفسي لم يصل إليه الآخرون.

كما أن بعض الأطفال والصبيان يبدون غير ناضجين حتى مع الأخذ في الحُسبان مُستوى عدم النضج الطبيعي عند الأطفال، على سبيل المِثال، من الجيد أن يشعر الصبي داخل نفسه أنه بطل، أن يمس الجانب البطولي في شخصيته، هذا الجانب المُمثل في نموذج البطل، لكن الكثير من الصبيان لا يستطيعون التواصل مع هذا النموذج بصورته الكاملة، فيقعون في فخ ظل البطل ثنائي القُطب، المُمثل في «المُتنمر» كقطب مُوجب و«الجبان» كقطب سالب.

النماذج المُختلفة تظهر وتنمو في نفسية الصبي في مراحل مُختلفة من تطوره النفسي.

عادةً ما يكون أول النماذج ظهورًا هو نموذج «الطفل المُقدس» أو الطفل المُعجزة كما يُطلَق عليه في بعض الثقافات، ثم يليه نماذج «الطفل مُبكر النضوج» و«الطفل الأوديبي»، أما اخر مرحلة في الطفولة فهي التي يظهر فيها نموذج «البطل».

لكن التطور الإنساني لا يكون ثابتًا، فلا يسير على وتيرةٍ واحدة في كل الحالات، فاختلاف الظروف قد تؤدي إلى

ظهور هذه النماذج بترتيب مُختلف أو بتأثيرات خليطة بين النماذج، لكن النماذج نفسها تُعَدُّ مُشتركة بين كل الصبيان.

من المُثير للاهتمام أن كل نموذج من نماذج النفسية الصبيانية الأربعة، يُؤدي إلى نشوء أحد نماذج الذكورة الناضجة، أي إن كل نموذج صبياني يتحول بطريقة مُعقدة إلى نموذج رجولي ناضج، فعن الطفل يتولَّد الرجل، فنلاحظ أن نموذج الطفل المُقدس عندما يُغَذَّى بتجارب الحياة ويُصْقَل بها؛ يتحول إلى نموذج الملك، ونموذج الطفل مُبكر النضوج يتحول للساحر، ونموذج الطفل الأوديبي يتحول للمُحِب، ونموذج البطل يتحول للمُحارب.

كل من هذه النماذج الصبيانية الأربعة يُمكن التعبير عنها بواسطة شكل هرمي، وهذا الهرم يُمثل بُنيان الصبي النفسي وهويته الشخصية، أي نفسه غير الناضجة، وهو صحيح بالنسبة لنماذج الذكورة الناضجة كذلك.

كما رجحنا، فإن الرجل الناضج لا يفقد عناصر الصبيانية، ولا تختفي نماذج الصبيانية من نفسيته تمامًا، فإن النماذج لا تختفي، إنما يطوِّر الرجل الناضج طاقات الذكورة الصبيانية

ويبني عليها بدلًا من أن يقضي عليها، بالتالي البُنيان الناتج عن نفس الذَّكَر الناضج يُمثل هرمًا فوق هرم (انظر الرسم ٢)، نحن نؤمن أن هذه الأهرام الأربعة هي رموز عالمية مُشتركة للنفس البشرية.

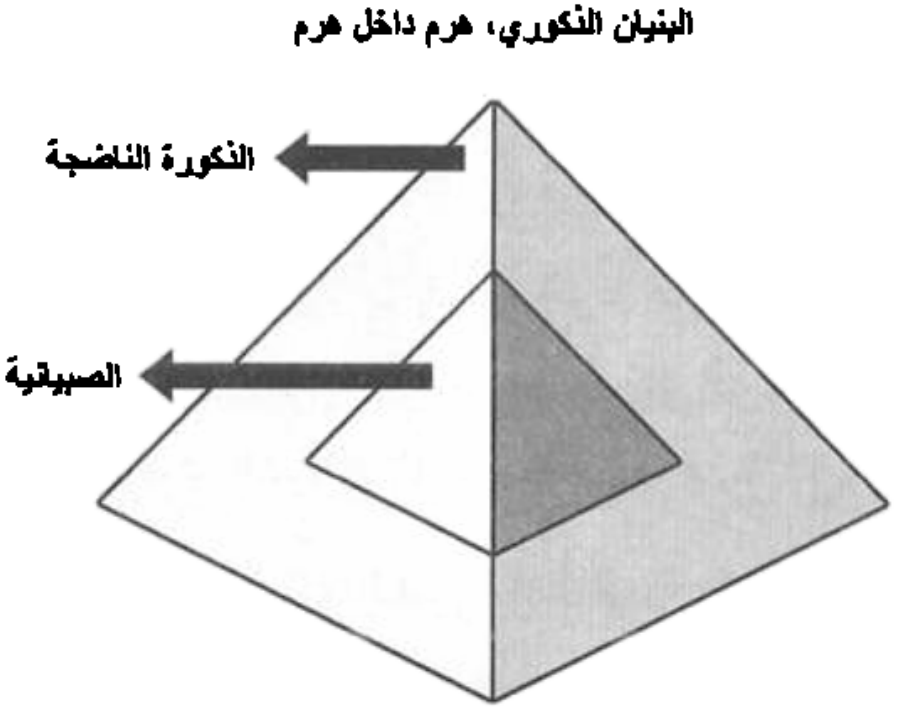

الصورة رقم ٢: البيان الهرمي للنفس الذكورية

الطفل المُقدس:

أول نموذج أصلي صبياني - وأكثرهم أساسية - هو نموذج الطفل المُقدس.

جميعنا نعرف القصة المسيحية عن ولادة الطفل يسوع، إنه مُعجزة، قادم من الأصل الإلهي المقدس، مولود من عذراء، أشياء إعجازية وأحداث مُبهرة تحدث له: النجمة، الرُعاة، الحُكماء القادمون من بلاد فارس، إنه يُعتبر مركزًا ليس للإسطبل الذي وُلِدَ فيه فقط، بل للعالم كله، حتى الحيوانات تُصلِّي له، في الصور يشعُّ الطفل يسوع نورًا بين القش الناعم الذي يُحيط به.

وبمُجرد ولادته يُطارَد من قِبَل الملك الشرير الظالم هيرودس الذي يُريد أن يقتله؛ خوفًا على عرشه، فيجب أن يتم حماية هذا الطفل المُقدس، أن يُرسَلَ إلى مصر في المأمن، بعيدًا عن قوى الشر التي تحاول القضاء عليه[1].

ما لا يُدركه مُعظم الناس هو أن قصة ولادة يسوع المسيح لها قصص مُشابهة جدًا في العديد من الأديان والثقافات حول العالم، قصص عديدة تروي قصة الطفل المُعجزة، على سبيل المِثال، في بلاد فارس قديمًا - قبل الميلاد - هناك قصة ولادة الرسول الفارسي الأهم زرادشت، الذي يقوم خلال حياته بمُعجزات عديدة تُشبه مُعجزات المسيح، ويُواجه أخطارًا مُشابهة أيضًا.

---

(١) القصة المذكورة هنا عن ولادة المسيح هي كما وردت في الكتاب المُقدس الإنجيل. تختلف بعض تفاصيل قصة الولادة قليلاً في القرآن الكريم، لكن المضمون يظل واحداً. المُترجم.

في اليهودية، هناك قصة النبي موسى، الذي وُلِدَ ليُخلص شعبه، ليُصبح الرسول العظيم الذي ينقل كلام الله إلى البشر، في أول أيام ولادة الطفل المُقدس موسى، كانت حياته مهددة بعد أمر الفرعون الظالم، الذي أمر بقتل كل المولودين الذكور، فوُضِعَ الطفل المسكين في سلة من قشر القصب، وتُرِكَ ليمضي في نهر النيل وحيدًا، هناك أيضًا قصة مُشابهة لقصة الرسول مُوسى في الأديان القديمة، قصة أقدم بكثير، قصة ولادة الطفل «سرجون»، الذي يُصبح لاحقًا الملك العظيم لبلاد ما بين النهرين.

وكذلك في كل أنحاء العالم، هناك العديد من القصص عن الطفل المُقدس أو الطفل المُعجزة، في البوذية هناك قصة الوليد بوذا، في الهندوسية هناك الطفل كريشنا، في الإغريقية هناك الطفل ديونيسوس.

وكما أن قصة الطفل المُقدس هي قصة مُشتركة بين كل أديانا، كذلك فنموذج الطفل المُقدس يوجد في داخل كل منا، يُمكن رؤية هذا في أحلام الرجال الذين يخضعون للتحليل النفسي، وخصوصًا عندما يبدأون في التحسن وتُصبح مشاكلهم أقل تعقيدًا، فهم أحيانًا يحلمون بطفل رائع، يملأ حلمهم بالبهجة والنور، ويُشعرهم بالانتعاش الحياتي، وغالبًا

بعدما يبدأ الرجل في التحسُّن عن طريق التحليل النفسي، تأتيه الرغبة والدافع - ربما لأول مرة في حياته - أن يُصبح أبًا لأطفال.

هذه الأحداث تشير إلى ولادة شيء جديد مُبدع وبريء داخل نفس الرجل، مرحلة جديدة في حياته الداخلية والخارجية، حيث تنشأ أجزاء مُبدعة في شخصيته كانت غير مُكتشفة في اللاوعي، قد بدأت الآن في الظهور، كأنه يبدأ حياة جديدة، لكن حينما يظهر لنا الطفل المُقدس الداخلي، فإنه يجد «هيرودوس» الداخلي والخارجي بالمرصاد، فالحياة الجديدة - بما فيها الحياة السيكولوجية الجديدة - دائمًا هشة وضعيفة.

لذلك عندما نشعر بهذه الطاقة الجديدة تنشأ بداخلنا، علينا أن نتحرك فورًا لحمايتها، فسوف تتم مُهاجمتها لا محالة.

أثناء التحليل قد يقول أحدهم: «أنا بالفعل أشعر أنني أتحسن»، وسريعًا يسمع صوتًا داخليًا يقول له: «لا، أنت لم تتحسن، ولن تتحسن إطلاقًا».

عندما يظهر الطفل المُقدس في نفسنا ويُهاجَم داخليًا أو خارجيًا، يحين الوقت لإرساله إلى «مصر»، إلى المأمن.

فنرى الطفل يسوع المسيح مُحاطًا بمُحبيه من الملائكة والحيوانات في مكان ولادته، معبرًا عن إعلان السلام للعالم، وكذلك نرى في القصة الإغريقية لـ «أورفيوس» الطفل المُقدس يجلس في مركز العالم عازفًا على قيثارته السحرية، ويُغني أغنية تجلب جميع حيوانات الغابة إلى حضرته، المُفترسات منها والفرائس، كلها تجتمع حول أورفيوس في تناغم ويتلاشى صراعها، أي إن كل الأضداد في العالم تتوحد، هذه القُدرة على توحيد الأضداد وجلب النظام هي إحدى القُدرات العظيمة للطفل المُقدس، وهي كذلك إحدى وظائفه عندما يتحول للملك كما سنرى لاحقًا.

لكن نمط الطفل المُقدس الذي يجلب السلام والنظام للعالم، بما فيه عالم الحيوان - والحيوانات ترمز سيكولوجيًّا إلى غرائزنا التي غالبًا ما تكون في صراع - ليس موجودًا فقط في الأديان والأساطير، فأحد الشُّبان الذين كانوا يخضعون للتحليل النفسي على أيدينا، أخبرنا ذات مرة عن حدث غريب في طفولته، عندما كان في الخامسة أو السادسة من عمره، ذهب خارجًا إلى باحة البيت الخلفية في عصر يوم ربيعي، كان يشتاق لشيء وكان حينها أصغر من أن يفهمه، لكنه بالتأمل في الموضوع لاحقًا، وجد أنه كان يحتاج السلام الداخلي والتناغم، والشعور بالاتحاد مع الكون وكل ما فيه.

وقف الطفل مُسندًا ظهره على شجرة بلوط، وبدأ يُغني أغنية من تأليفه، كانت الأغنية ساحرة بالنسبة له، غنى عن اشتياقه وحزنه وعن أعماقه، غنى أغنية حب لكل الكائنات الحية، كأنه كان يُغني تهويدة خاصة له، وسريعًا لاحظ الصبي أن العديد من العصافير تأتي إلى الشجرة، فواصل الغناء، وأتت المزيد من العصافير، عصافير تدور حول الشجرة كأنها رقصة تناغم، وأخيرًا امتلأت الشجرة بالعصافير، أصبحت حية بالعصافير.

حينها بَدَا له أن العصافير اجتُذِبَت إليه من جمال وعطف أغنيته، إن تلك العصافير رأت وأثبتت جماله، وأعطته ما يحتاجه عندما أتت لحبه، الشجرة أصبحت شجرة الحياة، وعندما تم الإثناء على طفله المُقدس الداخلي - من خلال هذه التجربة - أصبح بإمكانه المُضي قُدُمًا.

من الواضح أن نموذج الطفل المُقدس هو بُنيان داخلي مُشترك لنا كلنا، فهو يظهر في أديانا وأساطيرنا كأورفيوس والمسيح وموسى، وكذلك في أحلام الرجال، وكذلك في التجارب الحياتية للعديد من الأطفال، يبدو أننا مولودون بنموذج الطفل المُقدس بداخلنا.

يُسمى الطفل المُقدس بأسماء عديدة في مُختلف المدارس السيكولوجية، وكذلك يتم تقييمه والتعامل معه بطريقة مُختلفة في كل مدرسة منها، في العادة يتم إدانته من قِبَل مُختصي التحليل النفسي، وغالبًا ما يُحاولون فصل مرضاهم عنه، لكن من المهم من نعرف أن هذا النموذج هو موضوع بداخلنا كنمط بدائي للذكورة غير الناضجة.

فرويد - عالم النفس الشهير - تحدث أن الـ «Id»، الذي اعتبره الجزء البدائي من النفس البشرية الذي يوجد فيه الدوافع الغريزية والغاشمة واللاأخلاقية، كأن الـ Id هو التمثيل المُجرد للطبيعة ذاتها، ولا يعنيه سوى إشباع الرغبات اللانهائية للطفل.

عالم النفس «ألفريد إيدلر» تحدث عما سماه «الدافع الخفي للسُّلطة» بداخلنا، عُقدة العظمة التي تُغطي على شعورنا بهشاشتنا وضعفنا، (تذكروا أنه كما ذكرنا مُسبقًا، الطفل المُقدس هو مركز الكون العظيم، وكذلك في الوقت نفسه هو المسكين والضعيف الذي لا حول له ولا قوة، وهي بالفعل حقيقة الأطفال الرُّضَّع).

«هينز كوهوت» عالم النفس الذي طوَّر ما سماه «سيكولوجيا النفس العميقة» تحدث عن «النفس العظيمة» التي اعتبرها النفس التي تتطلب أشياءً - منا ومن الآخرين - لا

يُمكن الحصول عليها إطلاقًا، وهو ما ظهر حديثًا في إحدى نظريات علم النفس، أن الفرد الذي تُسيطر على شخصيته هذه العظمة الطفولية يُعاني من «اضطراب الشخصية النرجسية».

أما أتباع «كارل يونج» ينظرون إلى الطفل المُقدس بصورة مُختلفة، فلا يرونه من الناحية المَرَضِية أو السلبية، بل يرونه كأحد السِّمات الأساسية لـ «نواة النفس»[1]؛ (وهي مُختلفة عن الأنا)، أي إن هذا الطفل المُقدس هو مصدر الحياة لنا جميعًا، إنه يحتوي على قُدرات سحرية وطاقات هائلة، والتواصل الإيجابي معه يؤدي إلى حياة غنية ورائعة، إنه يوفر لنا الحماس للعيش والسلام والمرح، كما وفر هذه الأشياء للطفل تحت شجرة البلوط.

نحن نرى أن كل هذه التفسيرات صحيحة بصورة ما، فبعضها ينظر للنموذج من الناحية السلبية - أي ناحية الظل - وبعضها ينظر إليه من الناحية الإيجابية المُتكاملة المُوحدة، على قمة مُثلث بُنيان النموذج، نجد الطفل المُقدس الذي يُجددنا ويُبقينا شبابًا من الداخل.

أما على قاعدة المُثلث، نجد ما سميناهم «الطاغية» و«الأمير الضعيف».

---

(١) النفس - كما رأها كارل يونج - هي مركز داخلي في لاوعي الإنسان. هذا المركز يمتاز بالحكمة و الفطنة الطبيعية، و يتواصل مع الوعي (الانا) عن طريق الأحلام و التخيلات. أنظر « الإنسان و رموزه - كارل يونج». المُترجم

القطب الموجب من الجانب المُظلم للطفل المُقدس: الطاغية على كرسي الأطفال.

نموذج الطاغية الذي يجلس على كرسي الأطفال يُمكن رؤيته بصورة واضحة تمامًا في قصة «اللورد الصغير فونتلروي»، هذا اللورد الصغير يقرع بملعقته على طبقه صارخًا لأمه أن تُطعمه، أن تُقبِّله وتعتني به، كنموذج مُظلم للطفل المُقدس، هو محور الكون، والكل مُوجودون فقط للاهتمام به وتحقيق حاجاته ورغباته.

وعندما يأتي الطعام لا يرقى لمستوى الطفل الطاغي، فيتذمر أن الطعام ليس جيدًا كفاية، بارد جدًّا أو ساخن جدًّا، حلو جدًّا أو مالح جدًّا، فيبصق الطعام على الأرض أو يرمي به عرض الحائط، وعندما يُسيطر عليه العند لن يأكل مهما كان جائعًا، وإن حاولت أمه إرضاءه بعد أن خيبت آماله بهذه الصورة البشعة؛ سيصرخ ويتلوى ويرفض محاولتها؛ لأنها لم تُصِبْ في المرة الأولى وأخطأت.

الطاغي بكرسيه العالي - كرسي الأطفال - يؤذي نفسه بعظمته، يؤذي نفسه بطلباته التي لا حدود لها؛ لأنه يرفض كل شيء يحتاجه للحياة: الطعام والحب.

سِمات الطاغي تتضمن الغرور، وهو ما سماه الإغريق «هوبيروس»، أي تكبر وغرور مُفرط، إنها الطفولية بوجهها السلبي، وكذلك عدم تحمُّل المسئولية، حتى مسئولية جسده البشرية والنفسية، كل هذا يُعبر عن ما يُطلق عليه علماء النفس التضخم أو النرجسية المرضية.

يجب على الطاغي الصغير أن يعرف أنه ليس محور الكون، وأن الكون ليس موضوعًا لخدمته وتوفير احتياجاته اللانهائية، وتحمل سلوكه التكبري، صحيح أن الكون سيُساعده، لكن ليس بغروره وتكبره.

الطاغي الصغير - من خلال الجانب المُظلم للملك - يُمكن أن يستمر في بث تأثيره على الرجل البالغ، جميعنا نعرف قصة القائد الواعد المُدير المُرشح السياسي، الذي يبدأ حياته العملية في نجاح عظيم، من ثم يؤذي نفسه بنفسه، يُخرب نجاحه ويتحطم تمامًا، الإغريق كانوا يقولون: إن التكبُر دائمًا يليه السقوط، في الأساطير الإغريقية كانت الآلهة دائمًا ما تُحطم البشر الذين يُصبحون مغرورين ومُتطلبين ومُتضخمين بشكل مُفرط، «إيكاروس» على سبيل المِثال صنع أجنحة من الريش مُثبتة بالشمع؛ ليُحلق كالطيور ويكون عاليًا كالآلهة، وبسبب غروره - وبالرغم من تحذير والده - حلَّق قريبًا جدًّا

من الشمس؛ فذاب الشمع وتفكَّك الجناح، وسقط إيكاروس إلى قاع البحر.

السلطة تفسد صاحبها وهناك مقولة شهيرة تقول: «السُّلطة المُطلقة مفسدة مطلقة».

الملك لويس السادس عشر ذُبِحَ بسبب غروره، نحن الرجال غالبًا ما ننشأ في أنظمة مؤسسية هرمية، وكلما ازددنا قوة وسُلطة؛ زادت أيضًا مخاطر التدمير الذاتي.

المُدير الذي لا يُريد في شركته إلا الطائعين الخنوعين، الرئيس الذي لا يستمع لنصائح مُستشاريه ومُعارضيه، مُدير المدرسة الذي لا يحتمل انتقاد مُدرسيه، كلهم رجال ممسوسون من روح «الطاغي على الكرسي العالي»، وكلهم على طريق السقوط.

الطاغي الداخلي الذي يُسيطر على مضيفه - أي عندما تُسيطر روح الطاغي على حاملها - غالبًا ما يجعله كَمَاليًّا بشكل مُفرط، يتوقع المُستحيل من نفسه ولا يرضى بأي شيء، بل ويُهين ويُعنِّف نفسه - كما كانت تفعل أمه - عندما لا يقدر على تحقيق رغبات الرضيع المُتَطلِب بداخله، الطاغي الداخلي يستمر في الضغط على الرجل راغبًا في أداء أكثر جودة

والمزيد من العمل، وفي الوقت ذاته لا يرضى أبدًا بما يُنجزه الرجل، مهما كان هذا الإنجاز.

فيُصبح الرجل المسكين عبدًا - كما كانت أمه - لطغيان الطفل الرضيع ذي العامين بداخله.

ولأن الرجل - المُسيطَر عليه من قِبَل الطاغي الداخلي - لا يقدر على تلبية كل طلبات هذا الطاغي الداخلي اللانهائية، ولا يستطيع تحمُّل كل هذا الضغط، غالبًا ما يمرض الرجل المسكين، وأخيرًا تُصيبه أزمة قلبية، فهذه هي الطريقة التي نتعامل بها مع الطاغي الداخلي، نتمرد ضده لا شعوريًا بمرضنا.

عندما يخرج «الطاغي ذو الكرسي العالي» عن السيطرة، يظهر كأشخاص مثل «ستالين» و«هتلر» والمُختلين الآخرين الذين يتحكم فيهم جنون عظمتهم، كذلك يظهر الطاغي في صاحب الشركة الذي يُفضِّل أن يرى شركته تخسر على أن يعالج تكبره ومُتطلباته اللانهائية التي يرغب لها أن تكون بمثابة أوامر إلهية.

كلنا يُمكننا أن نكون نماذج مُصغرة من هتلر، لكننا سنُدمر وطننا بهذا.

يُقال: إن نموذج الطفل المُقدس يرغب أن ينال كل شيء دون أن يفعل أي شيء، كالرسام الذي يُريد أن يُحب ويحظى بالتقدير دون أن يُحرك إصبعًا، وكالمُدير الذي يُريد أن يجلس في مكتبه مُستمتعًا بكرسيه الجلدي وسيجاره، ويسحب مُرتبه كل شهر بينما بقية المُوظفين تحت خدمة أوامره.

الطفل المُقدس - في صورته السلبية - يعتبر نفسه الأهم في العالم والأكثر قوة، وغالبًا ما يُهين أو يُقلل من أي أحد يُحاول تحقيق أي إنجاز، إنه يجلس على عرشه العالي، غير مُدرك أن المفصلة قريبة، وتقترب أكثر كلما تمادى هو في تكبره.

القطب السالب من الجانب المُظلم للطفل المقدس: الأمير الضعيف

القُطب الآخر لظل الطفل المُقدس هو «الأمير الضعيف»، الصبي في المراحل الأولى، ولاحقًا الرجل الذي تُسيطر عليه روح الأمير الضعيف، فيصبح شخصية ضعيفة، لا يتحلى بأي حماس للحياة، ويفتقد لروح المُبادرة، إنه الطفل الذي يحتاج دائمًا أن يُدلَّل، الذي يُملي أوامره على الآخرين لكن عن طريق صمته أو إظهار مدى ضعفه وحساسيته، إنه يرى كل شيء في الوجود وكل ما يحدث مُتعبًا ومُجهِدًا، ولا يستطيع تحمُّل أبسط الضغوط.

الأمير الضعيف ليس لديه العديد من الأصدقاء، نادرًا ما يُشارك في ألعاب الأطفال الآخرين، وغالبًا لا يحقق نجاحًا في المدرسة، غالبًا ما يكون ممروقًا - أي مُصابًا بوسواس المرض أو توهم المرض - وتكون أبسط أمانيه هي أوامر لوالديه، فتُصبح الأسرة كلها ونظامها مبنيًا حول راحته.

يظهر زيف ضعف «الأمير الضعيف» في الاعتداء اللفظي الحاد على إخوته، وسُخريته العدوانية تجاههم، وكذلك أساليبه الماكرة في التلاعب بمشاعر أبويه، ولأنه أقنع والديه أنه ضحية الحياة وأن الآخرين يعتدون عليه، دائمًا ما يُعاقِب الوالدين إخوته ويعذرونه هو.

الأمير الضعيف هو المُضاد القطبي لطاغي الكرسي العالي، وبالرغم من أنه نادرًا ما يُظهر نوبات الغضب التي يقوم بها الطاغي، إلا أنه يعتلي عرشًا أصعب في المُلاحظة.

وكما هو الحال في كل الاضطرابات ثنائية القُطب، الـ «أنا» الممسوسة من قطب مُعين، تنسحب تدريجيًا أو تقفز فجأة إلى القُطب الآخر، وباستخدام التعبير الرمزي لثُنائية المغناطيس لشرح هذه الظاهرة، يُمكننا القول: إن قطبية المغناطيس تنعكس على حسب اتجاه التيار الكهربائي، وعندما يحدث هذا الانعكاس في الصبي العالق في الجانب المُظلم للطفل

المُقدس، ينتقل الصبي من الانفجارات الطُّغيانية إلى السلبية الخانعة، أو من الضعف الظاهر إلى العدوانية الشديدة.

التواصل مع الطفل المُقدس بصورة إيجابية:

للتواصل مع الطفل المُقدس بصورة إيجابية، يجب أن نُقدره لكن دون أن نتركه يُسيطر علينا.

يجب أن نُحب ونُعجَب بالجمال والإبداع اللذين يُقدمهما هذا الجزء من النفس الذكورية؛ لأننا إن لم نتواصل مع هذا النموذج الأساسي، سنفقد القُدرة على رؤية الإمكانيات الإيجابية للحياة، سنفقد القُدرة على الاستفادة من فُرص التجديد والإنعاش التي تُقدمها الحياة.

الناشط الاجتماعي، الفنان، المسئول الإداري، المُعلِم، وأي واحد في موقع يتطلب القيادة والريادة، يحتاج أن يكوِّن علاقة قوية بالروح المرحة والمُبدعة للطفل الداخلي؛ ليتمكن من التعبير عن إمكانياته الكامنة، وليقدر على مُمارسة دوره على أكمل وجه، وليتمكن كذلك من أن يُشجع ويدعم التجديد والإبداع في الآخرين من حوله.

التواصل العميق مع هذا النموذج يحمينا من الشعور بالملل واليأس، كما يُمكننا من رؤية جميع الإمكانيات البشرية من حولنا في كل مكان ومجال.

لقد ذكرنا سابقًا أن المُعالجين النفسيين غالبًا ما يُقللون من قدر العظمة بداخل عُملائهم - أي عظمة الطفل المُقدس -، وصحيح أن في بعض الحالات يتطلب الأمر من الرجل أن يفصل نفسه - عاطفيًا وعقليًا - عن الطفل المُقدس، إلا أننا لم نُقابل العديد من الرجال - على الأقل من الرجال الذين يسعون للخضوع للتحليل النفسي - الذين تُسيطر عليهم طاقتهم الإبداعية بصورة سلبية، بل على العكس، مُعظمهم يحتاجون إلى بناء علاقة إيجابية قوية مع هذه الروح الخلاقة.

نحن نُريد أن نُشجع العظمة في الرجال، نريد أن نُشجع الطموح والتطلع إلى الأعلى.

نحن نؤمن أنه لا يوجد في الواقع من يرغب أن يكون «عاديًا واعتياديًا»، ففي الغالب تعريف العادي هو المُتوسط، ولا أحد يعرف قيمة نفسه ويُريد أن يبقى مجرد «مُتوسط».

يبدو لنا أننا نعيش الآن في زمن لعنة العادي والاعتيادي، زمن يتميز بقبول المُتوسط في كل شيء، كذلك يبدو لنا أن المُعالجين النفسيين الذين يُقللون من شأن العظمة في داخل

عملائهم ومرضاهم هم أنفسهم مُنفصلون عن روح الطفل المُقدس، إنهم يحقدون بصورة ما على الجمال والانتعاش والقُدرة الخلاقة التي يمنحها الطفل لعملائهم.

كان الرومان يؤمنون أن كل إنسان يولد وبداخله «عبقريته» سواء كان رجلًا أو أنثى، وكأن هذه الروح العبقرية هي ملاك حامٍ يُلازم الإنسان منذ ولادته، وكانت أعياد ميلاد الرومان نُقام ليس للاحتفال بالشخص نفسه، لكن لتكريم وتقدير هذه العبقرية التي وُلِدَت معه.

أي إن الرومان كانوا يعلمون أن الـ «أنا» لم تكن مصدر الفن والمُوسيقى والإبداع في نفس الرجل، بل كانت هذه الروح للطفل المُقدس، وهي جزء من نفسيته.

يجب علينا دائمًا أن نسأل أنفسنا سؤالين: السؤال الأول: ليس عن إذا ما كُنا نُعبر عن روح الطاغي أو الأمير الضعيف بداخلنا، بل كيف وأين نُعبِّر عن هذه الروح بالفعل؛ لأننا جميعنا نُعبر عنها بصورة أو بأخرى، فنحن جميعنا نفعل هذا على أقل تقدير - عندما نشعر بالإرهاق الشديد أو الذُّعر.

السؤال الثاني: ليس عن إذا ما كان الطفل المُقدس كامنًا بداخلنا أم لا، بل السؤال عن إذا ما كُنا نُقدره ونحترمه أم لا،

فإن كُنا لا نشعر به في حياتنا الشخصية وفي عملنا، يجب علينا أن نسأل أنفسنا لماذا وكيف نقمعه ونمنعه، ومن ثم نُعالج هذه المُشكلة.

الطفل مُبكر النضوج:

هناك تمثال رائع للساحر والوزير المصري القديم «إمحوتب» في صغره.

يصور التمثال إمحوتب الطفل وهو جالس على عرش صغير وفي يده مخطوطة يقرؤها، ملامح وجهه تُعبر عن اللطف والاستغراق في التفكير، وكأنما يشع وجهه بنور داخلي، وضع جسده يُظهر تركيزه العالي، ثقته في نفسه وذكائه.

ذلك ليس مُجرد تمثال تصويري، إنه تعبير واضح عن نموذج «الطفل مُبكر النضوج».

نموذج الطفل مُبكر النضوج يظهر في الصبي عندما تكون لديه رغبة عارمة في التعلم ومشاركة ما تعلَّمَه مع الآخرين، وعندما يسبق عقلُه سنَّه، يُمكننا أن نرى في عين الطفل لمعة الشغف للمعرفة، وفي جسده نشعر بطاقة الاستكشاف، هذا الصبي - ولاحقًا الرجل - يُريد أن يعرف بـ «لماذا» عن كل شيء، إنه يسأل والديه دومًا عن كل شيء: «لماذا السماء

, , قاء؟» «لماذا ورق الشجر يتساقط؟» «لماذا تموت الكائنات الحية؟» ليس هذا فقط، بل يُريد كذلك معرفة كيفية وماهية الأشياء كلها.

غالبًا ما يبدأ القراءة في سنٍّ مُبكرة، ساعيًا للإجابة على أسئلته الخاصة، في الأغلب يكون ناجحًا دراسيًّا ويحب الاشتراك في نقاشات الفصلِ مع زملائه ومُدرسيه.

غالبًا ما يكون هذا الصبي موهوبًا أيضًا في أكثر من مجال أو هواية، قد يكون موهوبًا في الرسم أو التلوين، أو يُجيد اللعب براعة على أحد الآلات الموسيقية، قد يكون أيضًا بارعًا في إحدى الرياضات أو الرياضة بشكل عام.

الطفل مُبكر النضوج هو مصدر ما يُسمى بـ «مُعجزات الأطفال»، إنه مصدر فضولنا، حب استطلاعنا ورغبتنا المُغامرة، إنه يحثنا لنُصبح مُستكشفين للمجهول الغامض والغريب، إنه يجعلنا نتساءل ونتفكر بشأن العالم حولنا والعالم داخلنا.

الصبي الذي يؤثر عليه نموذج الطفل مُبكر النضوج، يريد أن يعرف ما يُزعجه ويُسعده، وكذلك ما يُزعج ويُسعِد الآخرين، يريد أن يعرف لماذا يتصرف الناس بالطريقة التي يتصرفون

بها، ولماذا يشعر هو بما يشعر به.

غالبًا ما يميل هذا الصبي للانطوائية، فهذه العُزلة تمنحه الوقت والمساحة للتفكر والتأمل، وتمنحه الفُرصة لرؤية خبايا الأشياء، يُحقق هذا الصبي الاستقلال العقلي والفكري عن المُحيطين به مُبكرًا جدًّا عن باقي الأطفال، وبالرغم من أنه انطوائي وتأملي، يتمتع أيضًا بقدرات انبساطية[1] ويستطيع بسهولة التواصل مع الآخرين لمُشاركتهم أفكاره ومواهبه، ولديه رغبة قوية في مُساعدة الآخرين بمعرفته وحكمته، وغالبًا ما يكون سندًا عاطفيًّا لأصدقائه، وكذلك مُساعدتهم في واجباتهم المدرسية.

نموذج الطفل مُبكر النضوج في الرجل يُبقي حب استطلاعه وفضوله حيًّا، ويُحفز دائمًا ذكاءه وشراهته للمعرفة؛ لذلك عندما يكبر، يقوده ليُصبح «الساحر»، وهو النموذج الناضج للطفل مُبكر النضوج.

*** القطب الموجب للجانب المُظلم للطفل مبكر النضوج: المُخادِع المُتحذلق (الذي يعرف كل شيء)**

الظل ثنائي القُطب للطفل مُبكر النضوج - كجميع ظلال

---

(١) الشخصية الانبساطية عكس الانطوائية، فهي شخصية تميل للمشاركة في المواقف الاجتماعية وتجيد صنع العلاقات وتميل للضحك والفكاهة.

نماذج الطفولة - يُمكنه أن يظل قائمًا في الرجل البالغ؛ فيؤدي إلى اضطرابات وتصرفات صبيانية للرجال في أفكارهم وسلوكهم ومشاعرهم.

«المُخادِع المُتحذلق» كما يُوضح الاسم هو نموذج الذكورة الصبياني الذي يقوم بالخدع والاحتيال في حياة الشخص نفسه وكذلك في حياة الآخرين، إنه ماهر جدًّا في التظاهر بشخصية ما وإقناع الآخرين بها، إنه يغوي الناس لتصديقه وتصديق أكاذيبه، ثم يسحب البِساط من تحتهم، إنه يُقنعنا لاتباعه إلى الفردوس، ثُم يُسقينا السم، إنه دائمًا يبحث عن المُغفل الذي سيُصدقه، هذا المُخادِع هو المُهرج (الجوكر) العملي، يستمتع باستغفالنا أمام أنفسنا وأمام الآخرين.

جانب الحذلقة في شخص المُخادع هو الجانب الذي يستمتع بإثارة قلق الآخرين، فالصبي أو الرجل الذي يقع تحت تأثير المُتحذلق لا يكف عن التفاخر بقُدراته، فهو يرفع دائمًا يده في الفصل، ليس لأنه يريد أن يُشارك في النقاش، لكن لأنه يُريد أن يُقنع زملاءه أنه أكثر ذكاءً منهم، فهو يريد أن يخدعهم ليؤمنوا أنهم لا يساوون شيئًا مُقارنة به.

المُتحذلق لا يستخدم مَكْرَه فقط ليُبالغ في قُدراته العقلية وذكائه، بل قد يدَّعي معرفة كل شيء عن أي موضوع أو نشاط،

هناك صبي من عائلة إنجليزية ثَرِيَّة أتى إلى الولايات المُتحدة في صيف ما لقضاء شهر في مُعسكر أولاد صيفي، وراح يقضي مُعظم وقته في الحديث عن رحلاته ومُغامراته في أوروبا وآسيا مع والده الدبلوماسي على الأولاد الآخرين، وعندما كان الأولاد يسألونه عن التفاصيل أو عن مدينة مُعينة، كان يقول لهم الصبي الإنجليزي: «يا لكم من حمقى أيها الأمريكان، لا تعرفون سوى حقول الذرة!» وكان يقوم باستعراض تفوقه بلهجة إنجليزية غليظة، ولا داعي لذكر أن زُملاءه الأمريكان كانوا يشعرون بالخزي والغضب.

الصبي أو الرجل الذي يقع تحت سيطرة المُتحذلق يكون لديه الكثير من الأعداء، فهو يُهاجم - لفظيًّا - الآخرين الذين يعتبرهم أقل شأنًا منه، بالتالي في المدرسة الإعدادية يُمكن رؤيته تحت مجموعة من الصبيان الغاضبين الذين يضربونه، فيخرج من هذه المُواجهات بعين سوداء مع اقتناع تام بتفوقه.

في حالة استثنائية قابلناها، كان يؤمن شاب ممسوس بحالة الـ «عالم بكل شيء» أنه هو المجيء الثاني للمسيح، والشيء الوحيد الذي كان يتعجب منه هو لماذا لا يعرفه ولا يصدقه أحد.

الرجل البالغ الذي لا يزال تحت سيطرة هذا الوجه الظليل للطفل مُبكر النضوج يرتدي تفوقه في بذلاته الرسمية، حاملًا حقيبة عمله الجلدية وظاهرًا بشخصية «أنا استثنائي ومُنشغل جدًّا فلا يُمكنني الحديث معك»، غالبًا ما يضع على وجهه ملامح التفوق وابتسامة مغرورة.

يحاول دائمًا التفوق في النقاشات - حتى الودود منها - ويحولها إلى مُحاضرات، ويُحول الجدالات إلى مُشاحنات، دائمًا يُقلل من شأن من لا يعرفون ما لا يعرفه، أو من لديهم وجهات نظر مُختلفة.

ولأن المُخادع هو المظلة التي يعمل تحتها المُتحذلق العارف بكل شيء، فهو عادة يخدع الآخرين - وربما يخدع نفسه أيضًا - بشأن عُمق معرفته أو مِقدار أهميته.

لكن المُخادع له جانب إيجابي أيضًا، فهو مُحترف في تضئيل الشخصيات المُتضخمة ووضع حد للـ «أنا» المنفوشة في أنفسنا، فيُمكنه أن يُلاحظ سريعًا ما هو الجزء المنفوخ في «أنا» الآخرين ولماذا هو مُتضخِّم، ويدرك لماذا نتصرف بعظمة مُفرِطة، ومن ثم ينقضُّ على هذا التضخم؛ ليُرجعنا لحجمنا البشري الحقيقي ويُرينا عيوبنا.

في الحقيقة كانت هذه وظيفة «مُهرج الملك» في العصور الوُسطى في أوروبا، فعندما كان الجميع في الحفلات والمُناسبات يمدح الملك، وحتى الملك نفسه يبدأ في مدح نفسه، كان المُهرج يقف في المنتصف بين جميع الحضور ويُطلِق ريحًا!

وبهذا كأنه يقول: «لا تتضخم وتتفاخر كثيرًا، كلنا في النهاية بشر بغضِّ النظر عن مركزنا.»

أعضاء العصابة الصِغار في قصة ويست سايد (West Side Story) الذين يتصرفون بطريقة حمقاء ومُخادعة لتبرير إجرامهم وأفعالهم المُدمرة أمام الشرطي المسئول عنهم، هم في الحقيقة يُظهرون الجانب المُظلم من مُجتمعهم، الجانب الذي دفعهم للقيام بهذه الأشياء.

كيف يعمل المُخادع؟ تخيل أنك تستعد لتقديم ما تعتبره أهم وأعظم مُحاضرة في حياتك، وأنك مليء بالفخر باستكشافاتك الشخصية العبقرية، فتجلس على الحاسوب لتطبع مُلاحظاتك التي كتبتها من قبل، فلا تعمل الطابعة، لقد خدعك واستغفلك مُخادِعك الداخلي.

أو أنك تستعد للذهاب لاجتماع مهم، وتُريد أن تتأخر قليلًا

عن عمد، فقط لبضع دقائق، بضع دقائق كافية لتبرهن لمن ينتظرك ما مدى أهميتك، فتذهب للسيارة مُستعدًّا للانتصار، فلا تجد مفاتيحك، إنها مُحتجزة بداخل السيارة في مكان التشغيل، التكبر يؤدي إلى الفشل، هكذا يعمل المُخادِع ضد نفسه على المدى البعيد.

والمُخادع يعمل من خلالنا ضد الآخرين أيضًا، ربما أنت المُهرج العملي، تقود الآخرين لمقالبك الخبيثة دون رحمة، حتى يأتي من يقودك لمقلب يُلقنك به درسًا، على سبيل المِثال: ربما تكون بائع سيارات وتحتال على عملائك بشأن سعر السيارة الحقيقي، ولا تعلم أن الإدارة في الوقت نفسه تحتال عليك في عمولتك.

كنا نعرف طالبًا جامعيًّا واقعًا تمامًا تحت سيطرة هذا التأثير للمُخادع، فلم يكن يكف عن فضح نقاط ضعف الآخرين وأذيتهم عن طريق طُرقه الساحرة وغير الساحرة، فكان يضحك على أخطاء أساتذته في الفصل، ويضحك عندما يتعثر لسان مُدير الجامعة، وكانت لديه أطماع سياسية، يأمل في قيادة حركة طُلابية تدعم مُتطلبات قضيته، لكنه - بسلوكه - أصبح عدوًّا للذين احتاجهم كأتباع وداعمين ومُستشارين، بالتالي فإن سلوكه المُخادع في النهاية نال منه وجعله وحيدًا ومكروهًا، وقد اكتشف بعد فوات الأوان أثناء التحليل سيطرة هذه الطاقة

السلبية عليه، وتمكن أخيرًا من التخلص من هذا التأثير عن طريق دراسة قصص الهنود الحُمر عن المُخادِع، فتمكن من التوقف عن سلوكياته التي كانت تقوده للفشل والتدمير الذاتي.

يجب علينا أن نفهم هذه الطاقة غير الناضجة جيدًا، فبالرغم من أن وظيفتها في جانبها الإيجابي هي فضح الأكاذيب، لكن عندما تُتْرَك هذه الطاقة دون أي ضوابط تتحول لجانبها السلبي وتُصبح مُدمرة لأنفسنا وللآخرين؛ لأن هذا الوجه السلبي للطاقات الذكورية غير الناضجة - الصبيانية - يتعامل بعدائية تجاه مُحاولات الآخرين الصادقة وحقوقهم وجمالهم.

المُخادِع - مثل الطاغي ذي الكرسي العالي - لا يُريد أن يفعل شيئًا بنفسه أو يبذل مجهودًا يُذكر، هو يريد أن يكون فقط، وأن يكون ما ليس لديه الحق أن يكونه، إنه بلغة سيكولوجية «عدواني سلبي» Passive Aggressive.

هذه هي الطاقة التي تسعى لتدمير الرجال العُظماء، بل والتي تستمتع بتدمير رجل ذي أهمية، لكن المُخادِع لا يطمح ليجلس مكان العظيم الذي سقط، فهو لا يُريد أن يتحمل هذه المسئولية، بل إنه لا يُريد أن يتحمل أي مسئولية على الإطلاق، إنه يريد القيام فقط بالعمل الكافي لتدمير حياة الآخرين.

المُخادِع يزرع في الصبي أو الرجل الصبياني عُقدة السلطة،

هذا الصبي أو الرجل يسعى دائمًا لإيجاد رجل ليكرهه وليُدمره، إنه يُصدق أن كل الرجال في السلطة فاسدون واستغلاليون، لكن - كالرجل الواقع تحت تأثير الأمير الضعيف - يعيش هذا الرجل دائمًا على هامش الحياة، ولا يقدر على تحمل مسئولية نفسه وأفعاله.

طاقة المُخادِع تأتي من حقده وغيرته، فكلما كان الإنسان بعيدًا عن إمكانياته ومواهبه وقُدراته، كلما حقد على الآخرين، فإن كنا نحقد كثيرًا، هذا يعني أننا نرفُض تقبُّل عظمتنا الواقعية الخاصة، نرفُض الطفل المُقدس بداخلنا، وما يجب فعله في هذه الحالة هو أن نتواصل مع ما يُميزنا، مع جمالنا، مع إبداعنا وطاقتنا الكامنة، الحقد دائمًا يكون عقبة أمام الإبداع.

أي إن المُخادِع هو النموذج الذي يُسرع ليملأ الفراغ عند الرجل أو الصبي الذي يفتقد التواصل مع «طفله المُقدس الداخلي».

المُخادِع يُصبح نشطًا بداخلنا من خلال التنشئة، فعندما يتم التقليل من شأننا من قِبَل والدينا أو أشقائنا الأكبر سنًّا، وعندما يتم استغلالنا عاطفيًّا، حينها لا نشعُر بتميزنا، فنقع تحت سيطرة المُخادِع المُتحذلق، فنحاول الهجوم على تميز الآخرين، حتى عندما يكون هذا الهجوم غير ضروري وغير مُبرر.

المُخادع ليس لديه قدوة أو أبطال يطمح أن يُصبح مثلهم؛ لأن وجود قدوة لنا يعني أننا مُعجبون بهم، أو بما يقومون به، ونحن لا نستطيع أن نُعْجَبَ بأحد إلا إن كان لدينا ثقة في أهميتنا الخاصة وطاقاتنا الكامنة.

*** القطب السالب للجانب المُظلم للطفل مبكر النضوج: البليد**

القُطب الآخر للجانب المُظلم للطفل مُبكر النضوج هو «البليد الساذج»، والصبي أو الرجل الواقع تحت تأثير هذا النموذج الظليل يفتقد للشخصية والثقة والإبداع، مثل الأمير الضعيف.

يبدو عليه أنه مُملٌّ ومَقيت، لا يستطيع تعلُّم جدول الضرب، أو حساب باقي المال أو معرفة الوقت من الساعة، دائمًا ما يقال عنه: إنه «مُتعلم بطيء» كما أنه يفتقد حس الدُعابة ولا يفهم مغزى النكات، جسديًّا، قد يبدو ضعيفًا ومتأخرًا أيضًا، يفتقد القوة الجسدية والتنسيق العضلي، فغالبًا ما يُصبح مصدرًا للسخرية عندما يكون أداؤه الرياضي مُثيرًا للشفقة.

أحيانًا يكون هذا الطفل ساذجًا أيضًا، أو على الأقل يبدو

كذلك، وغالبًا ما يكون آخر الأطفال استيعابًا لكيفية تكاثر المخلوقات الحية.

لكن بلادة البليد غالبًا ما تكون غير حقيقية، فقد يعرف ويفهم أكثر بكثير مما يُظهِر، وتصرفاته الخرقاء قد تكون قناعًا لإخفاء عظمة داخلية يشعر أنها مُهمة جدًّا أو ضعيفة جدًّا لتظهر للعيان، بالتالي قد يكون البليد مُتحذلقًا مُخادعًا خفيًّا.

الطفل الأوديبي:

جميع الطاقات الذكورية غير الناضجة مُرتبطة بشكل مُفرِط بطريقة أو بأخرى - بالأم، في نفس الوقت الذي تعجز فيه عن الارتباط العميق مع الذكر الناضج الداخلي.

بالرغم من أن الصبي الذي يُؤثر عليه نموذج الطفل الأوديبي - أي الطفل المُتعلق بالأم - يفتقد عُمق الصلة مع الذكورة الناضجة، إلا أنه يستطيع التعبير عن الجانب الإيجابي من هذا النموذج، فهو مُحِب وشغوف، لديه رغبة في المعرفة والفهم والتواصل مع مشاعره العميقة الداخلية ومع الآخرين ومع الأشياء جميعًا من حوله، فهو يمتاز بدفء المشاعر والشفقة تجاه الآخرين، كذلك يمكنه أن يختبر من خلال

علاقته بالأم - العلاقة الأولى الأساسية لنا جميعًا - بوادر ما ندعوه الروحانية، فحبه الصوفي للانسجام، وتقديره العميق لكل شيء يأتي من شوقه العميق لطاقة الأم المعطاءة لا مُتناهية الجمال.

هذه الأم ليست أمه الحقيقية، بل النموذج المثالي للأم، فأمه الحقيقية غالبًا ما ستُخيب آماله في تلبية احتياجه للحب المثالي والحنان الفياض والعطف اللامتناهي، وهذه الأم النموذجية هي أعظم تعبير عن الجمال والحب في العالم، وهو ما سماه الإغريق «إيروس»، إنها الطاقة التي يُحاول الطفل الأوديبي التواصل معها داخليًا، إنها نموذج «الإلهة» كما ظهرت في العديد من أساطير وثقافات الشعوب المُختلفة.

شاب صغير أتى إلينا للتحليل ذات مرة وكان هدفه - جزئيًا - التعامل مع مشاكله مع الأم، وقد قدم له عقله اللاواعي فكرة مُنيرة رائعة، عندما كان في مُنتصف عملية التحليل في رحلته، ذهب ليزور أمه، وقد وقعوا في جدال من جدالاتهم الاعتيادية، وعندما لم يستطع الشاب تَفهُّم وجهة نظر أمه قال: «يا إلهي، كم هي عظيمة هذه الأم!» وقد توقف الحديث بينه وبين أمه فورًا، وضحكا ضحكة يملؤها التوتر؛ لأنهما عرفا أهمية زلة لسانه تلك.

ومن هذه اللحظة، بدأ الشاب في توجيه طاقته الروحانية نحاه نموذج الأم العظيمة، التي عرف من خلال زلة لسانه انها أُمٌّ؛ أمُّه الحقيقية، فقد بدأ في فصل نموذج الأم المِثالي عن الأم الحقيقية وكذلك عن النساء جميعًا؛ مما ساعده في عدم تحميلهم العبء الثقيل وغير الواقعي لنموذج الإلهة، ومن حينها لم تتحسن علاقته مع أمه وخطيبته وحسب، بل تطورت أيضًا حياته الروحانية بشكل مُذهل، فقد تمكَّن من تحويل شوقه الداخلي للانسجام إلى كنز روحاني.

*** القطب الموجب للجانب المُظلم للطفل الأوديبي: ابنُ أمه**

ظل الطفل الأوديبي (أي الجانب المُظلم له) يتكون من «ابن أمه» أي مُدَلَّل أمه. وكذلك «الحالم».

نموذج ابن أمه كما نعرف جميعنا يُعبر عن الصبي أو حتى الرجل الذي يُلاصق أمه جسديًّا، ولكن بشكل أعمق عاطفيًّا وسيكولوجيًّا، وكأنه - الصبي - يُريد أن يتزوجها رمزيًّا، أن يستولي عليها من والده؛ لذلك إن كان الأب غائبًا، أو كان الأب ضعيفًا تُصبح عُقدة التعلق بالأم هذه أقوى، وقد يُسيطر

عليه تمامًا هذا الجانب الظليل من نموذج الطفل الأوديبي.

مصطلح «عُقدة أُوديب» ابتكره فرويد، فقد رأى في القصة الإغريقية للملك أوديب أساسًا ميثولوجيًّا لهذه الطاقة الذكورية غير الناضجة، تدور القصة على النحو التالي:

الملك لايرتيس وزوجته جوكاستا رُزِقُوا بطفل أسموه أوديب، ثم ظهرت نبوءة تقول بأن أوديب سيقتل أباه عندما يكبر، فأخذ الملك لايرتيس الطفل الصغير ووضعه على قمة جبل خارج المدينة، لكن كعادة جميع الأطفال المُقدسين، تم إنقاذ أوديب، فقد وجده راعي غنم ورباه حتى كبر.

في أحد الأيام، كان أوديب يمشي في إحدى الطُّرق في الريف، وكادت إحدى العربات أن تدهسه، فدخل في شجار مع صاحب العربة وقتله، وكان صاحب هذه العربة - دون أن يعرف أوديب - أباه الملك لايرتيس، ثم ذهب أوديب إلى مدينة طيبة، وهناك سمع أن الملكة تبحث عن زوج لها، كانت الملكة هي جوكاستا أمه دون أن يعرف، فتزوجها واعتلى عرش أبيه.

لم يُدرك أوديب الحقيقة إلا بعد سنوات عديدة، فقُضِيَ

على الملك أوديب.

المغزى السيكولوجي من هذه القصة أن أوديب تمت مُعاقبته من قِبَل الآلهة لأنه قتل أباه وتزوج أمه؛ لذا فقد عوقب بسبب تضخُّم ذاته التي حلت محل الأب.

من الناحية العملية الواقعية، فكل طفل لديه الأب والأم، ومن يتعلق كثيرًا بأمه - كأوديب - يصبح مؤذيًا لمن حوله ، بدفع ثمن ذلك غاليًا.

شيء آخر هام يحدث لـ «ابن أمه»، غالبًا ما يقع في فخ البحث الدائم عن الأم وجمالها وحنانها من أنثى إلى أخرى، فهو لا يمكن أن يَقنَعَ أبدًا بامرأة واقعية؛ لأنه يبحث عن الإلهة المثالية، وهنا نحصل على مُتلازمة «دون جوان»، فالطفل الأوديبي عندما تتضخم رغباته خارج النطاق الحقيقي، لا يتمكن من أن يلتزم بشريكة واحدة.

كما أن الصبي تحت تأثير هذا الجانب المُظلم غالبًا ما يكون مُفرِط الشهوانية الجنسية، قد يُمارس الاستمناء بصورة مُفرطة، ويقع في إدمان الأفلام الإباحية؛ لأنه يبحث عن الكمال والجمال في الصور اللامُتناهية لجسد المرأة، إنه يسعى لمُمارسة ذكورته واتباع شهواته، لكن بدلًا من

مُمارستها في حدود المعقول والواقعي، هو يُريد أن يُمارسها بصورة أسطورية، مع كل النساء الجميلات، أو مع نموذج الأنثى ذاتها.

لذا فالعالق في إدمان الأفلام الإباحية والاستمناء، ابن أمه، مثل جميع النماذج غير الناضجة للذكورة، هو لا يريد أن يفعل شيئًا، لا يُريد أن يبذل المجهود الحقيقي المطلوب للحصول على امرأة حقيقية، ولا يتقبل التعامل مع المشاكل والتعقيدات العاطفية الموجودة في علاقة حميمية حقيقية، إنه لا يرغب في تحمل المسئولية.

* القطب السالب للجانب المُظلم للطفل الأوديبي: الحالم

القطب الآخر للجانب المُظلم للطفل الأوديبي هو «الحالم»، والحالم يأخذ دوافع الروحانية للطفل الأوديبي إلى أقصى الحدود، وفي حين أن «ابن أمه» يُظهر سِمات سلبية شخصية، لكن على الأقل هو يسعى بفاعلية للبحث عن الأم، أما «الحالم» فإنه يدفع الصبي إلى أن يُصبح معزولًا تمامًا عن جميع العلاقات الإنسانية؛ لأن الحالم يعتبر جميع العلاقات

الإنسانية بعيدة المنال في الواقع، لكنها موجودة داخل خياله، بالتالي، عندما يكون الأطفال الآخرون يلعبون، يجلس هو على مقعد أو صخرة، ليمارس أحلامه الخاصة.

الحالم لا يُحقق الكثير من النجاحات، ودائمًا تبدو عليه اثار الانعزال والاكتئاب، أحلامه تكون إما حزينة وميلانكولية أو مثالية وفردوسية.

الحالم - كجميع الأقطاب الظليلة السابقة - يمتاز بعدم الصدق، لكن عدم صدقه غالبًا ما يكون بصورة غير واعية، فانعزاله وأحلام يقظته قد تنمُّ عن سمات القُطب الآخر للطفل الأوديبي، ابن أمه.

في الواقع إن ما يُعبر عنه هذا الطفل - بطريقة غير مُباشرة - هو فشله في الحصول على هِبات الأم، عظمته التي تبحث عن تملُّك الأم مخفية خلف اكتئابه.

البطل:

هناك الكثير من الالتباس القائم حول نموذج «البطل»، في العادة يظن الناس أن اتخاذ موقف بطولي تجاه قضية مُعينة، أو تجاه الحياة في العموم، هي الطريقة الأكثر نُبلًا، لكن هذا الظن

صحيح بشكل جزئي فقط.

البطل في الحقيقة هو مُجرد صورة مُتقدمة للنفسية الصبيانية، إنه النموذج الأكثر تطورًا والذي يُعبر عن قمة التطور السيكولوجي للطاقة الذكورية للصبي، هو النموذج الذي يظهر بشدة في مرحلة المُراهقة، لكنه في النهاية نموذج غير مكتمل النضوج، وعندما يتم الاحتفاظ به في الرجل البالغ يمنعه من الوصول للنضوج الذكوري الكامل.

عندما نرى الوجه الظليل للبطل المُتنمِّر البلطجي، يُصبح هذا الجانب السلبي لهذا النموذج أكثر وضوحًا.

*** القطب الموجب للجانب المُظلم للبطل: المُتَنمِّر المتهور**

الصبي أو الرجل الذي يقع تحت تأثير نموذج المُتنمِّر يسعى لنيل إعجاب الآخرين، فمُعظم سلوكياته تُعبر عن استعراض تفوقه وحقه في السيطرة على مَنْ حوله، إنه يرى أن مركزيته على الساحة هي حقه الطبيعي، وعندما يتم تحدي مركزه الخاص، يُمكن رؤية الهجوم الغاضب الذي يقوم به، إنه يُهاجم لفظيًّا وجسديًّا كل من تسول له نفسه أن يشك أنه

مُنعالٍ، هذا الهجوم على الآخرين وظيفته بالتحديد هي إخفاء حُبنه وانعدام شعوره بالأمان وضعف ثقته بنفسه.

الرجل البالغ الذي لا يزال تحت تأثير هذا الجانب السلبي من نموذج البطل، دائمًا ما يكون غير متعاون ولا يُشارك في النشاطات الجماعية، إنه مندوب المبيعات، مُضارب البورصة، الثوري الحانق، إنه الجُندي الذي يقوم بمُخاطرات لا داعي لها في المعركة، وإن كان القائد فهو يتطلب ذلك أيضًا من رجاله، على سبيل المثال العديد من القصص عن حرب فيتنام كانت تحكي عن الضباط البطوليين، الشباب الطامحين المرقية الذين كانوا في الغالب يأمرون رجالهم الجنود بأن يُخاطروا بحياتهم بصورة غير ضرورية لإثبات شجاعتهم، والكثير من هؤلاء الضباط قُتِلُوا نتيجة تهورهم البطولي.

نرى مثالًا لذلك في الدور الذي لعبه المُمثل «توم كروز» في فيلم «Top Gun»، لقد كان طيارًا مُحاربًا شابًا شُجاعًا يملؤه الحماس ولا يستمع لأحد، لقد كان شابًا يحاول إثبات شيء ما، إنه المُتهور الذي يقوم بمُخاطرات لا داعي لها بطائرته، ولقد كانت ردة فعل الجميع من حوله هي الرفض والاشمئزاز، حتى صديقه المُقرب الذي يُحبه، اضطر أن يُصارحه في النهاية بشأن خطورة ما يفعله على نفسه وعلى فريقه.

الفيلم في الحقيقة يحكي عن تحول صبي لرجل، فبعد أن ساهم البطل عن طريق الخطأ في موت أحد مُساعديه في إحدى المُناورات الخطرة، وعانى من الألم النفسي جراء ذلك، وبعد أن خسر السباق على المركز الأعلى للرجل الأكثر نُضجًا «Iceman»، حينها فقط بدأ التحول من المُراهقة والتهور الصبياني إلى النضوج الرجولي.

الفرق بين نموذج البطل الصبياني ونموذج المُحارِب الناضج هو الفرق بين شخصية كروز في الفيلم وبين Iceman.

الرجل الذي تُسيطر عليه قوة المُتَنمِّر المُتهور يُبالغ في تقدير أهميته وإمكانياته، أحد المسئولين الكبار في إحدى الشركات أخبرنا ذات مرة أنه عندما يُقابل شبانًا أبطالًا في شركته، دائمًا ما يقول لهم من وقت لآخر: «أنتم جيدون أيها الشُّبان، لكنكم لستم بالمُستوى الذي تظنون أنكم عليه، ربما ستصلون لهذا المُستوى فعلًا يومًا ما، لكنكم لم تصلوا إليه بعدُ.»

يبدأ البطل في الظن أنه منيع وخالد، أن الحلم المُستحيل ليس مُستحيلًا له، يظن أنه يُمكنه أن يقضي على العدو الجبار الذي لا يُقهَر، لكن عندما يكون الحلم بالفعل مُستحيلًا، والعدو فعلًا لا يُقْهَر، يُصبح حينها البطل في ورطة.

إننا نرى بالفعل أن البطل الواقع تحت هذا الجانب الظليل للمُتنمر المُتهور - الذي يظن أنه لا يُقهر - يُسبب لنفسه المتاعب ويُوقِع نفسه دائمًا في المخاطر، وفي النهاية يقضي على نفسه أو على الأقل يُسبب لنفسه أضرارًا جسيمة.

الجنرال البطل جورج باتون - أحد قادة جيوش القوات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية - بالرغم من أنه كان مُبدعًا وشجاعًا ومصدر إلهام لجنوده، إلا أنه آذى نفسه بمُخاطراته الدائمة، وبتحديه الطفولي للجنرال البريطاني مونتجومري، وكذلك بخطاباته الحماسية الصبيانية، فبدلًا من أن يتم اختياره لمُهمة تليق بموهبته وإمكانياته - لقيادة الجيش في الحرب على ألمانيا على سبيل المثال - تم تجنيبه، تحديدًا لأنه بطل وليس مُحارِبًا مُكتمل النضوج.

وكما هو الحال مع بقية نماذج الصبيانية غير الناضجة، يكون البطل مُرتبطًا بأمه ارتباطًا مُفرِطًا، لكن البطل لديه رغبة قوية في التخلص من هذا الارتباط؛ لذا يظل البطل عالقًا في معركة ضد الأنثى، مُحاولًا هزيمتها وفرض ذكورته.

في قصص القرون الوسطى عن الأبطال والوحوش، دائمًا ما نعرف مجرى الأحداث حتى يذبح البطل التنين ويتزوج

الأميرة الجميلة، لكننا لا نعرف ماذا يحدث بعد هذا الزواج، هذا لأن البطل - كنموذج - لا يعرف كيف يتعامل مع الأميرة - أو الأنثى - حينما يفوز بها، لا يعلم ماذا يفعل عندما تعود الأمور لطبيعتها.

تكمن نُقطة ضعف البطل في أنه لا يعرف ما هي حدود قُدراته وكيف يعترف بها، فالصبي أو الولد الواقع في الجانب الظليل للبطل لا يستطيع تقبُّل فكرة أنه كائن فانٍ، فإنكار الموت - الذي لا مفر منه لأي كائن حي - هو تخصصه.

في هذه النُقطة يُمكننا التمعُّن للحظة في الطبيعة البطولية للثقافة الغربية، فهدفها الرئيس كما يبدو هو «التحكم في الطبيعة» لاستخدامها واستغلالها، وقد أصبحت مشاكل التلوث والكوارث البيئية عقوبة واضحة على هذا المشروع غير الناضج، حتى أساس الطب الحديث مبني على أن المرض بل والموت يُمكن تفاديهما، نظرتنا الحديثة للعالم والحياة تفتقد بشدة الاعتراف بحدود القُدرات البشرية ونقاط ضعفها، وعندما لا نواجه حدودنا الحقيقية نتضخم، وسندفع ثمن هذا التضخم عاجلًا أم آجلًا.

مجددًا، نرى من موقعنا أن الأخصائيين النفسيين وكذلك الأقارب والأصدقاء والزملاء في العمل والذين هم في مناصب

السُّلطة؛ جميعهم يُهاجمون - بوعي أو دون وعي - لمعان البطل في الرجال.

عصرنا ليس العصر الذي يُريد أبطالًا، عصرنا عصر الحقد، الذي يسود فيه الكسل والأنانية.

وكل من يُحاول أن يلمع أو يجرؤ على أن يتميز عن العامة، يُجرُّ للأسفل من قِبَل زُملائه الباهتين المعدومين.

نحن نحتاج لبعث البطولة مُجددًا في عالمنا اليوم، فكل جزء من المُجتمع البشري - أيًّا كان مكانه على الكوكب - يبدو أنه يُجَرُّ لحافة الفوضى في اللاوعي، وفقط قوة البطل اللامعة الواعية هي التي تقدر على منع هذه الكارثة، لن يُنقذ هذا العالم سوى ولادة جديدة للشجاعة في نفس الرجال والنساء، فالبطل بالرغم من الخطر الذي يُحيط به، وبالرغم من فُرصه التي تكاد تكون معدومة، هو الذي يسحب سيفه ويقفز للمجهول لداخل فم التنين، لداخل قصر الشر.

ما هي نهاية البطل؟ عالميًّا في جميع القصص والأساطير تكون نهايته الموت، ثم الصعود للجنة والتحول لإله.

موت البطل هو موت الطفولة، موت السيكولوجية الصبيانية، وهو كذلك ولادة الرجل والسيكولوجية الرجولية،

فموت البطل في حياة الصبي أو الرجل يعني في الحقيقة أنه واجه محدوديته أخيرًا، لقد واجه العدو، والعدو هو نفسه، واجه جانبه المُظلم، جانبه غير البطولي على الإطلاق، أي إنه حارب التنين وحُرِق بناره، خاض الثورة وشرب مُرَّ عدم إنسانيته الخاصة، لقد تغلَّب على الأم ثم اكتشف عدم قُدرته على حُب الأميرة.

موت البطل يُشير إلى أن الصبي أو الرجل قد عرف التواضع الحقيقي، وهذا يعني نهاية وعيه البطولي.

نحن نؤمن أن التواضع الحقيقي يتشكل من عاملين: الأول هو معرفة حدود قُدراتنا، والثاني هو تقبُّل المُساعدة عندما نحتاجها.

إن كنا واقعين في الجانب «المُظلم الموجب للبطل»: المتهور - كما كانت شخصية توم كروز - سنكون تحت سيطرة المشاعر المُتضخمة المُتعالية والتصرفات المُتهورة للمُتهور المُتنمر، سندوس على الآخرين بعدم مُبالاتنا وغرورنا، وفي النهاية سنُدمر أنفسنا، وسنُنْبَذ من الآخرين.

وإن كنا واقعين في الجانب «المُظلم السلبي للبطل»: الجبان، سنفتقد العزيمة والحافز لتحقيق أي شيء ذي قيمة في الحياة.

لكن إن كنا على تواصل إيجابي مع الطاقة القوية للبطل؛ سندفع أنفسنا خارج حدودنا، ستتمكن من تخطي ما يُمكننا الوصول إليه كصبيان، ومن هنا، إذا قدرنا على التحول؛ سنكون جاهزين للمُباشرة إلى البلوغ، إلى الرجولة الناضجة.

* القطب السالب للجانب المُظلم للبطل: الجبان

الصبي المُسيطَر عليه من قِبَل نموذج الجبان - الذي هو القُطب الآخر للجانب المُظلم للبطل - يفتقد القُدرة على الدفاع عن نفسه في المواجهات الجسدية، قد يهرب أو يتهرب من شجار ما، ويعذر نفسه بدافع أن تفادي الشجار «أكثر رجولة»، لكنه سيشعر بالعار سريًّا بالرغم من مُبرراته.

ولن يتجنب الجبان الشجار الجسدي فقط، بل إنه في الأغلب يميل للسماح للآخرين باستغلاله والتنمُّر عليه عاطفيًّا وفكريًّا أيضًا.

عندما يضغط أحد ما على الجبان - الذي لا يرى البطل في نفسه - أو يواجهه بصلابة، غالبًا ما سينهار الصبي، إنه خاضع لأي ضغط عليه من الآخرين، سيشعر أنه مُحتل ومُهان كممسحة الأرجل، لكن عندما يكتفي من هذا الاعتداء، سيظهر الجانب الخفي لظله الآخر، المُتنمر المُتهور، وسيثور المُتنمر

بداخله ويشن هجومًا لفظيًا أو جسديًا حادًا على «عدوه»، هجوم سيُباغت الآخر في الأغلب.

بعد أن ناقشنا سمات وصفات الجانب الظليل من نموذج البطل المُتهور والجبان؛ يجب علينا أن نسأل أنفسنا سؤالًا مهمًا: لماذا يوجد نموذج البطل في تركيبتنا النفسية من الأساس؟ لماذا يُشكل البطل جزءًا مهمًا من تطورنا الشخصي كرجال؟ ما الأهمية التطورية التي يُقدمها هذا النموذج؟

ما يفعله نموذج البطل هو أنه يُحرر الهياكل الناعمة والحساسة للأنا عند الطفل؛ ليُمكنه من تخطي ارتباطه بأمه في أواخر مرحلة الطفولة، ليُجهزه لمواجهة الأخطار والمهمات الصعبة التي ستكون من نصيبه في الحياة، وكأن البطل يبدأ في تحرير الطاقات الذكورية للصبي من مخزنها، تلك الطاقات التي ستستقل عندما ينضج؛ مما يُمكنه من تحقيق استقلاله وإثبات كفاءته.

يمكن للبطل الصبي من أن يختبر ويُجرب إمكانياته اليافعة وقُدرته على تخطي الحدود ويُجرب نفسه في ظروف الحياة القاسية بل والعدائية.

يُمكِن للبطل الصبي من أن يبدأ في إثبات نفسه وأن يُميز

وجوده عن الآخرين، ليتمكن في النهاية من التواصل مع الآخرين بصورة ناضجة.

يقوم البطل برمي الصبي أمام محدوديته، أمام ما يبدو جبارًا، أمام المُستحيل، ليُشجعه ليحلم الحلم المُستحيل الذي قد يكون في نهاية المطاف مُمكنًا وليس مُستحيلًا، إنه نحلي الصبي بالشجاعة والعزيمة.

فالبطل يدعم الصبي ليواجه الوحش الذي لا يُقْهَر، والذي قد يقدر الصبي بالفعل على هزيمته.

٤- السيكولوجية الرجولية:

من الصعب جدًّا للإنسان أن يُحقق إمكانياته الكامنة كاملة، فالصراع مع الجزء الطفولي بداخلنا يخلق دافعًا مُعاكِسًا، يدفعنا بعيدًا عن تحقيق كل إمكانياتنا الكاملة، لكن بالرغم من ذلك علينا أن نُقاوم هذا الدفع بكل ما أُوتينا من قوة، وأن نبني أهرام الصبيانية أولًا ثم أهرام الرجولة الناضجة، فتلك الأهرام نُشكِّل الهيكل الأساسي لذاتنا الذكورية.

شعب المايا القديم نادرًا ما كانوا يُحطمون الهياكل والمباني القديمة من ماضي مُدنهم، ومثلهم يجب علينا ألا نمحو أهرام

الصبيانية؛ لأن هذه الأهرام كانت وستظل المُولدات للطاقة من مخازننا البدائية، بالتالي يجب علينا أن نبني بأحجار صلبة فوق هذه الأساسات، أن نبني قالبًا فوق قالب تجاه تحقيق النُّضج الذكوري، حتى نستطيع أخيرًا أن نقف على قمة منصتنا العالية، ناظرين إلى ما بنيناه كأننا ملوك الجهات الأربعة.

هناك عدد من الطُّرق التي يُمكن أن نستخدمها في مشروع البناء هذا، مثل تحليل الأحلام وملاحظة تغييرها، التخيل الفعال[1] (الذي من خلاله تتمكن الأنا من التحاور مع نماذج الطاقة بداخلنا ليقدر على الانفصال عنهم أو التواصل معهم)، كذلك عن طريق الأساليب المُختلفة للتحليل النفسي، التأمل في الجوانب الإيجابية لهذه النماذج الأساسية، الإرشاد الحياتي والنفسي من قِبَل الحكماء، الطُرق المُختلفة للمذاهب الروحانية، بالإضافة إلى طُرق أخرى، وكل هذه الطُرق والأساليب مُهمة في العملية الصعبة لتحويل الصبيان إلى رجال.

الأربعة نماذج الأساسية للطاقة الذكورية الناضجة التي حددناهم هي: المَلِك، المُحارِب، الساحِر، المُحِب.

---

(١) أسلوب التخيل الفعال هو أسلوب ابتكره كارل يونج للتواصل مع مُحتويات الاوعي عن طريق التخيل، الكتابة، الرسم أو التحاور. و في الفصل الأخير من هذا الكتاب سيتم تقديم طريقة إستخدام هذا الاسلوب في التواصل مع النماذج السيكولوجية الداخلية. المُترجم.

وجميع هذه النماذج تتداخل، وفي الوضع المِثالي يُثري بعضها البعض، فالمَلِك الصالح يجب أن يكون مُحاربًا وساحرًا ومحبًّا أيضًا، وكذلك هو الحال بالنسبة للثلاثة نماذج الأخرى.

النماذج الصبيانية تتداخل أيضًا وتؤثر على بعضها البعض كما رأينا، الطفل المُقدس يؤدي طبيعيًّا إلى ظهور الطفل الأوديبي، وهما يُشكلان سويًّا نواة كل ما نراه جميلًا وساحرًا ودافئًا وحنونًا وروحانيًّا في الرجل، كذلك تحتاج الأنا لوعي الطفل مُبكر النضوج لتفرقة نفسها عن هذه الطاقات، ومن هؤلاء الثلاثة يظهر البطل، الذي يتحرر من سيطرة الأم في اللاوعي، ويُؤسس هوية الصبي كشخص مُتفرد، البطل يُجهز الصبي ليُصبح إنسانًا ناضجًا.

النماذج هي طاقات وكيانات خفية، يُمكن تشبيه النماذج بالمغناطيس تحت ورقة، عندما تُرش بُرادة الحديد فوق الورقة، ترتب سريعًا لتُشكل أنماطًا تتبع خطوط القوة المغناطيسية، فيُمكننا رؤية البُرادة على الورقة لكننا لا نرى المغناطيس تحت الورقة، أو بشكل أكثر دقة؛ لا يُمكننا أن نرى القوة المغناطيسية المُحركة، نحن نرى فقط دليل وجودها المرئي.

كذلك هو الأمر بالنسبة للنماذج السيكولوجية، تبقى هذه

النماذج خفية، لكن يُمكننا أن نرى تأثيرها في الفن والشِّعر والمُوسيقى والقصص والأساطير والدين وحتى الاكتشافات العلمية، نرى هذا التأثير في أنماط سلوكياتنا وأفكارنا ومشاعرنا، كل إبداعات البشر هي مثل بُرادة الحديد، يُمكننا أن نُلاحظ فيها الأنماط والأشكال التي تُشكلها طاقات هذه النماذج، لكننا لا نرى هذه الطاقات نفسها.

هذه النماذج تتداخل وتؤثر على بعضها بعضًا، لكن يُمكن تمييزها عن بعض لداعي التوضيح والتبسيط، من خلال التخيل الفعال وأساليب التواصل الأخرى، يمكن أن تُخلط هذه النماذج لتتمكن من الحصول على التوازن المطلوب بين طاقاتها في حياتنا على حسب احتياجاتنا.

«جين شينودا بولين» قام باقتراح مُفيد في هذه النُقطة للتعامل مع هذه النماذج، ذلك بأن نبدأ أولًا بفصلها وتفكيكها عن بعضها، ثم خلطها ودمجها، تمامًا كما تُدار اجتماعات مجلس الإدارة الجيدة، في هذه الاجتماعات يطلب الرئيس من كل عضو أن يُعبر عن رأيه بصراحة عن السؤال المطروح، والرئيس الجيد يرغب دائمًا في أن يُعبر كل عضو عن رأيه بصورة كاملة ومُوضحة بالأسباب، بعض الآراء ستكون مُختلفة، وبعضها ربما سيكون غبيًّا، كذلك قد يبدو بعض الأعضاء أنهم هدامون وغير مُفيدين، بعضهم الآخر قد يأتي دائمًا بأفكار رائعة، في

الأغلب يتم اتباع نصائح هؤلاء الرائعين، لكن يجب الانتباه أن آراء السلبيين تكون أحيانًا هي الأكثر صدقًا.

وبعد أن تُسمع كل الآراء ويتم مُناقشتها بصورة كافية، بطلب الرئيس التصويت ويتم اتخاذ القرار، وغالبًا ما يترك الرئيس رأيه للنهاية.

الأنا خاصتنا تُشبه رئيس المجلس، والأعضاء هم النماذج السيكولوجية المُختلفة بداخلنا، يجب أن يتم الاستماع إلى كل نموذج، يجب أن يُعبر كل منهم عن وجهة نظره، لكن في النهاية يجب على الأنا الإشراف واتخاذ القرار النهائي في حياتنا.

السيكولوجية الذكورية الناضجة - كما رجحنا من قبل - هي في الأغلب من النوادر في عالمنا، وهي بكل تأكيد نادرة اليوم على الأقل، الظروف المعيشية المادية والسيكولوجية التي عاش فيها مُعظم البشر في مُعظم الأماكن هي صاعقة، والبيئة العدائية دائمًا ما تؤدي إلى تشوُّه وانحراف الكائن الحي، دعونا نعترف بسوء الوضع الذي نحن فيه، ففقط حينما نسمح لأنفسنا أن نرى الحجم الواقعي لأي مُشكلة نتمكن من اتخاذ الإجراءات اللازمة، وما يلزم فعله حاليًّا هو فعل ما يُمكن فعله لتحسين حياتنا وحياة الآخرين.

هناك مقولة مهمة في علم النفس تقول: إن علينا تحمُّل مسئولية ما نحن لسنا مسئولين عنه، بمعنى أننا بالفعل لسنا مسئولين - كجميع الأطفال - عما حدث لنا في الطفولة وأدى إلى أذيتنا وإعاقتنا سيكولوجيًّا؛ مما أدى إلى إبقائنا في مُستوى غير ناضج للذكورة، لكن لن ينفعنا أيضًا جعل هذا مُبرِرًا لسوء شخصيتنا وعدم اكتمالنا، وجعله مُبرِرًا لأفعالنا الضارة.

لقد أصبح عصرنا الآن عصرًا سيكولوجيًّا بدلًا من أن يكون مؤسسيًّا كما كان في الماضي، فما كان يُقدَّم لنا من المؤسسات والهياكل الاجتماعية من خلال العمليات الطقسية، أصبح من الواجب الآن أن نُقدمه لأنفسنا بأنفسنا، فثقافتنا أصبحت ثقافة الفرد بدلًا من الجماعة.

تدفعنا حضارتنا الغربية لأن نسلُك الطريق وحيدين، أن نُصبح - كما قال يونج - «مُتفردين» عن بعضنا بعضًا، أي إن هذه المعرفة العميقة التي كانت تُشارك بصورة غير واعية بين الجميع - كعملية بناء هوية ذكورية ناضجة - لم تعد مُتاحة لنا إلا من خلال البحث الشخصي الواعي، وهذه هي المهمة التي سنبدأ بها الآن.

الفصل الثاني
إكتشاف سيكولوجية الرجل
النماذج الأربعة للذَّكَر الناضج

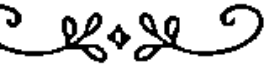

المَلِك

طاقة نموذج الملك هي طاقة مركزية وأساسية في داخل مميع الرجال، والعلاقة التي تُشكلها مع الثلاثة نماذج الأخرى المذكورة الناضجة، هي نفس العلاقة التي تُشكلها طاقة نموذج الطفل المُقدس مع الثلاثة نماذج الأخرى للذكورة غير الناضجة، فهذه الطاقة - أي طاقة الملك - هي الأهم، وتُعتبر الأساس الذي تنشأ منه النماذج الأخرى بتوازن مثالي.

فالملك الصالح المِعطاء يكون بطبيعة الحال أيضًا مُحارِبًا جيدًا، ساحرًا إيجابيًّا، ومُحِبًّا مُمتازًا، لكن بالرغم من هذا فنموذج الملك يظهر في مُعظمنا في مرحلة مُتأخرة، غالبًا بعد جميع النماذج الأخرى.

يُمكننا القول بأن نموذج الملك هو نموذج الطفل المُقدس لكن بصورة أكثر عُمقًا ونضوجًا وحكمة وتعقيدًا، فالملك غير أناني على عكس الطفل المُقدس الذي غالبًا ما يكون مُتمحورًا حول نفسه فقط، الملك الصالح يمتاز بالحكمة والتواضع، في حين أن الطفل المُقدس - خصوصًا في حالة الطاغي على الكُرسي العالي - يمتلك نزعاتٍ طفولية مُتعالية يعتبر بها نفسه مثاليًا وكاملًا، يقترب نموذج المِلك للكمال الحقيقي في صورته البشرية داخل نفس كل رجل.

طاقة نموذج المَلك قد تُعتبر طاقة نموذج الأب في العديد من الأشكال، لكن من واقع خبرتنا فإن الملك هو الأساس الذي ينشأ منه نموذج الأب، وهو أكثر شمولًا وأساسية من نموذج الأب.

تاريخيًا، فإن المَلِك يُعتبر مُقدسًا، لكن التقديس ليس لشخصه البشري، وإنما للمنصب نفسه، أو يُمكننا القول: لطاقة الملك نفسها، جميعنا نعرف النداء الشهير الذي كان يُقال عندما يموت الملك ويستعد آخر لأخذ عرشه: «مات الملك، عاش الملك!»

أي إن الإنسان الذي يُجِسد طاقة المَلِك أو يحتفظ بها مؤقتًا لخدمة البشرية، هو مُجرد وعاء لهذه الطاقة، محطة مؤقتة لهذا

النموذج الأبدي الذي يجلب النظام والكرم للعالم ولحياة البشر.

كما لاحظ السير «جيمس فرازير» وآخرون، فالملوك في العالم القديم للحضارات القديمة كانوا غالبًا ما يُقتلون طقسيًّا عندما تبدأ قُدرتهم على التعبير عن طاقة الملك في التدهور، فما كان مُهمًّا هو ألا يرتبط كرم وعطاء طاقة نموذج الملك بشخص الملك العجوز الفاني، فبظهور الملك الجديد، كانت تتجدد هذه الطاقة وتتجسد ليس فقط في الملك الجديد، بل في المملكة كلها وفي حياة الجميع بها.

هذا النمط - أي العملية الطقسية للقتل وإعادة الإحياء - وراء قصص الموت ثم البعث والخلود في العديد من الأديان والأساطير، وهناك خطر على الرجال الذين قد تمسهم هذه الطاقة أن يسلكوا أيضًا طريق هذا النمط القديم ويموتون مُبكرًا.

في الفصل الأول ذكرنا أن موت نماذج الصبيانية - وخاصة نموذج البطل - هو بالفعل ولادة الرجل، أي نهاية عهد السيكولوجية الصبيانية وبداية عهد نفسية الرجولة، ماذا يحدث إذن عندما يُقتَل البطل في الصبي المُراهِق؟

الحلم التالي لشاب يافع على حافة تحوله من الطفولة للرجولة يُظهر هذه اللحظة لموت البطل، ويُظهِر الشكل الذي قد تتخذه في النهاية الطاقة الذكورية الناضجة الجديدة، إن الحلم يُظهر نشوء طاقة الملك، التي لم يتم استيعابها كاملة إلا بعد سنوات من هذا الحلم، هذا هو الحلم:

«إنني جُندي صاخب في الصين القديمة، أُسبِّب العديد من المشاكل، وأؤذي العديد من الناس، وأعبث بالنظام العام لمصالحي الشخصية، أبدو كأني مُرتزق أو خارج عن القانون.

في الأرياف، تتم مُلاحقتي في الغابة من قِبَل مجموعة من جنود الجيش الصيني، بالتحديد من حُراس الإمبراطور الصيني، جميعنا نرتدي نوعًا من الدروع المُصفحة، ولدينا أقواس وأَسْهُم وربما سيوف أيضًا، وأثناء هروبي في الغابات، أرى حُفرة في الأرض، كأنها مدخل لكهف، فأنزل إليها سريعًا لأختبئ، وحالما أنزل للحُفرة أرى أنها نفق طويل، وأجري خلال النفق، يراني الحُراس ويلحقون بي داخل النفق.

في نهاية النفق، أرى نورًا أزرق خافتًا من بعيد يأتي من أعلى، ربما هي فتحة في الصخر.

عندما أقترب، أرى أن النور يسقط على غُرفة خفية تحت الأرض، وهذه الغُرفة هي في الحقيقة حديقة شديدة الخضرة،

في مُنتصف الحديقة يقف الإمبراطور بنفسه، بثوبه الأحمر الذهبي الأنيق، لا مكان لديَّ لأذهب إليه، الحُراس يلحقون بي من الخلف، وأنا مُضطر للذهاب للإمبراطور نفسه، لا يُمكنني أن أفعل أي شيء سوى أن أركع أمامه، أن أستسلم له، أشعر بتواضع كبير، وكأن مرحلة في حياتي انتهت.

الإمبراطور ينظر لي بنظرة عطف أبوية، إنه ليس غاضبًا مني على الإطلاق، يُخالجني شعور بأنه عاش الكثير ومرَّ بالكثير، مرّ بكل مُغامرات الحياة: الفقر والغنى والنساء والحروب والخيانات والمُعاناة والفرح، ومرَّ بكل تجربة يُمكن للإنسان أن يعيشها، هذه الحياة الغنية والمليئة بالخبرات والحكمة التي اكتسبها هي ما تجعله يُعاملني بعطف وحنان.

يقول الإمبراطور بلطف شديد: «يجب أن تموت، سيتم إعدامك بعد ثلاث ساعات».

أنا أعلم أنه على حق، هناك قوة تربطنا، كأنه كان في موقفي هذا تمامًا من قبل، كأنه يعلم تمامًا هذه التجربة، فأستسلمُ لقدري بشعور من السلام الغامر وحتى السعادة.»

في هذا الحلم نرى الأنا البطولية للصبي المُمثلة في الجُندي الصاخب وهي تُقابل أخيرًا حدودها، فالجُندي يواجه مصيره المحتوم في حضرة المَلِك، فما يحدُث للصبي هو أن يكوِّن

علاقة حسنة مع روح الملك الكامنة بداخله، و«يتوحد مع الأب» كما يقول جوزيف كامبل.

جون بيرري - المُعالج النفسي الشهير - اكتشف قُدرة نموذج الملك على العلاج عن طريق التعرف على الشخصية في أحلام ورؤى المُصابين بالفصام، ففي نوبات الذهان - نوبات مُتقطعة من الهذيان والهلوسة والاضطراب العقلي - كانت صور الملك المُقدس تظهر للمرضى من أعماق اللاوعي لديهم.

وفي كتابه «جذور التجديد في الأساطير والجنون»[1] يصف حالة شاب يافع ظل يرسم صورًا لأعمدة إغريقية، ثم ربطها بما سماه «المَلِك الأبيض»، وفي حالة أخرى يصف أحد المرضى رؤية عن حفل زواج بين ملكة البحر والملك العظيم.

أدرك بيرري أن ما كان يراه مرضاه ما هي إلا صورًا مُطابقة تمامًا للصور الموجودة في الأساطير القديمة والطقوس التي تحكي عن الملك المُقدس، ولاحظ أن حالة مرضاه تتحسن عندما يتواصلون مع طاقة الملك هذه، فهناك شيء ما في نموذج الملك - كما ظهر في الأساطير القديمة وفي أحلام ورؤى المرضى - يؤدي إلى نشوء مستوى عالٍ من النظام النفسي

---

(١) أنظر قائمة القرائات، جزء الملك. المُترجم.

والاطمئنان الروحي والشفاء الخلاق، فقد رأى داخل نفسية المرضى تلك الأساطير القديمة عن حروب الملك العظيم ضد قوى الفوضى والظلام، ومن ثم انتصار الملك العظيم وتحقيقه للسلام وتنصيبه على عرش مركز العالم.

فقد أدرك بيرري أن نموذج الملك هو في الواقع ما سماه «النموذج المركزي»، الذي تنتظم حوله بقية النفسية، ورأى نفسه أن في اللحظات التي كان مرضاه غير واعين تمامًا، أي عندما كانت الحواجز تزول بين الهوية الواعية والعالم القوي للاوعي، في هذه اللحظات كانت الصور الخلاقة والمُنظمة والكريمة والمُغذية للملك تسطع، فينتقل الناس من الجنون إلى صحة داخلية أفضل بكثير.

ما حدث لمرضى بيرري موازٍ لما حدث في حلم الشاب اليافع بالإمبراطور الصيني، الأنا الطفولية استسلمت أخيرًا، فسقطت داخل اللاوعي وتقابلت مع الملك، السيكولوجية الصبيانية تحللت وظهرت السيكولوجية الرجولية التي أعادت تنظيم وتركيب النفسية والشخصية.

* وظيفتا الملِك في صورته المُتكاملة:

هناك وظيفتان أساسيتان لطاقة الملك وهما اللتان تجعلان هذا التحول من الصبيانية للرجولة ممكنًا، الوظيفة الأولى هي فرض النظام والتنظيم، والوظيفة الثانية هي توفير الخصوبة والمباركة.

نموذج الملك - كما قال بيرري - هو «النموذج المركزي»، فمثل الطفل المُقدس، الملك الحسن هو مركز العالم، يجلس على عرشه على الجبل المركزي، أو كما يقول قدماء المصريين: «جبل أول الزمان»، ومن هذا المكان المركزي تخرج كل أفعال وإبداعات الملك إلى مُقدمة المملكة لتشملها كلها، ويُعتبر العالم هو النطاق داخل الواقع الذي يحكمه ويُنظمه الملك، وخارج حدود هذا النطاق هناك الفوضى وقوى الشر والظلام والمجهول.

هذه الوظيفة للملك موجودة في كل مكان في أساطير العالم القديم، في أساطير المصريين القُدماء، كما أوضح جيمس بيرستد وهنري فرانكفورت.

الأساطير تقول أن العالم نشأ من مُحيط اللاشكل والفوضى، نشأ على هيئة جبل مركزي أو هضبة، نشأ العالم بأمر بالكلمة المُقدسة من الإله الأب «بتاح» إله الحكمة والنظام، فالكلام

في الواقع يُحدد واقعنا وعالمنا، فنحن نُنظم حياتنا وعالمنا عن طريق المفاهيم وعن طريق الأفكار، ونحن لا نُفكر إلا عن طريق الكلام، ففي هذا السياق، يُمكن القول: إن الكلمات هي ما تصنع عالمنا وحياتنا.

كما ورد في الأسطورة المصرية، الجبل البدئي - جبل أول الزمان - فرش الأرض، ومن هذا التنظيم المركزي؛ ظهرت كل الحياة، كل الآلهة وكل البشر وكل إنجازاتهم الثقافية، بحسب قصة الخلق المصرية القديمة، ومع ظهور الفراعنة خلفاء الآلهة - كما كانوا يُطلقون على شعبهم - انتشرت الحضارة في جميع الأنحاء، حضارة الفراعنة التي تمركزت على الجبل البدئي، كانت قصة المصريين القُدماء عن بداية حضارتهم.

وفي حضارة ما بين النهرين، نجد أحد الملوك العُظماء المؤسسين لهذه الحضارة، وهو «سرجون الأكدي»، الذي بنى هذه الحضارة وسمَّى نفسه «الرجل الذي يحكم الأركان الأربعة».

ففي العالم القديم، لم ينتشر العالم فقط من المركز، بل كان مُقسمًا هندسيًّا إلى أربعة أركان، كأن العالم دائرة مُقسمة لأربعة أرباع: الأهرامات المصرية - التي تُشكل بنفسها صورة

للتل المركزي - تُشير زواياها الأربع للاتجاهات الأربعة، أي إلى «الأركان الأربعة»، ويتكرر هذا النمط المُتعلِق بالعدد أربعة مرارًا وتكرارًا في العديد من الثقافات الأخرى، منها حضارات البحر المتوسط والحضارة الصينية القديمة، وحتى حضارة الهنود الحمر الذين كانوا في الأغلب معزولين عن أي تأثير حضاري خارجي.

عندما لاحظ كارل يونج هذا النمط وارتباطه بالوظيفة التنظيمية؛ استعار اسم «الماندلا»[1] من ثقافة التيبت البوذية للتعبير عن المركز التنظيمي الشامل المُتكامِل، ولاحظ أنه عندما ظهرت صور الماندلا في أحلام ورؤى مرضاه، كانت دائمًا تمنح الشفاء والعطاء، كانت هذه الأشكال تُشير دائمًا إلى التجدد، مثلما أظهرت صور بيرري عن الملك التي تُشير إلى أن الشخصية أو النفسية المُضطربة سابقًا وجدت الآن طريقة لتُصبح أكثر نظامًا وهدوءًا.

إن طاقة نموذج الملك ومن خلال الملك الحقيقي، تُقدم للمملكة والشعب هذه القُدرة التنظيمية للعالم المُقدس،

---

(١) الماندلا لفظ يعني الدائرة أو القرص، وهي دائرة تحتوي على مثلثات ومربعات وخطوط ونقاط تتداخل وتتشابك، وهي تمثل النظرة إلى الكون والشكل الأشمل له، فهي دائرة مقدسة. للمزيد عن الماندلا كرمز أو نموذج بدلي يُمكن الإطلاع على: النماذج البدلية و الاوعي الجمعي - كارل يونج (الفصل السادس)

و أيضا: الإنسان و رموزه - ص٢٨٠ - كارل يونج. المُترجم

، بنم تفعيل هذه القُدرة عن طريق سَنِّ القوانين، أي إن الملك البشري يصنع القوانين التي يستقبلها من خلال طاقة نموذج الملك نفسها، ثم يُمررها لشعبه.

صورة لأحد ملوك الفُرْس من مخطوطة «الشاهنامه»، الملحمة الفارسية الشهيرة

يوجد بمتحف المؤسسة الشرقية في ولاية شيكاغو، نسخة طبق الأصل من صورة شهيرة عن الملك البابلي الشهير «حامورابي»، تصور الملك وهو يُقدم لشعبه ووزرائه «أعمدة القانون»، وشكل العامود هو في الحقيقة إصبع مُوجه للأعلى، كأنه يقول «اسمعوا، هذه هي القوانين وهكذا ستُدار الأمور»، ويظهر حامورابي في الصورة وهو يستقبل هذه القواعد من الإله «ساماش» إله الشمس وملك الآلهة جميعًا، هذه الصورة تُعبر بشكل واضح عن هذا النموذج وطاقته التي لا تنضب، بينما تُعبر هذه الطاقة الأبدية عن نفسها لملك بشري فانٍ، وتُعطيه مِفتاح السلام والهدوء والنظام.

تجلَّت هذه الظاهرة أيضًا في العديد من الأساطير القديمة وحتى الأديان السماوية، على سبيل المِثال ظهرت في قصة النبي موسى في الكتاب المقدس، وهو يستقبل «التوراة» من يهوه[1] على جبل سيناء المُقدس.

هذا النظام الغامض في المملكة وفي القصور والمعابد، وفي قوانين البشر والمُحرمات السرية والعلنية، وفي العادات والتقاليد للشعوب المُختلفة، هي تعبير واقعي عن القُدرة التنظيمية لروح الملك المُنظمة، في الحضارة المصرية القديمة

---

(١) يهوه هو اسم الله في التوراة.

كانت تظهر في شكل الإله بتاح أو الإلهة ماعت، الذي يعني النظام الصحيح أو الطريق الصحيح، في الحضارة الإغريقية كانت تتمثل في روح «اللوجوس» الكريمة والخلاقة والمُنَظِّمة، وهي «الكلمة» التي تبنتها الحضارة المسيحية في إنجيل يوحنا، أما في الهندوسية، هذا النظام النموذجي يُسمى دارما، وفي الصين يُسمى «التاو»، أي الطريق.

واجب الملك البشري الفاني لا يقتصر فقط على استقبال هذه الطاقة التنظيمية وتقديمها لشعبه، لكن - وعلى نحو أكثر أساسية - واجبه أن يتحلى بهذه الروح بنفسه، أن يعيشها في حياته، فأول مسئولية للملك هو أن يعيش طبقًا لـ «معات» أو التاو أو الدارما، وإن حقق هذا الهدف في نفسه، تقول الأسطورة دائمًا: إن النظام سيمتد للمملكة كلها والشعب وستزدهر المملكة، وإن لم يعش الملك روح «التاو» في نفسه، لن يحدث شيء جيد لشعبه وللمملكة ككل، وعندما لا يكون المركز التنظيمي الذي يُمثله الملك على طريق الحق، تتنبأ الأساطير أن النهاية قريبة، نهاية الملك وربما المملكة كلها.

عندما حدث ذلك في المملكة الوسطى لمصر القديمة، نجد النبي «نيفير روحو» يتنبأ ويصف الكوارث الاجتماعية والاقتصادية التي ستحل بمصر بسبب حكم الملوك الظالمين،

الذين لا يُمثلون طريق الحق، الذين لم يعيشوا طبقًا لـ «معات»، كتب نيفير روحو:

«سيُعيد رع تأسيس هذا العالم من جديد، ستنهار الأرض، ونور الشمس سيُحجب، ستجف أنهار مصر، ويموت كل شيء جيد، سيأتي الأعداء من الشرق والغرب، سيُصبح الرجال في حربٍ دائمة فتُصبح حياتهم وأرضهم في خطر، سيتسول الجميع للخبز، سيُدير البشر ظهرهم بينما يقتل أحدهم الآخر، قد يرى الإنسان ابنه - أو أخاه - عدوًا، وربما يقتل الإنسان أباه.»

ثم يتنبأ نيفير روحو بظهور ملك جديد، ملك يُجسد روح طريق الحق، هذا المَلِك سيُعيد النظام في مصر:

«ثم سيأتي ملك من الجنوب، ابن أرض النوبة، وُلِدَ في جنوب مصر، سيأخذ التاج الأبيض ويلبس التاج الأحمر، سيوحد العظيمين، وسيُعطي كلًّا منهم ما يُريده، افرحوا أيها الناس في زمانه، فسيكتب ابن الإنسان اسمه للأبد، وكل ما يُعاديه أو يُريد له شرًّا سيخرس من الخوف، كل الأعداء سيسقطون تحت سيفه ويُحرقون بناره، سيُبنى الجدار الحامي للحياة والصحة والرخاء، وسيسود النظام والعدل، وسيُطرد الشر خارج البلاد، افرحوا فسيظهر الملك.»

كما هو واضح من النبوءة، فالملك البشري - وهو يعمل بالطاقة الناضجة لنموذج الملك - حقق النِظام في حياته الشخصية أولًا، حينها فقط تمكَّن من فرض النظام والرخاء في مملكته، وقد حقق هذا داخل نطاق المملكة وحتى على حدودها، على الحد الذي يفصل بين المعلوم والمجهول، بين النظام والفوضى، وهنا نرى الملك كمُحارِب أيضًا، مُحارب يُدافع عن النظام ضد «الأعداء».

هذه القصة التي تحكي عن الملك الذي يفرض السيطرة والنظام ويُحارب الفوضى والفساد هي إحدى الوقائع التاريخية المُتكررة، وكذلك هي حقيقية في الأساطير وفي العالم الغامض للاوعي.

على سبيل المثال قصة الحضارة البابلية عن الإله «مردوخ» الذي كان كبير آلهة بابل، وهو يُحارب قوى الفوضى والظلام المُمثلة في التنينة «تيامات» وجيشها من الشياطين الوحوش، ثم ذبحها وخلق العالم والنظام من أشلائها، وكذلك في الأسطورة الكنعانية عن «بعل» الذي حارب وحشَي الفوضى التوأمين.

على الصعيد المُعاصر، نرى تفسُّخ الأسرة واختلالها عندما يكون الأب غائبًا أو ضعيفًا، أي عندما تكون طاقة الملك

غير كافية لوضع النظام، وفي هذا الوضع غالبًا ما تُجَرُّ العائلة للفوضى.

أما الوظيفة الثانية الأساسية للملك الصالح هي الخصوبة والمُباركة، الشعوب القديمة كانت دائمًا تربط الخصوبة - سواء كانت للمحاصيل أو قطعان الحيوانات أو البشر - بالقدرة الخلاقة للآلهة.

على سبيل المِثال، في قصة «بعل» بعد أن قضى على تنين الفوضى الكامن في البحار، نظم بعل مياه العالم لتسقط الأمطار وتجري الأنهار، وهذا التنظيم جعل - كما ورد في الأسطورة - الزراعة والرعي مُمكنين للبشر.

في الأسطورة المصرية القديمة عن ترنيمة آتون (الشمس)، فآتون هو مَنْ أمر الأرض لتكون خصبة، وقد وضع النيل في مصر لتروى العصافير وتنمو القطعان، وليعيش جميع البشر بنعمة الحياة.

في هذه الأساطير، كان ما يحدث للملك يحدث للمملكة، فإن حافظ الملك على نفسه قويًّا وصحيحًا جسديًّا، ومُنتبهًا وواعيًا عقليًّا، إذن فالمحاصيل ستنمو والقُطعان ستكاثر، وسيزدهر التجار وسيُولد العديد من الأطفال للشعب،

وسينهمر المطر أو - كما في مصر - سيفيض النيل ومعه خصوبة الأرض.

في قصة الملك ديفيد كان الملك لديه العديد من الزوجات وأنجب منهن العديد من الأطفال، النقطة هنا هي أنه عندما كان هؤلاء الرجال يزدهرون جسديًا وعقليًا، كانت المملكة تزدهر أيضًا، فقد صورت الأسطورة الملك الفاني على أنه نموذج الملك بالطاقة الذكورية، وأرضه أو مملكته صُوِّرَت بالطاقة الأنثوية، وكأن هناك زواجًا رمزيًا بين الملك وأرضه.

عندما كان الملك يمرض أو يُصبح ضعيفًا أو واهنًا، كانت المملكة تفتقر، فالمطر لا يهطل، والمحاصيل لا تنمو والقطعان لا تتكاثر، والتجار يخسرون أموالهم وبضاعتهم، وفي النهاية يقضي الفيضان على الأرض ومعه يموت الشعب.

لم تكن الخصوبة بالمعنى المادي فقط هي التي تأتي من الوظيفة الثانية للملك، لكن أيضًا البركة والمُباركة، والمُباركة هو حدث سيكولوجي أو روحاني، فالملك الصالح كان دائمًا يدعم ويُكرم من يستحق، وكان يفعل هذا عن طريق رؤيتهم في حشده الملكي بالقصر، أو سيكولوجيًا عن طريق مُلاحظتهم وتقديرهم وإعلاء شأنهم، فالملك الصالح دائمًا ما

يُكرم الرجال الذين يستحقون، بوضعهم في مناصب السلطة والمسئولية في مملكته.

وكانت للملك حاشية ليس فقط لكي يراه الناس - بالرغم من أن هذا كان مهمًّا ليرى الناس تمثيله الفعلي عن طاقة نموذج الملك - بل لكي يرى هو الناس، لكي يرى من يستحق ويُكرمه ويُكافئه.

هناك لوحة جدارية فرعونية جميلة يظهر فيها أخناتون في شُرفته الملكية، يسقط عليه شعاع الشمس الساحر لأبيه آتون (الشمس) وهو يرمي بخواتم من ذهب لأفضل أتباعه وأكثرهم نُبلًا وكفاءة وإخلاصًا، فبنور الحكمة الذكورية، هو يعرف رجاله ويعترف بهم، وهو كريم ومِعطاء تجاههم، إنه يمنحهم بركته ودعمه، أن «نُبارَك» هو حدث عظيم وله توابع عظيمة سيكولوجيًّا بالنسبة إلينا، حتى أن هناك دراسات أظهرت أن أجسادنا تتغير بالفعل كيميائيًّا عندما نشعر أننا مُقَدَّرون وعندما نُمدَح.

الشباب اليوم تنقصهم بشدة مُباركة الرجال الأكبر، تنقصهم بشدة المُباركة من طاقة المَلك، إنهم يحتاجون أن يُبارَكوا، أن يُروا ويُكرموا من قِبَل الملك، فعندما يحدث ذلك سيؤدي إلى

نكاملهم وتوحدهم داخليًا، فهذا هو تأثير المُباركة، المُباركة تَشْفِي وتُكمل ما هو ناقص، هذا ما يحدث عندما يتم تقديرنا ومُكافأتنا بما نستحقه بسبب قُدراتنا ومواهبنا.

بالتأكيد العديد من الملوك في التاريخ القديم - كالعديد من الرجال في مناصب مُشابهة اليوم - هم بعيدون عن الصورة النموذجية للملك الصالح، لكن هذا النموذج البدائي يعيش مُستقلًا عنا، ويسعى - من خلالنا - ليظهر في حياتنا ويواسينا، يُباركنا ويمنحنا الدعم والإبداع.

ما هي سِمات وخصائص الملك الصالح؟ بناءً على الأساطير والقصص القديمة، ما هي الصفات التي يجب أن يتحلى بها الملك الصالح؟

نموذج الملك في تكامله يمتلك خصائص النظام، والقُدرة على التفكير والتخطيط المنطقي، والوحدة والتكامل النفسي، فهذه الطاقة تُنظم المشاعر الفوضوية والسلوكيات الخارجة عن السيطرة، هذه الطاقة تمنح الهدوء والسلام، وتُعطي الخصوبة والمرح والحياة، إنها تجلب الاستقرار والتوازن، طاقة الملك تُدافع عن نظامنا ووحدتنا الداخلية، وتُدافع عن أهدافنا وقيمتنا، وتحمي هويتنا الذكورية الناضجة.

الملك الصالح ينظر للعالم بنظرة صارمة لكنها طيبة، يرى ضعف الآخرين كما يرى مواهبهم وحسناتهم، كما يدعم ويُكرم الآخرين، يُرشد ويُغذي الضائع والمُحتاج ويدفعهم لتطوير أنفسهم، طاقة الملك لا تتضمن الغيرة، فالملك الصالح واثق من قُدراته ومكانته، ويدعم ويُشجع الإبداع والإنتاج في الآخرين.

طاقة الملك عندما تظهر كمُحارب، فهي تُعبر عن القوة الشرسة عندما يتطلب الأمر ذلك، عندما يتم تهديد النظام والأمان، وهذه الطاقة لديها أيضًا قوة السلطة الداخلية الخاصة بالساحر، والحب والعطف الخاص بالمحب.

هذه هي الطاقة التي تظهر في الرجل عندما يتخذ الأفعال المادية والسيكولوجية المطلوبة لضمان الرخاء والراحة لزوجته وأطفاله، هذه هي الطاقة التي تُشجع الزوجة أن تعود للتعليم لتُحقق حلمها القديم، هذه هي الطاقة التي تُعبر عن نفسها في الأب الذي يستقطع من وقت عمله ليحضر تدريب البيانو الخاص بابنه أو ابنته، هذه هي الطاقة التي تعمل من خلال المُدير الجيد عندما يُنظم العمل لموظفيه المُتمردين دون معاقبتهم أو فصلهم.

هذه هي الطاقة بداخلك التي تمنحك القدرة على البقاء هادئًا عندما يفقد الجميع من حولك صوابه، صوت السلام وكلمة التشجيع التي تشعر بها في أوقات الصعوبات والفوضى، هذه الطاقة مُتمثلة في القرار الصالح الذي يؤخذ بعد تفكير منطقي واضح، القرار الذي يُنظم الفوضى في العائلة أو العمل أو المُجتمع أو حتى العالم، إنها الطاقة التي تسعى للاستقرار والسلام، والغذاء والنمو لجميع الناس، وليس فقط للناس بل للبيئة والعالم الطبيعي، فالملك الصالح يرعى كل المملكة بما فيها من موارد طبيعية وبشر.

هذه هي الطاقة التي تتمثل ميثولوجيًا في «راعي الشعب»، هذا هو الصوت الذي يُنادي بهدوء بحقوق الإنسان لجميع البشر، هذه هي الطاقة التي تُعاقب مَنْ يستحق وتُكرِّم من يستحق، إنه صوت المركز، صوت جبل «أول الزمان» المركزي داخل كل رجل.

* الجانب المُظلم للملك: الطاغية والضعيف

بالرغم من أن مُعظمنا قد اختبر بعضًا من هذه الطاقة الذكورية الناضجة في حياتنا، ربما كانت داخلنا في اللحظات التي شعرنا فيها أننا هادئون ومُتحدون ومُتكاملون بدرجة عالية، أو ربما

شعرنا بها من وقت لآخر من خلال أبينا، من خلال عمٍّ طيب أو جدٍّ حكيم، زميل في العمل أو مُدير أو مُدرس، إلا أنه يجب علينا الاعتراف بأن خبرتنا وتواصلنا مع هذه الطاقة في صورتها الكاملة النموذجية محدودة جدًّا، ربما شعرنا بفتات أو نفحات منها، لكن الحقيقة المؤسفة هي أن هذه الطاقة بصورتها الإيجابية شحيحة جدًّا في حياة مُعظم الرِجال، فمُعظمنا اختبر ما نُسميه ظل الملك أو الجانب المُظلم للملك.

كما هو الحال في جميع النماذج، الظل أو الجانب المُظلم للملك يظهر بقطبين مُتعاكسين، القُطب الموجب نُسميه الطاغية، والقُطب السالب نُسميه الضعيف.

يُمكن أن نرى الطاغية بصورة واضحة في القصة المسيحية عن ولادة المسيح، فبعد أن وُلِدَ المسيح الطفل مُباشرة، علم الملك هيرودس بأن الطفل - الذي قيل: إنه سيأخذ عرشه - ولدٌ يوجد في المملكة التي يحكمها، فأرسل جنوده إلى بيت لحم ليبحث عن «الملك الجديد» - الحياة الجديدة - ليقتله، ولأن المسيح هو طفل مُقدس، ينجو في الوقت المُناسب، لكن الملك الشرير يقتل كل طفل ذَكَر موجود في المملكة، حينما تولد «حياة جديدة» بداخلنا، هيرودس الذي بداخلنا والموجود في حياتنا الخارجية أيضًا سيُهاجِم.

الطاغي يكره أي حياة جديدة ويحقد عليها؛ لأنه يشعر أن هذه الحياة هي خطر على قبضته الضعيفة على المملكة، فالطاغية ليس المركز ولا يشعر بالأمان ولا الهدوء أبدًا، وهو ليس خلَّاقًا، إنما هدام فقط، فإن كان واثقًا في قُدرته وسلامه ونظامه الداخلي، كان سيتعامل بترحيب وكرم لولادة حياة جديدة داخل مملكته، لو كان هيرودس ملكًا صالحًا يتحلى بهذه الأشياء؛ لأدركَ أن الوقت قد حان ليترك منصبه ليتجسد النموذج - نموذج الملك - في الملك الجديد، يسوع المسيح.

الطغاة البشر ستجدهم في المناصب الملكية - سواء كانت في البيت، في مكتب العمل، في البيت الأبيض أو الكريملين - ويعتبرون أنفسهم طاقة الملك ذاتها، دون أن يفهموا أنها طاقة أبدية، وقد تعمل من خلالهم مؤقتًا فقط.

مثال آخر في تاريخ العصور القديمة نجده في الإمبراطور الروماني «كاليغولا»، فبالرغم من أن الأباطرة الذين سبقوه كانت لديهم القوة والسلطة الجبارة على الشعب وعلى مجلس الشيوخ، وكانوا يتحكمون بصورة كاملة في دول البحر المُتوسط، وكانوا يُرفعون لمرتبة الإله بعد أن يموتوا، لكن كاليغولا الأحمق قام بفعل غير مسبوق، حين أعلن نفسه إلهًا بينما كان ما زال حيًّا، وتفاصيل جنونه واعتدائه على الجميع

وساديته مُثيرة للدهشة، يُمكن رؤية هذه التفاصيل وكيفية نشأة ظل الملك كطاغية في حالة كاليغولا في كتاب «روبرت جريفز» «I, Claudius» والمُسلسل التلفزيوني القائم على الكتاب.

الطاغي يستغل ويُهين الآخرين، إنه عديم الرحمة والشفقة عندما يسعى لنيل ما يظن أنها أهدافه، وإهانته للآخر ليس لها حدود، إنه يكره كل الجمال كل البراءة كل القوة كل الموهبة وكل طاقة الحياة، وهو يفعل ذلك بسبب - كما ذكرنا سابقًا - أنه يفتقد النظام الداخلي، إنه خائف - أو في الواقع مرعوب - من ضعفه الخفي وقلة حيلته الباطنة.

يتمثل الجانب المُظلم من الملك بصورة الطاغية عندما يشن الأب حربًا على أبنائه وبناته بشأن قوتهم، مواهبهم وقُدراتهم، إنه يخاف عذوبتهم والجديد بداخلهم، والحياة التي تفيض من خلالهم، إنه يسعى لقتلها، يفعل ذلك عن طريق الاعتداء اللفظي، والتقليل من هواياتهم واهتماماتهم، وقتل آمالهم وأحلامهم ومواهبهم، أو بالطريقة الأخرى عن طريق تجاهل إنجازاتهم الشخصية وعدم دعمهم في خيبات آمالهم، مثلًا عن طريق إبداء عدم الاهتمام عندما يرجع الأطفال على سبيل المِثال من المدرسة ويُطلعونه على عمل فني لهم أو درجة عالية في امتحان.

هجوم الأب الواقع في جانب الطاغية المُظلم قد لا يقتصر فقط على الاعتداء اللفظي أو السيكولوجي، قد يحتوي أيضًا على الاعتداء الجسدي، فالتأديب قد يتحول لضرب، وقد يكون هناك اعتداء جنسي أيضًا.

جاءت إلينا امرأة ذات مرة لتخضع للتحليل النفسي والاستشارة؛ لأنها كانت تواجه العديد من المشاكل في علاقتها الزوجية، وصفت لنا مشكلتها أثناء جلسات العلاج بهذا الوصف الدقيق: احتلال بيتها من قِبَل طاقة الطاغية بصورتها الجنسية، فبعد طلاقها من زوجها، تزوجت من رجلٍ آخر وعاش معها ومع ابنتها الراشدة، ويبدو أن الزوج الجديد لم يُعجب قط «بزوجته» الجديدة، ولاحظ فورًا جمال وضعف ابنة زوجته، فبدأ يطلب منها القيام بأعمال جنسية، كالنوم بجانبه فقط، ثم انتهى الأمر بأن يُرغمها على مُمارسة الجنس معه، وكان يهدد الأم بأنها لو منعت عنه ابنتها فسيتركهم ولن يجدوا أي ملاذ مادي، وللأسف لم تأخذ الأم أي خطوة في توقيف الاعتداء الفاحش على ابنتها، وكانت تكتفي بتنظيف الفوضى التي كانت على مرتبة السرير والملاءة من الليلة السابقة.

تصوير فني للملك آرثر «للرسام Trevor Stubley»

من كتاب The Book of Merlyn

للمؤلف T.H. White(١٩٩٧)

في قصة «الملك ديفيد وباثشيبا»[١] باثشيبا كانت زوجة رجل آخر اسمه «يوريا»، كان الملك ديفيد في أحد الأيام يتمشى على سطح القصر، وحينها رأى باثشيبا وهي تستحم، وقد أثاره المنظر لدرجة أنه أرسل جنوده لإحضارها وأرغمها أن

(١) الملك ديفيد المقصود هنا هو النبي «داود»، والذي يتم تحوير اسمه في الانجليزية إلى دافيد أو ديفيد، والقصة مذكورة في التوراة في سِفْر التكوين، وفقًا للعقيدة اليهودية والمسيحية. وتخالفهم في ذلك العقيدة الإسلامية التي تنزه الأنبياء عن مثل هذه السلوكيات.

نام معه، نظريًا كان المعروف في هذه العصور أن كل النساء في المملكة هنَّ مِلْك الملك، لكن هذا من المُفترض أن يعني أنهم يخصصون طاقة نموذج الملك وليس الملك البشري نفسه.

لم يكتفِ الملك ديفيد بذلك بل قتل زوجها أيضًا، لكن لحسن حظ المملكة، كان ديفيد له وعي مُمثل في الرسول ناثان، الذي جاء إليه ولامه، وحينها فقط ندم الملك ديفيد وتاب عن فعلته.

الملك الطاغية يظهر في داخلنا جميعنا في بعض الأوقات، عندما يتم الضغط علينا فوق طاقتنا، عندما نشعر بالإجهاد التام، أو عندما نبدأ في التضخم سيكولوجيًا، لكننا يُمكننا أن نراه بشكل مُركز في بعض التركيبات الشخصية، أكثرها على سبيل المِثال هي ما يُطلَق عليه الشخصية النرجسية، هؤلاء الناس يشعرون بالفعل أنهم مركز الكون - بالرغم من أنهم ليسوا مُتمركزين داخليًا - وأن الجميع موجودون فقط لخدمتهم.

حتى إننا يُمكننا أن نرى الملك الطاغية بوضوح في بعض المهن الحياتية: تُجار المُخدرات والقوادين وزعماء المافيات، كل هؤلاء أمثلة، إنهم يسعون لإعلاء منصبهم ومركزهم وتحقيق ما يظنون أنه مصلحتهم الشخصية على

حساب الآخرين، لكننا قد نرى الملك الطاغية في وظائف اجتماعية اعتيادية أيضًا، على سبيل المِثال: إن كان لديك مُقابلة، فيجب على من يقوم بها أن يجعل الحوار يدور حول خبراتك وتدريبك وطموحاتك لنفسك وللشركة، لكن عوضًا عن ذلك هو يُمضي المُقابلة في الحديث عن نفسه إنجازاته وسلطته وعن مُرتبه وقواعده، ولا يسألك عن نفسك.

الكثير من الناس ليسوا مُهتمين بالشركات التي يعملون فيها، العديد منهم يعتبرها وظيفة لكسب المال فقط، وهنا نجد المُديرين الذين يهمهم التقدم في السلم الوظيفي الشخصي الخاص بهم أكثر بكثير مما يهمهم خدمة المُجتمع والعمل على مصلحة «المملكة»، فليس لديهم تفانٍ أو إخلاص للعمل أو الشركة، لكن لأنفسهم فقط.

الرجل الممسوس من روح الطاغية حساسٌ جدًّا للنقد، عندما يُقابل أتفه التهديدات سيشعر بالضعف والخوف، لكنه لن يُظهر هذا، ما ستراه - إلا إن كنت تعلم ما تبحث عنه في الإشارات - هو الغضب، لكن تحت هذا الغضب هناك الكثير من قلة القيمة والضعف والتوجس المخيف.

فخلف الطاغية هناك القُطب المُظلم لجانب الملك، الضعيف، والضعيف إن لم يربط نفسه بطاقة الملك؛ سيشعر أنه لا قيمة له.

وجود هذا الجانب السلبي - أي جانب «الضعيف» في الطاغية - يُفسر هذه الرغبة الدائمة للطاغية أن يُحَبَّ وأن يُعبدَ: «أحبوني، اعبدوني، انظروا كم أنا عظيم ومهم!» هذه الظاهرة التي نراها في الكثير من أصدقائنا ومُديرينا.

إنه يُفسر أيضًا هجوم الطاغي على المُستضعفين، فهؤلاء هم الذين يُسقِط عليهم الملك ضعفه الخفي الداخلي.

اللواء «باتون» - بالرغم من محاسنه - لديه خوف خفي من ضعفه وجُبنه الشخصي، يظهر هذا في الفيلم Patton عندما يزور إحدى المُستشفيات الميدانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وهو ينتقل من سرير للآخر ليطمئن على الجرحى والمُصابين ويُكرمهم بميداليات ونياشين، وهذا ما يفعله الملك المُتكامل الصالح عادةً، ثم يُصادف في أحد الأسِرَّة رجل يُعاني من اضطراب نفسي بسبب الحرب، فيسأله ما هي مُشكلته، فيقول له الجندي: إنه مُصاب بانهيار عصبي، وبدلًا من أن يتعامل باتون بعطف وشفقة تجاهه كما يفعل الملك الذي يعلم مقدار الألم والضغط الذي يواجه رجاله، يثور غضب باتون ويصفع الجندي على وجهه، وينعته بالجبان ويُهينه، ثم يأمر بإرساله من المُستشفى إلى خط الهجوم الأول في المعارك.

بالرغم من أن باتون لا يعي ذلك، فما رآه هو جانبه الضعيف الخفي مُسقط على شخص آخر، وكأنه رأى لمحة من «الضعيف» بداخله.

الرجل الواقع تحت سيطرة الضعيف يفتقد للهدوء والثقة والاطمئنان بداخله؛ مما يقوده للبارانويا (الذعر الدائم).

الرجل الواقع تحت سيطرة الظل ثُنائي القُطب للملك، لديه بالفعل الكثير ليخاف منه ويقلق؛ لأن سلوكياته الاستبدادية التي غالبًا ما تتضمن القسوة والوحشية تجاه الآخرين، تُحفز اتخاذ موقف مُماثل من الآخر، فهذا الأسلوب الدفاعي العدائي بدافع «القضاء على الآخر قبل أن يقضي عليك» هو نتاج البارانويا، وهو أسلوب مُدمر للسلام الداخلي والهدوء والنظام النفسي، ويدفع الشخص لتدمير نفسه وتدمير غيره، ويدفع الآخرين إلى الانتقام حتى إن لم يكونوا مضمرين لهذا الشر مُسبقًا.

أحد الكهنة خضع للتحليل النفسي ذات مرة بعد أن نشأت أزمة في كنيسته، فقد تشكلت مجموعة من المُنشقين عن الهيكل الكنسي وقرروا - بدافع حقدهم - التخلص من هذا الكاهن وتدميره.

قائد هذه المجموعة المُتمردة كان يدَّعي أن الله يأتيه كل ليلة ويحدثه في منامه، وأن الله أخبره في حلم ذات مرة أن الكاهن يُريد قتله بسبب تمرده، كانت البارانويا تكبر وتتعاظم في مُدبر هذا الانقلاب، فبدأ بمُضايقة الكاهن ليلًا ونهارًا عن طريق رسائل الكُره والعدائية التي تتضمن تهديدات واضحة، صخب وضجة أثناء الخدمة والقُدَّاس، ومُحادثات في تجمعات الكنيسة عن مدى سوء الكاهن ومدى فشله في وظيفته، ولأن الكاهن لم يكن على صلة جيدة بروح نموذج الملك بداخله، انزلق تدريجيًّا تحت سيطرة الطاغي الضعيف، وأصبح أكثر استبدادًا وقسوة وديكتاتورية في إدارة شئون الكنيسة، يُعطي لنفسه المزيد من الصلاحيات، وبدأ في استخدام أساليب «خبيثة» لطرد المُتمردين خارج الكنسية، ولكن في نفس الوقت، لازمته كوابيس شنيعة كل ليلة، كانت تكشف تلك الكوابيس مخاوفه وضعفه الخفي.

كانت البارانويا تنتشر في الجهتين، وكلا الكاهن وقائد التمرد كانا في عالم مُظلم من الفوضى والقلق، عالم بعيد تمامًا عن التعاليم الروحانية التي كان يُعلِّمها الكاهن لرعيته، إنه انتصار جديد للملك المُظلم.

يُمكننا أن نرى بوضوح علاقة الطاغي بنسخته الصبيانية «الطاغي على الكرسي العالي»، فكلا الجانبين المُظلمين

يعملان بطريقة طفولية، الشعور بالعظمة طبيعي - لحد ما - في حالة الطفل المُقدس، فمن المقبول للطفل المُقدس أن يشعر بهذه العظمة والرغبة في أن يُحَبَّ من الجميع وحتى الملوك.

ما يجب على الأبوين فعله - وهذا صعب التنفيذ جدًّا هو أن يقدموا للطفل المُقدس داخل طفلهم فقط المِقدار الصحيح من الحُب والاعتناء؛ ليتمكنوا من إنزال طفلهم من على «كرسيه العالي» بسهولة، ووضعه في العالم الحقيقي، يجب على الأبوين أن يساعدوا طفلهم ألا يُشخص نفسه كالطفل المُقدس، وبالطبع قد يُقاوم الطفل مُحاولة إنزاله من على عرشه، لكن يجب على الأبوين أن يُثابرا عن طريق توفير الرعاية له لكن أثناء إنزاله من كرسي العظمة رويدًا رويدًا.

فإن عشقوا الطفل جدًّا ولم يُساعدوا شخصيته أن تتطور وتكبر خارج نطاق هذا النموذج الصبياني، فربما لن ينزل أبدًا من على كرسيه العالي، وبتضخمه النفسي بمُساعدة وقوعه الطاغي على الكرسي العالي، عندما يكبر سيظن أنه سيزر القيصر، وعندما نتحدى شخصًا كهذا ونقول له: «يا إلهي، من تظن نفسك؟ أتظن نفسك القيصر؟» ربما يقول: «نعم بالفعل»

هذه إحدى الطرق التي يتشكل بها الملك المُظلم - أي ظل الملك - في الرجال.

الطريقة الأخرى التي يتشكل بها الملك المُظلم تحدث عندما يعتدي الأبوان على الطفل الصغير، ويهاجمان عظمته من البداية، حينها تنشطر عظمة الطفل المُقدس الطاغي على الكرسي العالي وتسكن في اللاوعي للاحتفاظ بها في أمان، وحينها قد يقع الصبي تحت قوة «الأمير الضعيف»، ثم عندما يُصبح الصبي بالغًا ويعمل تحت طائلة «الضعيف»، وفي ظل الضغط الهائل للحياة، قد تنفجر عظمته المكبوتة ظاهرة إلى السطح، فتظهر بصورة بدائية وعشوائية غير مُنظمة تمامًا، ينفجر انفجارًا هائلًا، هذه هي حالة الرجل الذي كان يبدو هادئًا ومُسالمًا، لكنه عندما يترقى أو يحصل على منصب أعلى يتحول لشخص آخر كأنه هتلر صغير، هذا هو الشخص الذي ينطبق عليه تمامًا مقولة: «السُلطة تُفسد، والسُلطة المُطلقة مفسدة مطلقة».

التواصل مع الملك في صورته الإيجابية:

أول خطوة في التواصل الإيجابي مع طاقة الملك هي أن ينفصل الأنا خاصتنا عن هذا النموذج.

يجب علينا أن نترك ما يُسميه عُلماء النفس «مسافة ذهنية» بيننا وبين الملك، في صورته الإيجابية المُتكاملة وكذلك في جانبه المُظلم.

العظمة الواقعية للبالغين، على عكس التضخم والتكبر الطفولي، تتطلب إدارك العلاقة الصحيحة مع هذا النموذج الناضج وباقي النماذج الناضجة الأخرى، هذه العلاقة تُشبه علاقة الكوكب بالنجم الذي يدور حوله، فالكوكب ليس مركز الدوران، النجم هو مركز الدوران، أما وظيفة الكوكب هي الحفاظ على المسافة الصحيحة بينه وبين النجم، فالمسافة هي التي تُحدد إن كان النجم سيُساعد على وجود حياة على الكوكب أو يقضي عليها تمامًا، الكوكب يستمد الحياة من نور النجم، كذلك «أنا» الرجل الناضج يجب أن تعلم أنها مُجرد راعية للهدف الأسمى أو القضية، مهما كانت وظيفتها أو منصبها الحالي، يجب على الأنا أن تعلم أنها خادمة وناقلة لطاقة الملك ليس لمصلحتها هي، بل لمصلحة المملكة - أيًا كان شكلها - وجميع مَنْ بها.

هناك طريقتان يُمكننا النظر بهما إلى القُطب الموجب والقُطب السالب للجانب المُظلم لأي نموذج: الطريقة الأولى - كما رأينا سابقًا - هو رؤية هيكل النموذج كمثلث

أو هرم، أما الطريقة الأخرى هي التحدث عن مدى ارتباط أو انفصال الأنا عن النموذج في شكله المُتكامل، ففي حالة الارتباط، تكون النتيجة هي تضخم الأنا، بالإضافة إلى الثبات على مستوى طفولي من التطور، أما في حالة الانفصال التام، تكون الأنا ممنوعة تمامًا من التواصل مع النموذج، وفي هذه الحالة - في حالة الملك - تكون الأنا مُتعطشة لطاقة الملك.

الملك المُظلم كطاغية، تكون أناه في حالة ارتباط تام بهذا النموذج المُظلم، فلا يكون لديه أي هدف أسمى من نفسه، إنه أولوية نفسه، فأنا الرجل - في هذه الحالة - لم تستطع أن تحافظ على المسافة الكافية بينها وبين نجم النموذج، فاقتربت كثيرًا من الحرارة حتى امتلأت بالغازات المُشتعلة، وكأن الكوكب يدَّعي أنه النجم، فيضيع المركز الحقيقي للنظام، هذه هي الحالة التي نراها في العديد من الأساطير عندما يرغب إله صغير أن يأخذ عرش الإله الأعظم، أو في حالة بعض الأديان، حالة الشيطان الذي يتمرد على الله.

المُشكلة الأخرى في التواصل مع طاقة الملك كما ذكرنا، هي عندما نبتعد تمامًا عن نموذج الملك الذي يُعطي الحياة، في هذه الحالة نسقط في خانة ما يُسمى بـ «اضطراب الشخصية الاعتمادية»، وهي حالة نُسقط فيها طاقة الملك - التي لا نقدر

على أن نتواصل معها بداخلنا - على شخص آخر في الخارج، فنرى أنفسنا عاجزين وغير قادرين على الشعور بالأمان والسلام والهدوء، بدون اهتمام وحب هذا الشخص الذي نُسقط عليه طاقة الملك.

هذا يحدث في النظام العائلي، عندما يُصبح الأزواج خائفين جدًّا من تقلبات أمزجة الزوجات أو العكس؛ فيتحاشون أن يتخذوا أي قرار هام خوفًا من الغضب الذي قد يبدر من الآخر، هذا يحدث أيضًا في حالة الأطفال، عندما لا يؤهلهم الوالدان لتطوير شخصية استقلالية كافية ولا يتمكنان من تكوين ذوق أو تفضيل شخصي، ويبقى الأطفال دائمًا تحت جناح الأبوين.

أما في حالة العمل، يحدث هذا عندما نكون مُعتمدين بشكل مُفرِط على سلطة وقوة المُدير.

ويحدث ذلك أيضًا على نطاق واسع، عندما يرى الشعب نفسه كعبد ويسلم كل طاقة الملك خاصتهم للفوهرير - أي هتلر -، هذه الحالة من نُقصان طاقة الملك - التي تُميز جانب الضعيف - تُشكل نفس الخطورة التي تُشكلها حالة إفراط الطاقة.

أحد الأمثلة عن العواقب المُدمرة للتنازل عن طاقة الملك على نِطاق واسع، هي واقعة حدثت في مدينة «أوتومبا» قرب

ما يُعتبر حاليًا مدينة New Mexico، فأثناء الغزو الأسباني لإمبراطورية الآزتك، «كورتيز» قائد الحملة ورجاله كانوا قد هربوا من مدينة «تينوشتيتلان» في الليل هروبًا من الهجوم الباطش الذي كان يقوم به الجيش المكسيكي على المدينة منذ ستة أيام، في فجر اليوم السابع، الرجال المُتعبون والمرعوبون المُتبقون من جيش كورتيز نظروا من أعلى التل في «أتومبا» فرأوا مجموعة كبيرة من جيش المكسيكيين قادمين باتجاههم بشراسة، بَدَا أن موت الأسبان لا مفر منه، لكن في خضمِّ المعركة، لمح كورتيز راية القائد المكسيكي من على بُعْد، ولأنه يعلم أن حياته وحياة جنوده على المحك، قرر كورتيز التقدم سريعًا، ونجح في اختراق جنود الأعداء، وعندما وصل أخيرًا للقائد المكسيكي، قتله كورتيز بضربة واحدة، وكانت المُفاجأة أن الجيش المكسيكي - الذي كان لديه التفوق العددي - أصابه الذعر وفرُّوا هربًا؛ فلحق بهم الإسبان وذبحوا العديد منهم.

هذه المُعجزة التي قلبت الطاولة على جيش المكسيك وغيرت مسار المعركة، سببها أن الجنود المكسيكيين كانوا يرون قائدهم كالتركيز الكلي والوحيد لطاقة الملك، وعندما قُتلَ هذا القائد؛ ظنوا أن طاقة الملك قد تخلَّت عنهم، أي إن شعورهم الدفين بالضعف وقلة الحيلة صعدت على السطح

عندما مات قائدهم، فاستسلموا لقوة الفوضى، لو أن هؤلاء المُحاربين كانوا يُدركون فقط أن طاقة الملك موجودة بداخلهم كلهم، لما كانت ستُحتل المكسيك أبدًا.

عندما نفقد التواصل مع الملك الداخلي الخاص بنا، ونُسلم قوته - وحياتنا معها - إلى الآخرين، حينها يمُكن التنبؤ أن هناك كارثة على النطاق الكبير ستحدث، ليس على المستوى الشخصي فقط بل على المُستوى الجماعي، فهؤلاء الذين نجعلهم ملوكنا قد يقودوننا لمعارك خاسرة، يستغلون عائلاتنا، ويقتلوننا بشكل جماعي، كما حدث في الأحداث المُرعبة لألمانيا النازية، أو قد يتخلون عنا تمامًا ويتركوننا لضعفنا الخفي.

لكن عندما نتواصل مع طاقة الملك بصورة صحيحة، كخُدام لملكنا الداخلي الذاتي، حينها ستظهر الطاقة في حياتنا وتُعبر عن نفسها بخصائص الملك الصالح، الملك المُتكامل؛ سيركع الجندي المُرتزق بداخلنا أمام الإمبراطور الصيني بداخلنا، سنشعر أن مستوى قلقنا انخفض، سنشعر بالتمركز والهدوء، ستكون لدينا القُدرة على مُباركة أنفسنا والآخرين، سنكون قادرين على الاعتناء بالآخرين بصورة حقيقية وعميقة، سنُقدر الآخرين ونرى إمكاناتهم ونشعر فيهم

بالأمل، سنُدرك أننا نُشارك بفاعلية في خلق عالم أكثر عدلًا وهدوءًا وإبداعًا، سيكون لدينا مسئولية وإخلاص ليس فقط تجاه عائلتنا وأصدقائنا وشركاتنا وقضايانا وأديانا، بل أيضًا تجاه العالم ككل.

المُحارب

نحن نعيش في زمن لا يشعر فيه الناس بالراحة تجاه طاقة الذكورية في شكل المُحَارب، وهذا مُبرَّر لأسباب قوية وصحيحة، النساء خصيصًا يرفضن هذه الطاقة في الرجال، وبحق لهنَّ ذلك، فقد كُنَّ أكثر ضحايا هذه الطاقة في جانبها المُظلم.

في جميع أنحاء العالم، الحروب ومدى وحشيتها وانتشارها في هذا القرن أدت إلى أن ينظُر الناس للطاقة الهجومية بنظرة خوف وريبة، هذا الزمن في الغرب هو زمن «الذَّكَر الناعم»، وهو كذلك زمن يعلو فيه صوت الراديكالية النسوية بالهجوم على طاقة المُحَارِب.

والمُثير والجدير بالمُلاحظة، أن هؤلاء الذين يُحاولون بحماسة التخلص من جذور الطاقة الهجومية الذكورية، يقعون تحت سيطرة جانبها المُظلم، إننا لا يُمكننا مُجرد التصويت على نفي ودحض نموذج المُحارب، فككل النماذج البدائية، يعيش نموذج المُحارب بالرغم من تعاملنا الواعي معه، وككل

النماذج المكبوتة، عندما يُكبَت المُحارب يختفي تحت السطح، لكنه لا يستسلم للأبد، فسرعان ما يعود مرةً أخرى للسطح، وعندئذٍ يظهر بعدوانية مضاعفة سواء على مستوى المشاعر أو بشكل جسدي، كبركان تحمَّل الضغط الهائل لقرون واستجمع الحمم في جوفه، وحان وقت انفجاره.

إن كان المُحارب هو شكل غريزي من أحد أشكال الطاقة، فيجب الاعتراف به وإبقاؤه.

«جين جودال» عالمة الحيوانات الشهيرة التي عاشت مع قبائل الشامبانزي لسنوات عديدة في أفريقيا، أصدرت تقريرًا في البداية يقول: إن هذه المجموعات مُحبة ومُسالمة وطيبة، وذاعت شُهرة هذا التقرير بشكل كبير في الستينات، عندما كان الملايين من الناس يُحاولون استيعاب لماذا تُعتبر الحروب طريقة جذابة للبشر لحل خلافاتهم الكبيرة، ويُحاولون إيجاد طريقة أخرى أكثر سلامًا.

لكن بعد عدة سنين من تقريرها الأول، قامت السيدة جودال بنشر دلائل على وجود أشياء أعمق مما ظنته في البداية، لقد اكتشفت حروبًا وقتلًا واستغلالًا للأطفال وخطفًا وسرقة من قِبَل قبائل الشامبانزي «المُسالمة».

«روبرت أندري» الذي نشر كتابين مُثيرين للجدل، «AfricanGenesis» و«The TerritorialImperative»، ادَّعى - بأكثر الطُرق مُباشرة وصراحة - أن الغرائز هي التي تحكم البشر، وهي ذاتها نفس الغرائز التي تحكم مشاعر وسلوكيات الحيوانات، ومنها الرغبة في القتال، كذلك وجدت العديد من الدراسات الحديثة في علم الرئيسيات أن الطيف الكامل للسلوكيات البشرية يُمكن رؤيته بوضوح في الرئيسيات كلها، أو على الأقل نبذات عن هذه السلوكيات.

ما هو تفسير ظاهرة الأغنياء الذين يذهبون للغابة في عُطلات نهاية الأسبوع ليلعبوا ألعاب حرب، يختبئون بين الأشجار، ويُنظمون هجمات ضد بعضهم باستخدام بنادق الطلاء (Paintball Gun) ساعين لقتل بعضهم، وكذلك الذين يذهبون لأماكن طبيعية معزولة ليتمرنوا على النجاة ويكونوا على حافة الخطر والموت، ما هي الطاقة الخفية خلف عصابات المدينة التي تُنظم الميليشات؟ ما هو سبب شُهرة أفلام مثل «رامبو» وأفلام «أرنولد شوارزنيجر»، وشهرة أفلام الحرب مثل «Apocalypse Now- Platoon - Full Metal Jacket» والعديد من الأفلام المُماثلة الأخرى؟

يُمكننا أن نستنكر ونُدين العنف في الأفلام، لكن هذا لن ينفي أن روح المُحارب حية بداخلنا[1].

كل ما علينا فعله هو إلقاء نظرة على تاريخ جنسنا البشري، التاريخ الذي حُدِّدَ بشكل كبير عن طريق الحروب، إننا نرى عادات المُحارب العظيم وتمجيده في مُعظم الحضارات.

في عالمنا المُعاصر، قد حُدِّدَ شكل العالم كله - جغرافيًا واقتصاديًا وسياسيًا - عن طريق حربين عالميتين، ويبدو أن هناك حربًا ثالثة تلوح في الأفق، يبدو أن هناك مُشكلة كبيرة هنا، بعض عُلماء النفس يُرجحون أن هذا العداء البشري الذي ينتج من غضب طفولي، هو ردة فعل طبيعية للطفل تجاه ما سماه أليس ميلر «التربية السامة»، التي تستغل الأطفال الذكور والإناث.

نحن نؤمن جدًا بوجهة النظر هذه، خصوصًا في ضوء انتشار ما سميناه «الجانب المُظلم للمُحارب» أو ظل المُحارب، لكننا نؤمن أن المُحارب يجب ألا يرتبط بالغضب البشري، بل على العكس، وكذلك نؤمن أن هذه الطاقة التي هي ذكورية في مُعظمها وليس كلها - فهناك أساطير وتقاليد لمُحاربات

---

(١) في نفس هذا السياق، يمكن التأمل أيضاً في انتشار و شعبية الألعاب الإلكترونية الخاصة بالحرب و القتال، خصيصاً في اوساط الشباب. المترجم.

إناث أيضًا - تبقى حية وقوية؛ لأنها جزء أساسي في الهيكل السيكولوجي الذكوري، وهي بالتأكيد مُتجذرة في جيناتنا.

عندما نبحث في تقاليد المُحارب بتعمق، يُمكننا رؤية ما حققته تلك التقاليد في التاريخ.

على سبيل المِثال، المصريون القُدماء كانوا شعبًا طيبًا ومُسالمًا لقرون عديدة، وكانوا في أمان في وادي النيل، بمعزل عن أي أعداء مُحتملين، فقد كان حاجز الصحراء المُحيطة بمصر وحاجز البحر المتوسط في الشمال يُبقي الأعداء بعيدًا، فتمكَّن المصريون من بناء مُجتمع وحضارة مُستقرة بشكل مُذهل، كانوا يؤمنون بتناغم الكون وكل ما فيه، الكون المُنظم من «ماعت».

ثم في حوالي السنة الـ١٨٠٠ قبل الميلاد، تم احتلال مصر من خلال دلتا النيل من قِبَل مجموعات من القبائل العدوانية يُسمون الهكسوس، وكان لدى المُحاربين الهكسوس أحصنة حرب وعربات حرب، وكانت في هذه الأيام أسلحة حرب فعالة ومُدمرة، وكان المصريون خصمًا ضعيفًا؛ لأنهم لم يعتادوا هذه العدوانية والقوة الوحشية، في النهاية احتل الهكسوس مُعظم أراضي مصر وحكموها بالحديد والنار.

في القرن السادس عشر قبل الميلاد - أي بعد حوالي ٢٠٠ سنة من الاحتلال - استجمع المصريون قوتهم وحاربوا دفاعًا عن أنفسهم وأرضهم، وظهر فراعنة من الجنوب تمكَّنوا من توحيد طاقة الملك الأصلية لديهم مع طاقة المُحارب المولودة حديثًا، وسار هذا الجيش العظيم شمالًا للقضاء على الهكسوس وطردهم، ولم ينجحوا فقط في استرجاع أراضيهم وسحق الأعداء، بل امتدوا شمالًا تجاه فلسطين وآسيا وأسسوا إمبراطورية عظيمة، خلال هذه العملية، نشر المصريون حضارتهم - الفن والعلم والدين والأفكار - في أرجاء المنطقة كلها من خلال فتوحاتهم.

الملوك الفراعنة العُظماء كـ «تُحتمس الثالث» و«رمسيس الثاني» لم يؤمّنوا ويحموا مصر فقط، بل قدموا أفضل ما في حضارتهم للعالم أجمع.

بفضل اكتشاف وتواصل المصريين القُدماء مع المُحارب بداخلهم، تم تعليمنا - نحن الحضارة الغربية وباقي العالم - مفاهيم الثورية و الأخلاق، وكذلك مفاهيم ما زالت أساسية حتى اليوم كالحساب بعد الموت والجنة والجحيم.

قصة مُشابهة يُمكن ذكرها عن حضارات ما بين النهرين، التي تمكنت - من خلال طاقة المُحارب أيضًا - من البعث بمعرفة مهمة للغاية لحضارات مُستقبلية.

في الهند، طبقة من المُحاربين تُسمى الكشاتريا Kshatriya، تمكنت من السيطرة على شبه القارة الهندية، ووضْع الأساسات لنشوء الهند لتكون المركز الروحاني للعالم، أما في الشمال في بلاد فارس، تمكَّن الملوك المُحاربون الزرادشتيون من نشر دينهم إلى الشرق الأدنى، هذا الدين الذي أثَّر بشكل ملحوظ على العديد من الأديان التي نشأت في هذه المنطقة.

كذلك العبرانيون في التوراة، كانوا في الأساس شعبًا من المُحاربين يتبعون الملك المُحارب داود، حتى الأباطرة الرومان المُحاربون - كالإمبراطور الفيلسوف «ماركوس أوريليوس» - قاموا بعمل مُماثل في أوروبا، ودعونا لا ننسى إسبرطة، التي تمكنت مجموعة صغيرة من المُحاربين العظماء بها أن يمنعوا - في السنة الـ ٥٠٠ قبل الميلاد - الغزو الفارسي لأوروبا، مُنقذين بهذه الشجاعة أُسس وبراعم الديمقراطية الأوروبية.

في أمريكا الشمالية، الأمريكيون الأصليون عاشوا وماتوا بطاقة المُحارب في حياتهم، وكانت هذه الطاقة تُرشدهم في كل صغيرة وكبيرة في أفعالهم، فكانوا يعيشون حياتهم بنبل وشجاعة، وبمقدرة هائلة على تحمُّل الصِعاب والألم، ودافع

هؤلاء المُحاربون عن شعبهم ضد بطش العدو الهائل - المُحتلين البيض - قافزين إلى المعارك بعزيمة وهم يقولون: «اليوم يوم جيد لنموت فيه!»

ربما علينا أيضًا النظر دون انحياز إلى المُحاربين العُظماء في هذا القرن، ومنهم الجنرالات: «باتون» و«ماكارثر»، فقد كانوا استراتيجيين بدرجة عالية، ورجالًا بشجاعة عظيمة، ووهبوا أنفسهم لأهداف أسمى من حياتهم الشخصية، ومن ثَمّ علينا أن نُعيد النظر في التقليد الياباني العظيم للساموراي، فقد كانوا على أشد درجة من الإخلاص والانضباط، وبنى هؤلاء الرجال الأمة اليابانية وحافظوا على استمرارية ثقافتهم، وهم الآن في العصر الحديث يحتلون العالم بالعلم والتكنولوجيا.

إذن فمن الواضح أن طاقة المُحارب - أيًا كان شكلها - هي بالفعل موجودة عالميًا في داخلنا كرجال، وفي الحضارات التي نحن جُزء منها ومن بنائها، إنها عامل أساسي في قُدرتنا على بناء العالم، وهي كذلك ضرورية للحفاظ على ثقافتنا ومعرفتنا ونشر القيم والإنجازات البشرية العظيمة إلى جميع أنحاء العالم.

الصحيح أيضًا أن طاقة المُحارب غالبًا ما تنحرف عن مسارها الإيجابي، وعندما يحدث هذا تكون النتيجة مُدمرة، لكن يظل علينا أن نسأل: لماذا هي موجودة بداخلنا؟ وما وظيفة المُحارب في تطور الحياة البشرية؟ وما ضرورة وجودها في النفس البشرية للإنسان؟ ما هي خصائص المُحارب؟ وكيف يُمكن لهذه الخصائص أن تُساعدنا في حياتنا الشخصية وفي عملنا؟

المُحارب في صورته المُتكاملة:

خصائص المُحارب في صورته الإيجابية المُتكاملة تمتد لأسلوب وطبيعة حياته ككل، ما سماه الساموراي «الدو» «ال»، هذه الخصائص تُشكل المسار السيكولوجي أو الروحاني للمُحارب خلال حياته.

لقد ذكرنا سابقًا الهجومية - شكل إيجابي للعدوانية - كأحد سمات المُحارب، والهجومية هي موقف حياتي يدفع للنشاط، الشحن والتحفيز، هي الدافع الذي يقودنا للهجوم والتخلي عن الموقف الدفاعي أو السلبي تجاه مهام الحياة وصعابها.

كان الساموراي ينصح دائمًا «بالقفز» داخل المعركة بالروح الكاملة للـ «كاي» Ki أو الطاقة الأساسية بكل ما أوتي الإنسان من عزيمة، تقاليد المُحارب الياباني كانت تقول: إن

هناك موقعًا واحدًا فقط يجب على الإنسان اتخاذه تجاه معركة الحياة: الموقع الأمامي، كما كانت التقاليد تقول: إن هناك اتجاهًا واحدًا فقط: إلى الأمام.

في المشهد الافتتاحي الشهير لفيلم Patton، نرى الجنرال وهو بزيِّه الحربي الكامل، وعدة مُسدسات حول خصره، وهو يُعطي خطابًا تحفيزيًّا لجيشه، «باتون» يُخبر جنوده بأنه ليس مُهتمًّا بالمُحافظة على الموقع في المعركة، فيقول: «لا أريد أن أتلقى أي رسائل تقول: إننا نُحافظ على موقعنا، نحن نتقدم للأمام دومًا، فلسنا مُهتمين بأي شيء سوى القضاء على العدو، سنركلهم حتى الموت ونخترقهم كما يُخترق البط.»

الهجومية المُلائمة في الظروف المُناسبة - الظروف التي تكون مُفيدة لتحقيق الهدف المطلوب - هي نصف المعركة.

كيف يعرف المُحارب مقدار الهجومية المطلوب بحسب الظروف؟ يعرف هذا عن طريق فطنته، عن طريق التفكير الواضح والمُتزن، فالمُحارب يجب أن يكون يقظًا وواعيًا دائمًا، يعرف كيف يُركز عقله وجسده، يجب أن يكون - كما يقول الساموراي - «مُتأملًا بوعي»، إنه «صياد» في تقاليد الهنود الحمر، فكما يقول «دون جوان»: المُحارب يعرف ما يُريد، ويعرف كيف يحصل عليه.

بسبب وضوح تفكيره، يكون المُحارب استراتيجيًّا ماهرًا وتكتيكيًّا رهيبًا، يُمكنه تقييم وضعه وظروفه بدقة، ثم يؤقلم نفسه مع الوضع الحالي.

أحد الأمثلة على هذا هو تكتيك «حرب العصابات»، إنه تقليد قديم لكنه أصبح كثير الاستخدام منذ القرن الثامن عشر، المُتمردون الكولونيليون استخدموا هذا الأسلوب في الحرب الثورية الأمريكية، كذلك الشيوعيون في الصين، ولاحقًا في فيتنام، تحت قيادة الاستراتيجي المُحترف Ho Chi Minh استخدموا هذا الأسلوب في القضاء على أعدائهم من الجيوش البطيئة وحققوا نجاحًا باهرًا وحديثًا، تم استخدام هذا الأسلوب من قِبَل المُحاربين الأفغان في المُقاومة ضد الاحتلال السوفيتي.

المُحارب يعرف متى يواجه أعداءه بالطرق التقليدية ومتى يحتاج لأساليب مُبتكرة، فهو يُقيِّم بدقة شديدة قوته الذاتية ومهاراته وإمكانياته، وإن وجد أن الهجوم المُباشر التقليدي لن يُجدي نفعًا يقوم بالمراوغة، ويجد نُقطة الضعف في خصمه، ثم «يقفز» إلى المعركة.

وهنا يكمن فرق هام بين البطل والمُحارب، فالبطل - كما ذكرنا - لا يعرف حدوده وقُدراته، فهو رومانسي تجاه نِقاط ضعفه، المُحارب - من الناحية الأخرى - بفضل وضوح عقله وحكمة تفكيره، يتمكن من التحليل بواقعية، ويقوم بتقييم قُدراته وحدوده في أي ظرف.

في التوراة هناك قصة تُعطي مِثالًا عن هذا، فالملك داود الذي كان يحارب جيوش الملك شاؤول الأكثر قوة وعددًا، تجنَّب أولًا المواجهة المُباشرة مع جنود شاؤول؛ مما جعل شاؤول يتعب من مُلاحقته، فداود وجنوده كانوا يستخدمون تكتيكًا يُشبه حرب العصابات، كانوا غير مُتمركزين في مكان مُعين، وسريعين ومُراوغين، ثم قيَّم الملك داود وضعه بواقعية، وهجر مملكة شاؤول وذهب لملك فلسطين، ومن هذا الموقع، كان لديه آلاف الجنود الفلسطينيين تحت أمره، ووضع نفسه في موقع السيطرة أمام شاؤول.

أحيانًا مقولة: «إلى الأمام، دائمًا إلى الأمام» تعني التحلي بالحنكة، واستخدام وتغير التكتيكات، تعني المرونة واصطياد اللحظة المُناسبة.

المُبارزة بالسيف الحديثة (الشيش) تستخدم هذه المرونة، فالمُبارز لا يُدرب جسده فقط، بل يُدرب عقله أيضًا، فهو

،علم أن يُفكر بسرعة البرق، وأن يبحث ويكتشف دائمًا النقاط
مبر المحمية في جسد ووضعية خصمه، ثم يهجم في الوقت
المُناسب؛ فيُحرز النقاط.

أحد طُلاب الجامعة الشباب صرح ذات مرة أن أداءه
الدراسي تحسَّن بشكل ملحوظ بعد أن بدأ يتدرب على
المُبارزة، فقد تعلم أن يُلاحظ بسرعة ودقة شديدة الأجزاء
المُهمة في المُحاضرات والفصول المُعقدة، وأن يكشف
،ماط الضعف في الحجج المطروحة، ثم يتحدى هذه النقاط
،حدة نظر وثقة كبيرة في النفس لم يشعر بها من قبل؛ مما جعل
أساتذته وزُملاءه يتخلون عن حججهم أو يهذبون أفكارهم،
قد عرف ما يحتاج، وعرف كيف يحصل عليه.

تؤكد جميع تقاليد المُحاربين أن ما يُمَكِّن المُحارب من
تحقيق نقاء الذهن ووضوح التفكير هو إدراكه لموته المحتوم،
المُحارب يعلم ما مدى قصر الحياة ومدى هشاشتها، الرجل
الذي يُرشده المُحارب يعلم تمامًا كم هي قليلة أيام حياته،
وبدل أن تُصيبه هذه الحقائق بالاكتئاب، يدفعه هذا الإدراك
لإنتاج قدر فائض من قوة الحياة، ويجعله هذا الإدراك يعيش
أيامه مُفعمًا بالعزيمة والطاقة.

كل فعل يفعله المُحارب يراه مُهمًّا وذا جدوى، كل عمل يقوم به كأنه الأخير، سيَّافو الساموراي كانوا يتعلمون أن يعيشوا حياتهم كأنهم أموات بالفعل، يُقول دون جوان: عندما نعيش حياتنا وكأن الموت يُرافقنا في كل لحظة، حينها سنرى أن ليس هناك أي وقت لفعل شيء دون معنى.

لا يُوجد وقت للتردد، فهذا الإحساس بحتمية الموت يدفع الرجل المُتواصل مع طاقة المُحارب لأن يأخذ القرار الحاسم، هذا يعني أنه دائمًا «يعيش» حياته، ولا ينسحب منها أبدًا، إنه لا «يُفكر أكثر من اللازم» أبدًا؛ لأن التفكير المُفرِط يقود للشك، والشك يقود للتردد، والتردد يقود لعدم الفعل، وعدم الفعل يمكن أن يقود لخسارة المعركة، أي إن المُحارب يتجنب «الشك في الذات» كما نُعرِّفه، أفعاله تنتج من طبيعته بعفوية، كأنها أفعال لا إرادية بدون وعي، لكنها أفعال درَّب نفسه عليها من خلال العمل الدؤوب والانضباط الصارم، وفي الحقيقة يتم تدريب جنود القوات الخاصة بهذه الطريقة، فجندي القوات الخاصة الجيد هو من يقدر أن يأخذ القرار المُناسب في جزء من الثانية، ثم يقوم باتخاذ الفعل الحاسم.

أخيل البطل الأسطوري في قصة طروادة، (على اليمين)
وهو يداوي جراح زميله «باتروكلوس».

أحد الرسومات للفنان «سوسياس» على إناء خزفي إغريقي
من سنة ٥٠٠ قبل الميلاد.

عامل مُهم آخر يؤدي إلى التعامل بحسم في أي موقف حياتي - بجانب الهجومية ونقاء الذهن وإدراك الموت- هو التدريب، فطاقة المُحارب تسعى للمهارة والقوة والدقة، وتسعى للتحكم الداخلي والخارجي: السيكولوجي

والجسدي، طاقة المُحارب تسعى لتدريب الرجال ليُصبحوا «كل ما يُمكن أن يُصبحوه» - أي تحقيق إمكاناتهم القصوى سواء في التفكير أو الشعور أو الحديث أو الأفعال.

على عكس أفعال البطل، أفعال المُحارب لا تكون مبالغه أبدًا، لا تكون درامية بدافع الدراما، المُحارب لا يتصرف أبدًا بدافع إثبات نفسه فقط، المُحارب لا يبذل مجهودًا أكبر مما يجب بذله، ولا يتكلم كثيرًا، شخصية «بول برينير» في فيلم The Magnificent Seven هي مثال عظيم عن التحكم الذاتي، فهو يتكلم قليلًا، يتحرك بقدرة جسدية هائلة، وهو فوق هذا متخصص في حرفته التكنولوجية، وهذا جانب آخر من جوانب مهارات المُحارب، براعته في استخدام «التكنولوجيا» التي تدعمه في الوصول لهدفه، إنه يُطور مهارته في استعمال «أسلحته» التي يستخدمها لتنفيذ قراراته الحاسمة.

قُدرة المُحارب في التحكم والتنظيم تبدأ من تحكُّمه وتنظيمه لعقله ومواقفه، فإن استقاموا يستقم له كل شيء.

الرجل الذي يتواصل مع طاقة المُحارب بصورة إيجابية لديه «عقلية إيجابية» كما يُقال في التدريب على المبيعات، يعني هذا أن لديه روحًا لا تُهزم، أن لديه شجاعة فائقة، أنه لا يخاف، أنه يتحمل مسئولية أفعاله، وأن لديه انضباطًا ذاتيًا.

الانضباط يعني أن لديه صرامة في التحكم ببراعة عقله ، مسده، ولديه القدرة على تحمُّل الألم النفسي والجسدي، المحارب مُستعد ليُعاني من أجل ما يُريد تحقيقه.

فسواء كنت صيادًا - حرفيًّا - جاثمًا لساعات في نفس الوضعية في أوقات البرد القاسي مُنتظرًا الفريسة، أو كنت مُدرب تراياثلون، أو كنت طالبًا في كلية الطب، أو كنت مُديرًا يحتمل الهجمات الطائشة لأعضاء مجلس الإدارة، أو كنت زوجًا تحاول أن تحل الصعوبات مع زوجتك، تعلم أن الانضباط لعقلك - وربما لجسدك أيضًا - ضروري.

طاقة المُحارب تمتاز أيضًا بما نُسميه الالتزام بهدف «فوق شخصي»، أي إخلاصه لشيء ما (قضية، إله، مُهمة، شعب) أعظم قدرًا من نفسه ومصلحته الذاتية.

في قصص الملك آرثر الشهيرة، يظهر الفارس «لانسيلوت» مثالًا على هذا، فبالرغم من أنه مُخلص تمامًا للملك آرثر و«جوينفير»، هو ملتزم بشدة بأسس الشهامة والفروسية، ومؤمن بالدور النبيل لرفع الظلم عن المظلومين، لكن بالطبع، بسبب حبه لـ «جوينفير» يحاول لانسيلوت تدمير ما يرمز لهدفه فوق الشخصي، لكنه يفعل هذا - للمُفارقة - بدافع حبه، الذي

هو شخصي وفوق شخصي في ذات الوقت، لكنه يفقد بالفعل تواصله مع طاقة المُحارب ويفشل في أن يُصبح فارسًا نبيلًا.

الالتزام بهدف فوق شخصي يكشف سمات أخرى لطاقة المُحارب، أولًا: أنه يجعل كل العلاقات الشخصية نسبية، أي يجعلها أقل أهمية من الهدف فوق الشخصي، بالتالي فنفسية الرجل الذي يتواصل مع المُحارب بصورة صحيحة تكون مُنظمة حول التزامه بهدفه المركزي فوق الشخصي، هذا الالتزام يقضي على الكثير من التفاهة البشرية، فالعيش تحت نور أفكار مُتسامية ووقائع روحانية مثل الله والديمقراطية والحرية والوطنية والعدل أو أي هدف فوق شخصي عظيم آخر، يُحوِّل تمامًا تركيز الإنسان وأسلوب تفكيره وحياته، فتُصبح هذه التفاهة ومضيعة الوقت والمصالح الشخصية الضيقة - التي يهتم بها في العادة مُعظم البشر - لا تعنيه.

هناك قصة قديمة عن ساموراي كان يعيش مع مُعلم عظيم، ثم تم قتل مُعلمه من قِبَل رجل من الأعداء، وأقسم الساموراي على الثأر لمُعلمه، بعد تتبع القاتل لسنوات طويلة، وبعد تقديم تضحيات شخصية هائلة، والمرور بصعوبات ومخاطر مُدمرة، وجد الساموراي أخيرًا القاتل، عندما سحب الساموراي سيفه ليقتل الرجل، بصق الرجل بسرعة على وجهه؛ فتراجع الساموراي وأغمد سيفه واستدار ورحل.

لماذا؟ رحل الساموراي لأنه كان غاضبًا أنه بُصِقَ عليه، ففي هذه اللحظة كان سيقتل المُجرم بدافع غضبه الشخصي وليس بدافع التزامه بالثأر لمُعلمه، كان دافع القتل سينبُع من أناه ومشاعره الشخصية، وليس من المُحارب بداخله؛ لذا ليكون مُخلصًا لطاقة المُحارب كان عليه أن يرحل ويدع المُجرم يعيش.

إذن فإخلاص المُحارب، وحس الواجب بداخله هما دائمًا شيء أعلى وأعظم من نفسه ومُتطلباته، أما إخلاص البطل كما رأينا يكون دائمًا لنفسه؛ ليُثير إعجاب نفسه ويُثير إعجاب الآخرين، في هذا السياق أيضًا، المُحارب يُعتبر زاهدًا، فهو يعيش حياة مُعاكسة تمامًا لحياة مُعظم البشر، فهو يعيش ليس لتحقيق احتياجاته الشخصية وإرضاء رغباته المادية، لكن ليشحذ نفسه ليُصبح سلاحًا روحانيًا فعالًا، سلاحًا مُدربًا لتحمل ما لا يُمكن احتماله في خدمة الهدف فوق الشخصي.

نحن نعرف قصة نشأة المسيحية والبوذية، المسيح كان عليه أن يُقاوم الإغراءات التي صورها له الشيطان في البرية، وبوذا كان عليه أن يتحمل الإغراءات الثلاثة تحت شجرة البو، فقد كانوا مُحاربين روحانيين.

كذلك في الإسلام، فالرسول مُحمد كان مُحاربًا، وكذلك أتباعه وصحابته، فقد خاضوا العديد من الحروب لنشر الإسلام والدفاع عنه ضد الأعداء.

هذا الإخلاص التام للهدف فوق الشخصي أو الفكرة العظيمة لدرجة نُكران الذات، يقود الرجل لسمة أخرى من سمات المُحارب، فهو معزول عاطفيًّا طالما هو متواجد في نموذج المُحارب، هذا لا يعني أن الرجل المتصل بنموذج المُحارب في صورته المُتكاملة يكون قاسيًا أو وحشيًّا، بل يعني أنه لا يتخذ القرارات أو يقوم بتطبيقها عمليًّا بدافع الارتباط العاطفي لأي أحد أو لأي شيء سوى هدفه العظيم، إنه - كما يقول دون جوان - «غير مُحتاج»، ومعنى أن تكون غير مُحتاج هو أن تتواصل مع العالم من حولك بزهد، بانفصال عاطفي، وهذه الخاصية هي أحد أسس نقاء الذهن أيضًا، فهو ينظر لمهامه وقراراته وأفعاله من منظور غير عاطفي.

تدريب الساموراي كان يتضمن التمرين التالي: في أي وقت تشعر فيه بالخوف أو اليأس، لا تقل لنفسك: «أنا خائف» أو «أنا يائس»، لكن قل «هناك شخص ما خائف» أو «هناك شخص ما يائس»، «والآن ماذا يُمكن أن يفعله هذا الشخص حيال ذلك؟»

هذه الطريقة المُنفصلة في التعامل مع موقف خطر تجعل الموقف موضوعًا - تُموضِع الموقف - وتسمح للتفكير بشأنه أن يسلك طرقًا أوضح وأكثر استراتيجية، فيتمكن حينها المُحارب من أن يُفكر ويُقرر ويتصرف بترابط أقل بمشاعره الشخصية، فيتصرف بقوة وثقة وفاعلية عند إزالة عائقه الشخصي.

كثيرًا ما نحتاج في حياتنا لأن «نأخذ خطوة للخلف» - كما نقول - تجاه موقف مُعين؛ لنحصل على منظور مهم أو جديد، لنتمكن من التصرف، المُحارب يحتاج المساحة لتحريك سيفه، يحتاج للانفصال خارجيًا عن عدوه، وداخليًا عن مشاعره السلبية، المُلاكمون في الحلبة يفصلهم الحكم عندما يُصبحون قريبين جدًا.

المُحارب يكون غالبًا مُدمرًا، لكن طاقة المُحارب الإيجابية تُدمر ما يجب تدميره فقط؛ ليتمكن شيء جديد وأكثر حياة وفائدة من الظهور، العديد من الأشياء في عالمنا نحتاج للتدمير، الفساد والطُغيان والاستبداد والبيروقراطية الهرمية المُفرطة التي تؤثر على أداء الشركة، أساليب الحياة والوظائف التي لا تهب المعنى العميق والعلاقات الزوجية السامة، وباستخدام هذا التدمير، تبدأ طاقة المُحارب في عملية

بناء جديد وحضارة جديدة وفن جديد وأساليب روحانيه جديدة وعلاقات جديدة.

عندما تتصل طاقة المُحارب بالطاقات الناضجة الأخرى، يسطع شيء باهر، عندما يتصل المُحارب بالملك، يُصبح خادمًا وحاميًا للمملكة، وتكون قراراته الحاسمة، نقاء ذهنه وانضباطه وشجاعته بالفعل خلاقة وكريمة.

تداخل المُحارب مع نموذج الساحر هو ما يُمكنه من تحقيق البراعة والتحكم الهائل في قُدراته ومهاراته النفسيه والعقلية والجسدية، فأستاذية الساحر هي ما تُمكِّن المُحارب من توجيه قوته في سبيل تحقيق أهدافه.

اختلاط المُحارب مع طاقة نموذج المُحب يَهبه العطف والشفقة، والشعور بالتواصل مع الأشياء جميعًا، فطاقة المُحِب هي ما تُعيد تواصل المُحارِب مع البشر، بكل ضعفهم وهشاشتهم، فالمُحب يجعل المُحارب يحتفظ بالعطف والشفقة حتى أثناء القيام بمهامه الهجومية.

التحالف بين المُحارب والمُحب يُنتج تأثيرات أخرى على طاقة المُحارب، الإمبراطور ماركوس أوريليوس كان فيلسوفًا، وينستون تشرشل كان رسامًا، المُحارب الفنان الياباني ميشيما كان شاعرًا، حتى الجنرال باتون كان شاعرًا.

لكن عندما يعمل المُحارب وحده - غير مُرتبط بهذه النماذج الأخرى - تكون التبعات للرجل الذي يتواصل مع طاقة المُحارب كارثية، حتى إن كان تواصلًا إيجابيًّا مع المُحارب في صورته الإيجابية المُتكاملة، فكما قلنا: المُحارب في طاقته الخام يكون معزولًا عاطفيًّا، فإخلاصه للهدف فوق الشخصي يفصله عن أهمية علاقاته الإنسانية، يُمكن رؤية هذه المُشكلة في موقف المُحارب تجاه الجنس.

فالنساء - بالنسبة للمُحارب - لا تكمن أهميتهنَّ في بناء علاقة قوية وحميمية معهنَّ، بل هنَّ للمُتعة، وهذه الظاهرة تُفسر انتشار المُومسات حول المُعسكرات الحربية في الحروب، وهي أيضًا تُفسر الظاهرة الشنيعة لاغتصاب النساء في الأرض المحتلة.

حتى إن كان للرجل المُحارب عائلة، فإخلاص المُحارب التام للمهام الوظيفية الأخرى يؤدي في الأغلب إلى مشاكل عائلية، قصة زوجة الجندي الوحيدة المنبوذة هي قصة نراها مرارًا وتكرارًا في الأفلام؛ لأنها تُعبر عن نمط حقيقي.

ويحدث نفس الشيء خارج الجيش أيضًا، في علاقات وعائلات الرجال الذين تتطلب وظائفهم قدرًا كبيرًا من الإخلاص للهدف فوق الشخصي، وساعات طويلة من العمل

المُجهد والتضحيات الشخصية، الوزراء والأطباء والمُحامون والتجار ورجال الأعمال وغيرهم تكون لديهم حياة شخصية وعاطفية بائسة، تشعر زوجاتهم بالوحدة والرفض وعدم الاهتمام، يشعرن أنهن يتنافسن بدون أمل مع الحب الحقيقي للرجل؛ عمله.

بالإضافة إلى أن هؤلاء الرجال - الذين يتخذون الموقف السلبي للمُحارب بشأن الجنس - غالبًا ما يقيمون علاقات مع مُمرضاتهم وسكرتيراتهم، والنساء الأخريات في مكان العمل؛ لأن هؤلاء النساء يُعجَبْنَ من بعيد بالعزيمة والفاعلية الذكورية للمُحارب دون أن يروا وجهه الآخر.

* الجانب المُظلم للمُحارب: السادي والمازوخي

انعزال طاقة المُحارب عن العلاقات الإنسانية يؤدي إلى مشاكل حقيقية كما رجحنا، هذه المشاكل تُصبح مُدمرة للرجل عندما يكون عالقًا في الظل ثُنائي القُطب للمُحارب (الجانب المُظلم للمُحارب)، في فيلم The Great Santini يقوم «روبرت دوفال» بلعب دور مُحارب طيار يُدير شئون عائلته كأنها نموذج مُصغر للثكنة العسكرية، فتكون مُعظم تصرفاته وتعليقاته تجاه

روجته وأولاده مُهينة وناقدة ومُسيطرة ومُصممة لإبقاء مسافة كبيرة بينه وبين أفراد عائلته، بينما هم يحاولون دائمًا التواصل معه بحب وحنان، التأثير المُدمر لهذه الطريقة في «التعامل» مع العائلة تُصبح في النهاية واضحة للجميع، خصوصًا للابن الأكبر، لدرجة أنه أصبح لا مجال لإخفاء حقيقة أن تصرفات «سانتيني» العدائية هي ناتج لعدم قُدرته الشخصية على العطف والشعور بالحميمية الحقيقية، «سانتيني العظيم» تحت سيطرة نموذج السادي (القُطب المُوجب للجانب المُظلم للمُحارب) دائمًا يستخدم سيفه العاطفي تجاه الجميع، تجاه بناته اللواتي يُردن أن يُعامَلْنَ كبنات وليس كجنديات، تجاه ابنه الأكبر الذي يحتاج للدعم والإرشاد وليس القسوة، وحتى تجاه زوجته، هناك مشهد مُروِّع يحدث في المطبخ، عندما ينفجر الجميع أخيرًا، سانتيني يعتدي على زوجته بالضرب، ثم يقوم أولاده بمُهاجمته.

بالرغم من أن الانفصال المشاعري في حد ذاته ليس سيئًا بالضرورة، إلا أنه يفتح الباب لشيطان القسوة، فلأن المُحارب ضعيف جدًّا في مجال العلاقات المبنية على الحب، يحتاج الرجل المُحارب أن تكون مشاعره تحت السيطرة، لكن دون ثبات وإلا ستتسلل القسوة من خلاله دون أن يُلاحظ.

هناك نوعان من القسوة: القسوة مع الرغبة الدموية، والقسوة بدون الرغبة الدموية، مثال على النوع الأول: هو التدريب الذي كان النازيون يستخدمونه في تدريب ضباط الـ SS، وكان يتضمن أن يتبنى الضباط المُرشحون جِراءً - كلابًا صغيرة - ويعتنون بها بجميع الطرق، يُعالجونها عند المرض، يُطعمونها ويلعبون معها، ثم في لحظة عشوائية يُحددها قائد الضباط، يؤمر هؤلاء الرجال أن يقتلوا جراءهم، وأن يفعلوا ذلك بدون إبداء أي شعور أو تردُّد، وقد أثبت هذا التمرين فاعليته في تكريس السادية وبرودة المشاعر الإنسانية؛ لأن هؤلاء الرجال أصبحوا بالفعل آلات التدمير التي تُدير عمليات القتل في مُعسكرات الموت، فكانوا يقتلون المُعتقلين الأبرياء بمنهجية وبدون أي مشاعر، كما كانوا يُعذبون الملايين من البشر بوحشية تامة، بينما يرون أنفسهم كـ «أشخاص طيبين» يقومون بخدمة للوطن والمُجتمع.

صورة عصرية للمُحارب الذي يتحول لآلة قتل باردة هي بالطبع شخصية «دارث فيدر» من أفلام Star Wars، وكم هو أمر مُرعب عدد الشبان الذين يرون أنفسهم فيه.

أحيانًا تكون قسوة السادي انتقامية مع رغبة دموية، والروح الانتقامية لدى المُحارب تنشأ فيه عندما يكون خائفًا جدًا

غاضبًا جدًّا، فنرى لدى الرجال «شهوة للقتل» - حرفية أو رمزية - عندما يكونون في معارك وحروب حقيقية، أو في ظروف حياتية مُخيفة أخرى، هناك مشهد في فيلم Apocalypse Now يظهر فيه الطاقم في السفينة المدفعية الأمريكية عندما يواجهون زورقًا صينيًّا، فيُذعرون ويقتلون كل مَنْ على الزورق، وحين يهدأون يكتشفون أن مَنْ قتلوهم توًّا هم مُجرد مجموعة من القرويين الأبرياء الذاهبين للسوق، هناك أيضًا مشهد مُماثل في فيلم Platoon ويظهر فيه الجنود وهم يُطلقون النار على قرية فيتنامية مسكينة.

بجانب هذه القسوة والرغبة في التدمير والقتل، تظهر سمة أخرى، وهي كره الضعف والهشاشة، كره «الضعيف» الذي يُمثل في الحقيقة الجزء المازوخي المخفي وراء السادي.

نرى هذا النوع من السادية يظهر في المُعسكرات وأماكن العمل تحت ما يُسمى «الإذلال الطقسي» الذي من المُفترض - كما يدَّعي الساديون - أنه مُصمم ليحرم الأشخاص من كبريائهم ويقوي إخلاصهم لهدفهم الأسمى، غالبًا ما تكون دوافع القادة المُسيئون ممثلة في المُحارب السادي بداخلهم الذي يسعى لإهانة وإذلال رجاله.

لوحة من عصر النهضة بعنوان The Rape of Pesephone

(اغتصاب بيسيفون)

للفنان Peter Paul Rubens سنة ١٦٣٦-١٦٣٨

قد يبدو الأمر غريبًا في البداية، لكن وحشية المُحارب السادي مُرتبطة بشكل مُباشر بمساوئ طاقة البطل، فهناك تشابُهات بين الجانب المُظلم للمُحارب والبطل، فالمُحارب الظل - أي المُحارب الواقع في الجانب المُظلم - يحتفظ بعد البلوغ بعُقد المُراهقة وعدوانية المشاعر، وكذلك يأس البطل الذي يسعى جاهدًا لمُحاربة طاقة الأنثى، وهذا لأن طاقة الأنثى - من المنظور غير الناضج لنموذج البطل - هي

ما تميل لإحياء الجزء المازوخي الجبان من الجانب المُظلم للبطل - أي القُطب السالب لظل البطل -، فالرجل الواقع تحت تأثير الظل ثنائي القُطب للمُحارب لأنه غير واثق من قُدراته الذكورية - القدرات النفسية وربما حتى الجنسية - لا يزال يقاوم ما يراه أنه القوة الأنثوية المُفرطة، ويُحارب كل ما يعتبره ناعمًا، ويظل على هذا الموقف حتى بعد سن الرشد، فهو لا يزال خائفًا من أن تبتلعه قوة الأنثى، مما يقوده لوحشيته الغاشمة.

قد لا نحتاج للبحث بعيدًا لنرى الجانب المُدمر للمُحارب وهو يعبث في حياتنا، فعلينا الاعتراف بوجوده في مكان العمل عندما يقوم مُدير بإحباط أو التحرش أو طرد أحد مُوظفيه، أو بسيء مُعاملتهم بأي طريقة مُمكنة، يجب علينا أيضًا أن نعترف بوجود السادي في المنزل، نظرًا للإحصائيات المروعة عن عدد الرجال الذين يقومون بالعُنف الأسري تجاه زوجاتهم أو أطفالهم.

بالرغم من أننا كلنا قد نقع تحت سيطرة المُحارب السادي في أوقات مُعينة، إلا أن هناك نوع شخصية مُعينة تمتاز بحبها لهذه الطاقة، وهي الشخصية الوسواسية (Compulsive personality disorder) فالأشخاص بهذه الشخصية يكونون مُدمنين على

العمل، لديهم قُدرة هائلة على تحمُّل الألم، وغالبًا ما يتمكنون من إنجاز قدر هائل من العمل.

لكن ما يُحفز طاقتهم الهائلة هو قلقهم النفسي العميق، فلديهم حس ضعيف جدًّا بأهميتهم الشخصية، إنهم لا يعلمون ما ينقصهم، لا يعلمون ما يبحثون عنه ولا ما يُريدون، بالتالي يُمضون حياتهم مهاجمين لكل شيء وكل أحد، يُهاجمون في وظائفهم وفي مُهماتهم الحياتية، بل يُهاجمون أنفسهم والآخرين، وفي خلال هذه العملية يؤكلون أحياءَ، ويُصيبهم الإرهاق الاحتراقي.

جميعنا نعرف هذا النوع من الناس، المُديرون الذين يبقون في المكتب بعد ساعات عديدة من انتهاء العمل وذهاب المُوظفين للمنزل، وعندما يذهبون للبيت أخيرًا نادرًا ما ينامون ليلًا بعُمق، إنهم الوزراء والكهنة والأخصائيون الاجتماعيون والمُعالجون النفسيون والأطباء والمُحامون الذين يعملون حرفيًّا نهارًا وليلًا، مُحاولين سد فجوتهم الجسدية والنفسية، عن طريق العمل للناس الآخرين، مُضحِّين بحياتهم الشخصية في سبيل «إنقاذ» حياة الآخرين، وبسبب هذا الوضع والعقلية، يُصيبون أنفسهم والآخرين بالأذى، الآخرون الذين لا يستطيعون المثول لمعاييرهم المُستحيلة.

فهم لا يستطيعون حتى المثول لمعاييرهم الخاصة، وهذا ما يدفعهم لاستهلاك أنفسهم تمامًا بدون رحمة.

إن كان عليك أن تُجبر نفسك على الاعتراف أنك لا تعتني بنفسك، لا تعتني بصحتك الجسدية والنفسية، إذن فأنت بنسبة كبيرة جدًّا واقع في الجانب المُظلم للمُحارب.

كما رجحنا سابقًا، الرجال في بعض المهن المُعينة يكونون أكثر عُرضة للوقوع في الجانب المُظلم لطاقة المُحارب والسادية تحديدًا؛ من هذه المهن: المجالات العسكرية والشرطية ومناصب السلطة العُليا هي أحد الأمثلة الواضحة، لكن ما قد يكون غير واضح هو أن الثوريين والنشطاء في جميع المجالات قد يقعون في القُطب السادي لظل المُحارب أيضًا، والمقولة القديمة: «نحن نُصبح ما نكرهه» تنطبق هنا تمامًا، إنها حقيقة مؤسفة أن العديد من قادة الثورات - سواء كانت ثورات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو حتى وظيفية في الشركة أو في مجال تطوعي - بعد أن ينجحوا في مهامهم في إزالة الطاغية والمُستبد؛ يُصبحون أنفسهم الطغاة والمُستبدين الجدد.

كما أن مندوبي المبيعات والمُعلمين - بالإضافة إلى أعضاء المهن العديدة الأخرى التي ذكرناها - قد يكونون ضحايا

بسهولة للوسوسة العملية والإدمان الوظيفي، لكن بعد فترة - طالت أو قصرت - ينهارون، أحد بائعي السيارات خضع للتحليل النفسي بعد سنين في المهنة، وقد كان مركزه الأول بين مندوبي المبيعات الآخرين، ليس فقط في شركته لكن في المنطقة كلها، كان يُحارب بعزيمة هائلة وانضباط تام كل شهر، ليصل للقمة ويبقى عليها، ثم في أحد الأيام، انهار شيء ما بداخله، كان يُحس بشعور مُتزايد من الإرهاق والاستنزاف، وكان يقول أحيانًا: إنه مُستَهلَك نفسيًا وجسديًا، ثم في صباح أحد الأيام، استيقظ ليجد نفسه يرتعش بشدة ومذعورًا من الذهاب للعمل، بعدها بقليل تدهور نومه فأصبح لا ينام، وبدأت تتولد لديه رغبة غامرة في البُكاء في أكثر الأوقات غير المناسبة، لكنه أرغم نفسه للاستمرار لعدة أشهر إضافية، لكن أخيرًا في أحد الأيام، بَدَا لهُ كل شيء في العمل - الأرض والسقف والسيارات وزملاؤه - غير حقيقي كأنه يُهلوس، اتصل الرجل بطبيبه، وأخذ نفسه للمُستشفى.

ما حدث لهذا الرجل هو أن المُحارب السادي تغلَّب عليه، لقد أكله حيًّا، بعد هذه الحادثة بفترة وجيزة تركته زوجته قائلةً بمُبررات واضحة أنه كان مهملًا لها وللعلاقة، ثم بدأ العلاج النفسي، وفي خلال علاجه اكتشف القُدرة المُدمرة ذاتيًا لإدمانه

الوظيفي، وكيف دفعت وسوسته الوظيفية الجميع بعيدًا عنه، وقرر أنه يحتاج لأن يبدأ صفحة جديدة.

أي وظيفة تضع كمًّا هائلًا من الضغط على الشخص ليؤدي أفضل ما يُمكن طوال الوقت تتركه عُرضة للوقوع في الجانب المُظلم للمُحارب، فإن كنا غير واثقين كفاية في بُنيانا الداخلي، سنعتمد بشكل تام على أدائنا في العالم الخارجي ليُوفر لنا الثقة النفسية، ولأن احتياجنا لهذه الثقة عظيم، سيسحبنا سلوكنا نحو الوسوسة، الرجل الذي يُصبح مهووسًا بالنجاح قد فشل بالفعل، إنه يحاول يائسًا كبت المازوخي بداخله، لكنه بالفعل يقوم بتصرفات مازوخية ومدمرة تجاه نفسه، كأنه يعاقب نفسه.

المازوخي هو القُطب السالب للجانب المُظلم للمُحارب، هذا الجزء الضعيف المُستَعبد الذي يكون خلف عروض السادي العدوانية، فالرجال عادةً يخافون من الجبان بداخلهم، لكن معظمهم ليس لديهم حتى مُجرد القُدرة على مُلاحظة المازوخي.

المازوخي يُسقِط طاقة المُحارب على الآخرين، فيجعل الرجل يرى نفسه واهنًا وعاجزًا، الرجل الواقع تحت تأثير جانب المازوخي يكون غير قادر على الدفاع عن نفسه سيكولوجيًّا، فهو يسمح للآخرين - ولنفسه - أن يدفعوه جانبًا

وأن يُجرجروه كيفما شاؤوا، يسمح لهم بتخطي كل الحدود الضرورية لمُجرد الحفاظ على احترامه لنفسه، ولا داعي لذكر مدى قبوله للاستغلال السيكولوجي والجسدي.

جميعنا - مهما كان مسار حياتنا - يمكن أن نسقُط تحت سيطرة الظل ثُنائي القُطب للمُحارب في أي مجال في حياتنا، قد يكون الأمر أننا لا نعرف كيف نخرج من علاقة تبدو مُستحيلة، نخرج من دائرة أصدقاء مُضرِّين، أو نترك وظيفة بائسة، جميعنا نعرف المقولة: «اعتزل وأنت على القمة»، أو «تعلم أن تحد من خسائرك»، صاحب الشخصية الوسواسية، مهما كانت المخاطر، ومهما كانت مؤشرات الخطر واضحة، ومهما كان الهدف مُستحيلًا وغير واقعي، ومهما بَدَا الخصم لا يُقهر؛ يعمل بجُهد أكبر غير مُبالٍ لما يحدث له على المُستوى الخارجي والداخلي، ويرى الذهب يتحول لتُراب في النهاية.

إن كنا تحت سيطرة المازوخي، سنتقبل كمًّا هائلًا من الاستغلال لفترة طويلة جدًّا من الزمن، ثم ننفجر في موجة سادية من العدوانية اللفظية أو حتى الجسدية، فهذا التأرجح بين القطب المُوجب والقُطب السالب لظلال النماذج المُظلمة هو أحد سمات هذه الأنظمة السلبية.

التواصل مع المُحارب:

إن كنا تحت سيطرة القُطب الموجب لظل المُحارب، سنُعبر عن طاقة المُحارب في صورته السادية، سنستغل أنفسنا والآخرين، لكن إن كنا غير قادرين على التواصل مع طاقة المُحارب بداخلنا، نكون تحت سيطرة قُطبه السالب، سنكون مازوخيين جبناء، سنحلم ونتمنى بدون أن نتصرف بشكل حاسم لتحقيق هذه الأحلام والأماني، سنفتقد العزيمة ونُصاب بالاكتئاب، سنفتقد القُدرة على تحمل الضغط المطلوب لتحقيق أي هدف ذي قيمة، إن كنا في الجامعة، لن نقوم بإنجاز واجباتنا أو مُراجعة دروسنا، إن كنا مندوبي مبيعات وتم تعيينا في منطقة جديدة، سنجلس مُحدقين على خريطة العمل وعلى قائمة من يجب التواصل معهم، ولن نقدر على رفع سماعة الهاتف لإجراء المُكالمات، سننظر إلى المُهمة المطلوبة ونكون مهزومين حتى قبل أن نبدأ، ببساطة، لن نقدر على القفز إلى المعركة، إن كنا في مجال السياسة سنتجنب المواجهة، إن كنا في وظيفة براتب أقل مما نستحق، ونرى أن الظروف تسمح وأداءنا جيد كفاية لطلب علاوة أو ترقية، سنمشي ببطء إلى مكتب المُدير خائفين ومُرتعشين، نقف للحظة أمام الباب، ثم نستدير للخلف ونتراجع.

كما نصحنا بشأن جميع النماذج في هذا الكتاب، يجب علينا أن نسأل أنفسنا ليس إن كنا تحت سيطرة قُطب مُظلم مُعين أو قُطبين في نظام ظليل، لكن ما هي الجوانب في حياتنا التي نحن غير قادرين فيها على التواصل بشكل صحيح مع الطاقات الذكورية الكامنة المُتاحة لنا.

إن كنا نتواصل مع المُحارب بشكل صحيح، سنكون مليئين بالطاقة شُجعانًا حاسمين متينين، ومُخلصين لهدف سامٍ أعلى من مكاسبنا الشخصية، وفي نفس الوقت، يجب علينا أن نخلق ترابطات بين طاقة المُحارب وبين النماذج الناضجة الأخرى: الملك، الساحر، والمُحب، إن كنا نتواصل مع المُحارب بشكل صحيح، سنبقى - بالرغم من انعزالنا المشاعري - مُحبين دافئين داعمين ومُشجعين، سنعتني بأنفسنا وبالآخرين، سنخوض معارك الخير لجعل العالم مكانًا أفضل للجميع، الحروب التي نقوم بها ستكون من أجل بناء الجديد وبناء العدل والحق.

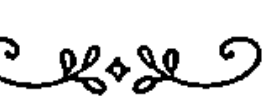

الساحر

نحن غالبًا ما نظن خطأً أننا مُختلفون جدًّا عن أسلافنا القُدامى، فنحن لدينا معرفة عظيمة وتكنولوجيا مُذهلة، لكن أصول معرفتنا وتكنولوجيتنا نابعة من عقول الأذكياء السابقين من القبائل البدائية والحضارات القديمة، فهؤلاء كانوا مُتواصلين مع طاقة نموذج الساحر، وطاقة الساحر تلك هي التي تقود الآن حضارتنا الحديثة، الشامانات - مُداوون ما قبل التاريخ - والسحرة والمُبتكرون والعلماء والأطباء والمُحامون والفنيون؛ جميعهم يتواصلون مع نفس نمط الطاقة، بغضِّ النظر عن العصر الذي نعيش فيه.

«ميرلين» - في قصص الملك آرثر - بنى نظامًا لا تزال تحلم به تكنولوجيتنا وسيكولوجيتنا ومُجتمعاتنا، كان هذا النظام يتضمن التحكم في الطقس، مُجتمع مُنظم تسوده المُساواة، انتشار الحب والاحترام بين الناس، وإدراك أهمية وجود هدف عظيم يسعى إليه الجميع ممثلًا في الكأس المُقدسة في القصة.[1]

(١) تقول الأسطورة: إن الملك آرثر حصل على الكأس المقدسة التي كانت تخص يسوع المسيح.

«أوبي وان كانوبي»، في فيلم Star Wars، يسعى لقيادة تجديد لمجرته باستخدام مزيج من معرفته السرية بشأن «The force» وتطبيق التكنولوجيا الحديثة.

طاقات نموذج الساحر - أينما وحيثما وكيفما نراها - تكون دائمًا مُضاعفة، فالساحر هو العارف وهو خبير التكنولوجيا، كما أن الرجل الذي تُرشده طاقة الساحر يستطيع تحقيق هذه الوظائف الخاصة عن طريقة عمليته الطقسية التحضيرية، إنه المرشد الحكيم الذي يرعى عملية التحول داخليًا وخارجيًا.

الإنسان الساحر دائمًا يكون مُلَقِّنًا، وأحد مهامه هي تلقين وإعداد الآخرين، لكن ماذا يكون تلقينه بالضبط؟

الساحر هو مُلقِّن لكل أنواع المعرفة السرية والخفية، وهذه هي النقطة الهامة، إن مجال طاقة الساحر هو بالأخص المعرفة التي تحتاج لتدريبات خاصة للحصول عليها، سواء كنت تلميذًا يتدرب ليُصبح كهربائيًا يحل غموض الفولت العالي، أو كنت طالب طب، يدرس ليلًا نهارًا محاولًا اكتشاف خبايا وأسرار الجسد البشري لتُساعد مرضاك، أو كنت مُضارب بورصة مبُتدئًا، أو مُتدربًا في إحدى كليات التحليل النفسي، أنت تكون في نفس الموقف بالضبط الذي كان فيه الشامان المُبتدئ أو الطبيب المُداوي في مُجتمعات القبائل البدائية،

فأنت تبذل مجهودًا كبيرًا ووقتًا كثيرًا ومُعظم مواردك المادية في سبيل أن تُلقَّنَ وتحصل على المعرفة السرية في مجال غير معلوم تمامًا، وأنت تحت اختبار يُقيم مدى كفاءتك وقُدراتك لتكون خبيرًا في هذا المجال، وكما هو الحال في جميع طقوس التلقين، ليس هناك أي ضمان على نجاح العملية.

الساحر هو نموذج عالمي أثر على النفسية الذكورية على مدار التاريخ، ويُمكن التواصل مع هذا النموذج اليوم من قبل الرجال في العصر الحديث عن طريق عملهم وحياتهم الشخصية.

الخلفية التاريخية للساحر:

يظن بعض علماء الأنثروبولوجيا أن طاقات ذكورة «الملك والمُحارب والساحر والمُحب» كانت في الأزمنة السحيقة كيانًا واحدًا، وأن رجلًا واحدًا - وهو زعيم القبيلة - كان يُمثل كل هذه الطاقات وجميع وظائفها بصورة شاملة كلية، وبما أن هذه الطاقات الأربعة كامنة في النفس الذكورية ومُتوازنة هناك، فقد يكون الزعيم هو الوحيد في القبيلة الذي يُعتبر «كاملًا» وشاملًا، لكن اليوم - حتى في المُجتمعات القبلية البدائية التي ما زالت موجودة حتى يومنا هذا - هذه الطاقات الذكورية

تكون بالفعل منفصلة نوعًا ما، فهناك الملك أو الزعيم وهناك المُحاربون وهناك الساحر (الشامان والرجل المُقدس والطبيب المشعوذ).

أيًا كان اسم الساحر، يكون اختصاصه أن يعرف شيئًا لا يعرفه الآخرون، فهو يعرف - مثلًا - أسرار تحرك النجوم في السماء، مراحل تغير القمر، التأرجح القُطبي للشمس، يعرف متى يجب الزراعة ومتى يجب الحصاد، أو متى ستأتي القُطعان المُهاجرة في الربيع القادم، يُمكنه توقُّع الطقس، لديه معرفة بالنباتات الطبية والسامة، هو يعرف خبايا النفس البشرية ويستطيع التلاعب بالآخرين، سواء للخير أو للشر، يُدرك الوصلات بين العالم الخفي للأرواح وبين العالم البشري والطبيعي، هو الشخص الذي يذهب إليه الناس بأسئلتهم ومشاكلهم وأوجاعهم وأمراضهم الجسدية والنفسية، إنه القس والكاهن والحكيم، هو الشخص الذي يستطيع التفكير في أمور ليست واضحة للآخرين، إنه يستطيع أن يرى ما لا يُمكن للآخرين رؤيته، هو العرَّاف الذي لا يتنبأ بالمُستقبل فقط، بل يرى عميقًا جدًّا.

هذه المعرفة السرية - بالطبع - تُعطي الساحر قدرًا عظيمًا من القوة، ولأن لديه المعرفة بديناميكيات الطاقة ومساراتها،

ولديه القُدرة على رؤية الأنماط في الطبيعة وفي البشر وفي المُجتمعات وحتى في عالم الأرواح - أي العالم العميق للاوعي - يكون بارعًا في احتواء وتوجيه الطاقة.

السحرة على ضفاف نهر دجلة ونهر الفُرات، وعلى ضفاف نهر النيل في مصر، هم من أسسوا الحضارة كما نعرفها اليوم، فهم من اخترعوا أسرار اللغة المكتوبة، من اكتشفوا الحساب والهندسة وعلم الفلك والقانون، كان لدى ملوك المصريين القُدماء ما سُمِّيَ «بالسحرة» يعملون كمُستشارين لجميع الشئون، فهناك الساحر المصري الأسطوري أمحوتب - ٢٨٠٠ قبل الميلاد - تُنْسَبُ إليه عدة اكتشافات مهمة في الطب والهندسة وفي علوم أخرى، وعلى الأرجح هو مَنْ صمم وبنى الهرم الأول، الهرم المُدرج الذي يُطلَق عليه هرم زوسر، لقد كان أمحوتب أينشتين عصره.

أحد جوانب نموذج الساحر هي المعرفة، قُدرته على رؤية الأعماق والأنماط الخفية ليس في الطبيعة، بل في البشر أيضًا، وهذا ما يُعطيه القُدرة على «تفريغ انتفاخ» المغرورين، خصوصًا الملوك والحكام، وأي مسئول رسمي مهم.

نموذج الساحر داخل الرجل هو «كاشف الكذب» الخاص به، فهو فطن يعرف الإنكار والتلاعب عندما يراهم في الناس

وفي النفس، هو يرى الشر كما هو وأين هو حتى عندما يتنكر بلباس الخير، في الأزمنة القديمة، عندما كان الملك يُسيطر عليه غضبه ويريد أن يُعاقِب قرية ما رفضت دفع الضرائب، كان الساحر - بحكمته الموزونة أو بطعنات منطقه - يُنبه الملك بصعوبة مزاجه ويُوقظ الجانب الخيِّر فيه، أي إن ساحر البلاط الملكي بالفعل كان يقوم بدور المُعالج النفسي للملك.

في قصة الملك ديفيد،[1] كان «ناثان» - الساحر الخاص بالملك - يقوم بالكثير من المُعالجة النفسية له في الكثير من المواقف، لكنه قام بذلك خصيصًا في واقعة «باثشيبا» التي أشرنا إليها سابقًا، فبعد أن قام ديفيد بفعلته مع باثشيبا وقتل زوجها، أتى ناثان إلى حجرة الملك بهدوء ووقف أمامه، ثم ألقى ناثان قصة للملك، قال: إنه كان هناك رجلان في مدينة مُعينة، أحدهما غني وأحدهما فقير، الفقير لم يكن لديه سوى خروف صغير، والغني كان لديه العديد من الخراف، في أحد الأيام، أتى مُسافر لزيارة الرجل الغني، فكان الغني مُجبرًا على أن يُعِدَّ له وليمة فارهة، وبدلًا من أن يذبح الرجل أحد خرافه، ذهب للرجل الفقير وأخذ خروفه الصغير وذبحه وجعل الوليمة منه، فقال الملك ديفيد غاضبًا: أيًا كان من فعل هذه الفعلة يستحق أن يموت، فرد ناثان: «أنت هو ذاك الرجل»،

(١) المقصود في القصة هو النبي داود كما أشرنا من قبل.

فتاب ديفيد وندم عن فعلته، وأصبح بالفعل في المستقبل أقل نكبرًا.

«ميرلين» - الساحر الخاص بالملك آرثر - قام بدور مُماثل، فقد كان يُساعد الملك آرثر في التفكير في الأمور بتأنٍّ، بل وكان أحيانًا يُنفث تضخُّم غرور آرثر.

في العصور القديمة، ظهرت حركة جديدة من رحم الأديان الغامضة الإغريقية، كانت الحركة تُسمى الغنوصية، «جنوسيس» Gnosis، كانت كلمة إغريقية تعني «المعرفة» على صعيد روحاني أو سيكولوجي عميق، وكانت حركة الغنوصيين أساسها بناء معرفة قوية بخبايا النفس البشرية وأنماط الكون السرية، وكانوا مثل مُحللين نفسيين، فكانوا يُعلمون صغارهم كيفية اكتشاف الدوافع والرغبات اللاواعية لديهم، وكيف يُنيرون الطريق الداخلي المُعتِم بالأوهام، وكيف يُمكنهم - في النهاية - الوصول للوحدة مع المركز بداخلهم، هذه الحركة الغنوصية، التي كانت تُركز على معرفة الذات، لم تكن ذات شعبية كبيرة خصوصًا مع بدايات المسيحية، فتمت مُحاربتها والقضاء عليها من قبل الكنيسة الكاثوليكية آنذاك.

فالحصول على المعرفة الحقيقية من أي نوع - وخاصةً المعرفة الخفية للنفس البشرية - هو عمل صعب ومُرهق وشاق ومعظمنا لا يُريد القيام به.

لكن بالرغم من اضطهاد ومُحاربة طبقة السحرة في هذه الفترة، لم يُمكن بالطبع نفي نموذج الساحر تمامًا، فلا يُمكن نفي نموذج من هذه النماذج الغريزية الأساسية في نفسية الإنسان، فهذا التقليد للحصول على المعرفة السرية ظهر مُجددًا في العصور الوسطى في أوروبا تحت مُسمى «الخيمياء»، مُعظمنا يعرف أن الخيمياء كانت تحاول على مُستوى مُعين تحويل مواد عادية للذهب، وقد فشلت على هذا المُستوى فشلًا ذريعًا بالطبع، لكن ما لا يُدركه مُعظمنا هو أن الخيمياء كانت أيضًا أسلوبًا روحانيًّا لمُساعدة الخميائيين أنفسهم، مساعدتهم في تحقيق الفطنة والحكمة والوعي الذاتي والتحول الشخصي إلى مستوى أعلى من النضوج الشخصي والنفسي والروحاني.

وبصورة ما، قامت الخيمياء بولادة العلوم الحديثة، فساهمت في ولادة علوم كالكيمياء والفيزياء، ومن المُثير للاهتمام أن علومنا الحديثة مُقسمة إلى جانبين أساسيين - تمامًا مثل العلوم القديمة للسحرة -: أول جانب هو «العلوم النظرية» والتي هي جانب المعرفة لطاقة نموذج الساحر، وثاني جانب هو «العلوم التطبيقية»، والتي هي الجانب التقني من نموذج الساحر، المعرفة التطبيقية عن كيفية احتواء وتوجيه الطاقة.

نحن نؤمن أن عصرنا هذا هو عصر سيادة الساحر؛ لأنه عصر التكنولوجيا، هو عصر الساحر على الأقل على مُستوى الجانب المادي، في السعي إلى فهم الطبيعة والسيطرة عليها، والسيطرة المقصودة تكون من الجانب غير المادي؛ السيكولوجي أو الروحاني، وعن طريق العملية الطقسية التلقينية.

ويبدو اليوم أن طاقة الساحر ضعيفة، قد ذكرنا سابقًا غياب المرشد الحكيم الذي يُمكنه تجهيز الشبان ومساعدتهم للوصول لمستوى أعمق من النضج الذكوري.

فبالرغم من وجود المدارس والجامعات التقنية والنقابات المهنية والجمعيات الوظيفية والمؤسسات العملية الأخرى التي تُقدم العملية الطقسية لمن يُريدون أن يصبحوا خبراء، إلا أن طاقة المُحارب تظل ضعيفة للغاية في مجال النمو والتحول الشخصي والنفسي والروحاني، عصرنا هو عصر الفوضى في الهوية الشخصية والجنسية والجذرية، والفوضى هي دائمًا نتيجة غياب التواصل الصحيح من الساحر في جانب أساسي من جوانب الحياة.

فقط مجالان علميان - الفيزياء المجهرية وعلم النفس العميقة - ما زالا يقومان بعمل السحرة القُدامى في صورة كلية تسعى لتوحيد الجانب المادي والجانب السيكولوجي لطاقة

الساحر، فكل من هذه العلوم يسعى لمعرفة الطاقات الخفية التي كان الخيميائيون القُدامى يسعون لدراستها.

في الفيزياء المجهرية يكون العالَم غير المرئي مُختلفًا تمامًا عن العالم الطبيعي الذي نختبره، فالواقع يُصبح غريبًا جدًّا، الجُزيئيات والموجات بالرغم من اختلافها الجذري في الخواص والسلوك في العالم الكبير، في العالم المجهري عالم الفيزياء الكمية - يبدون كأنهم شيء واحد، والمادة تفقد صلابتها وتبدو كأنها مُجرد تجمعات مُركزة من الطاقة.

وكذلك هو الحال في مجال علم النفس العميقة (علم عُمق النفس)، فكارل يونج عندما كان يعمل على أول خرائط اللاوعي، كان مذهولًا من التشابهات الواضحة بين ما كان يعمل عليه من أنماط الطاقة السيكولوجية والنماذج البدائية، وبين الفيزياء الكمية في أعمال «ماكس بلانك» وآخرين.

أثناء مُحاولته اكتشاف اللاوعي، أدرك كارل يونج أنه اكتشف بالصدفة عالمًا شاسعًا كان يتم تجاهله من الناس العصريين، عالمًا من الصور الحية والرموز التي تتركز وتتخفف تمامًا كطاقة الموجات التي تصنع عالمنا، هذا الواقع المكون من الصور والنماذج - مخفيًا في أعماق اللاوعي الجمعي - بَدا كأنه يُشكل أحجار الأساس لأفكارنا ومشاعرنا، لعاداتنا

النمطية وردود أفعالنا وشخصيتنا الظاهرة، رأى يونج - من وجهة نظره - أن هذا اللاوعي الجمعي يشبه كثيرًا مجالات الطاقة غير المرئية في الفيزياء المجهرية، كما رأى أن الاثنين يُشبهان كثيرًا ما سماه الغنوصيون: «الملأ الأعلى».

الاستنتاج الذي توصلت إليه الفيزياء الحديثة وعلم عُمق النفس هو أن حقيقة الأشياء ليست كما تبدو ظاهريًّا، فما نختبره كواقع طبيعي - عن أنفسنا وعن العالم - هو في الحقيقة مُجرد نبذة عن الواقع الحقيقي المُبهم الخفي، معرفة هذه العوالم الخفية هي مهارة نموذج الساحر، فمن خلال طاقة الساحر نستطيع أن نستوعب حياتنا على مستوى أعمق وأكثر شمولًا مما كان يحلم به العالم في الألف سنة الماضية.

هناك مؤشرات تقول: إن كارل يونج كان يرى نفسه ساحرًا، بعض أقدم أتباعه وتلامذته قالوا: إنه كان يُخبرهم بأسرار لا يستطيعون أن يبيحوها سوى لأولئك الذين على أعلى درجة من الوعي الذاتي وأعمق مستوى من المعرفة السيكولوجية.

وهذا ليس خُزعبلات ودجلًا، فكل مُحلل نفسي يعرف جيدًا أن عليه الحذر بشأن ما يبوح به لمُريضه ومتى يبوح به، فقوة طاقات اللاوعي شديدة القوة، لدرجة أنها إن لم تكن خاضعة للسيطرة؛ مُحتواة ومُوجهة في المسار الصحيح،

إن لم يتم التواصل معها فقط في الوقت الصحيح وبالجرعة الصحيحة، يُمكنها أن تُفجر الأنا الشخصية - الشخصية الواعية - إلى أشلاء، فالقدر الهائل من الطاقة بدون محولات كافية وعازلات لاحتوائها قد يؤدي إلى زيادة الحمل على أي دائرة للمريض وتدميره، البوح بالمعرفة الخفية يجب أن يكون محسوبًا ودقيقًا؛ لأن هناك أسبابًا واضحة قوية لجعلها خفية أساسًا في المقام الأول.

في كل العمليات الطقسية والتلقينية وكل عمليات المعرفة العميقة وتوجيه الطاقات بشتى أنواعها، يظهر موضوع المكان المُقدس، المكان المُقدس هو الحاوية التي تحتوي الطاقة الخام، التي تعزل وتُوجِّه الطاقة داخلها، إنه درع المُفاعل في محطات الطاقة النووية، إنه الحرم في أي معبد، إنها التراتيل والأدعية في الصلوات الأساسية، التي توجَّهُ إلى الله وتحمي المؤمنين وتُباركهم.

في فيلم Raiders of the Lost Ark نرى «إنديانا جونز» يُسابق النازيين لإيجاد التابوت السحري واستخدام القوة الهائلة لهذه «التكنولوجيا» القديمة، فيصل إليه النازيون أولًا، وهنا نرى مشهدًا رائعًا يظهر فيه القائد النازي وهو يرتدي اللباس الطقسي المُناسب، ويُردد التعاويذ اللازمة لتنشيط قوة

التابوت، كأنه يدوس على زر التشغيل، لكنه من الواضح أنه ليس ساحرًا، فبعد أن يُشغل التابوت لا يستطيع التحكم في القوى التي أطلقها، لا يستطيع إيجاد زر التوقف، وبغياب الساحر ومعرفته وقدرته، يُفتت الجيش النازي.

مشهد مُماثل يظهر في فيلم الكرتون Walt Disney Fantasia، «ميكي ماوس» الذي يكون تلميذ المشعوذ، تُسْنَد إليه مهمة تنظيف غرفة عمل مُعلمه المشعوذ (الساحر)، وبدل أن يقوم بالعمل بالطريقة التقليدية، يُقرر ميكي ماوس أن يستخدم السحر، فيسحر الممسحة والدلو ليجعلهما يعملان من تلقاء أنفسهم، وتسير الأمور على ما يُرام في البداية، لكن بعدها تخرج القوة التي أطلقها عن السيطرة، فهو لا يزال مُتدربًا، ولا يعلم كيف يحتوي الطاقة التي أبدعها، فتبدأ الممسحة والدلو في التضاعف، ويزيد عددهم حتى يُصبح المشهد فوضويًّا، بينما لا يستطيع ميكي إيجاد الكلمات المُناسبة لتوقيف هذه الطاقة الجبارة، وتبدأ الدلاء والمماسح في سكب الماء في الغرفة، حتى تمتلئ الغرفة بالماء ويكون ميكي على وشك الغرق في موجة مُتعالية، ولولا رجوع المُعلم في الوقت المُناسب لما كان ميكي سينجو.

مع التقدم العلمي والتكنولوجي السريع، نكتشف مرارًا وتكرارًا أن قُدرتنا على الاحتواء والسيطرة ليست كافية، والكارثة التي حدثت في «شيرنوبل» - انفجار المُفاعل النووي - هو أحد أقوى الأمثلة وأكثرها مأساوية.

نفس الشيء يحدث أيضًا في التحليل النفسي، فأحيانًا عندما لا يكون المُحلِل على معرفة وخبرة كافية - أي إنه يُعتبر مُتدربًا - يُطلِق بدون قصد قوى عظيمة داخل الشخص الذي يُحلله، قوى لا يُمكن لأيٍّ منهما أن يحتويها.

ومشكلة الاحتواء هذه ظهرت مرارًا وتكرارًا في سياق التحليل الجماعي، خصيصًا فيما يُسمى بـ«Encounter groups» الذي انتشر في الستينات والسبعينات، ففي هذه الاجتماعات، في الأغلب لم يكن الخبير يتحلى بالمعرفة ولا الخبرة العملية والمهارة التقنية للتحكم في هذه العملية المُعقدة، فتكون النتيجة أن الحوار يتخذ مسارًا سلبيًّا، وتبدأ المجموعة في الانهيار النفسي، فردًا تلو الآخر.

نفس الشيء يحدث في حفلات «الروك» من وقت لآخر، فيقوم الفنانون باستحضار طاقة عاطفية عنيفة وعدوانية في الحضور، وإن لم يكونوا على تواصل كافٍ وقوي مع طاقة

الساحر، يُصبحون غير قادرين على احتواء هذه الطاقة، فيُصبح الحشد عدائيًا وقد يثورون في مكان الحفلة أو حتى يتجولون في الشوارع بغضب مُشتعل في موجة تدمير جماعية.

الساحر في صورته المُتكاملة:

ماذا يعني كل هذا لنا كرجال نسعى إلى تحقيق المساعدة في حياتنا الشخصية وإلى إثراء حياة من نحب؟ ماذا يعني هذا لقضايانا وشعوبنا ودولنا وللعالم؟ ما هي الوظائف التي تقوم بها طاقة الساحر الذكورية الناضجة في حياتنا اليومية؟

طاقة نموذج الساحر هي طاقة نموذج الوعي والبصيرة، وهي أيضًا طاقة المعرفة لأي شيء غير واضح أو بديهي تمامًا، طاقة الساحر في النفس البشرية هي النموذج الذي يحكم ما يُسمى في علم النفس Theobserving Ego أي الأنا الرقيبة.

أحيانًا يُفترض - في علم عُمق النفس - أن للأنا أهمية ثانوية بالنسبة للاوعي، لكن في الواقع وجود الأنا أساسي لنجاتنا، وتُصبح ضارة فقط في حالة انتفاخها أو السيطرة عليها من قِبَل نموذج أو عقدة ما، فدور الأنا الصحيح هو أن تجلس وتُراقِب

بهدوء، أن تُلاحظ وترصد المعلومات القادمة من الداخل ومن الخارج، ثم باستخدام حكمتها - معرفتها المُكتسبة من الخبرة ومهارتها - تتخذ القرارات الحياتية الضرورية.

عندما تكون الأنا الرقيبة مُصطفَّة مع النفس الذكورية الناضجة على «محور الأنا - النفس»، يتم توجه الأنا إلى الحكمة السرية لهذه النفس، وكأنها بشكل ما خادمة لهذه النفس العميقة، لكنها بشكل آخر القائدة الموجِّهة لقوة هذه النفس، إذن فإنها تلعب دورًا محوريًّا في النفسية والشخصية ككل.

الأنا الرقيبة تكون مُنفصلة عن المجرى العادي للأحداث والمشاعر والتجارب، وكأنها بشكل ما لا تعيش الحياة، لكنها تُراقب الحياة، وتضغط على الزر الصحيح في الوقت الصحيح للتواصل مع الطاقة المُناسبة عندما تحتاجها، فهي كالمُهندس المُراقِب للسد الكهرومائي، الذي يُراقب العدادات ومقاييس الضغط والكومبيوتر لتخزين الضغط على سطح السد، ثم يُقرر متى يفتح البوابات ويدع المياه تتدفق في الممرات.

نموذج الساحر مُتحد مع الأنا الرقيبة، يحمينا من الاجتياح الذي قد نتعرض له من قِبَل قوى النماذج الأخرى، إنه

المُهندس داخل كل واحد منا الذي يُنظِّم أعمال ووظائف النفسية ككل، فالساحر الداخلي يعرف تمامًا مقدار القوة الجبارة للديناميكيات السيكولوجية العميقة، ويعرف كيف يُوجهها لتصبَّ في صالحنا، إنه يعرف القوة التي لا تُضاهَى للشمس بداخلنا، وكيف يستفيد من هذه الطاقة الهائلة لصالحنا، نموذج الساحر يُنظم التيارات الداخلية لطاقات النماذج المُختلفة، ويحاول أن يُحقق هذا التنظيم الاستفادة القصوى لحياتنا الداخلية والخارجية.

العديد من البشر «السحرة» - أيًّا كانت وظيفتهم أو أسلوب حياتهم - يستخدمون بوعي معرفتهم ومهاراتهم التقنية لصالح الآخرين ولصالح أنفسهم أيضًا، الأطباء والمُحامون والمُديرون والسباكون والكهربائيون والعُلماء الباحثون واختصاصيو علم النفس وغيرهم عندما يكونون على تواصل مناسب مع نموذج الساحر بداخلهم، يعملون على تحويل القوة الخام إلى فائدة للآخرين، وهذا ينطبق في القبائل البدائية على الشامانات والمُداوين بأعشابهم وطبولهم، كما ينطبق تمامًا على الباحثين الطبيين المُعاصرين الذين يسعون لإيجاد العلاج المناسب لأخطر الأمراض التي تواجهنا.

محفورة خشبية من سنة ١٦١٧ تصور الساحر «هيرميز» الأسطوري. والذي يُعتبر رمزًا شهيرًا في الخيمياء والغنوصية.

طاقة الساحر موجودة ضمن نموذج المُحارب في شكل نقاء الذهن والتفكير، وهو ما ناقشناه بالتفصيل مُسبقًا، الساحر وحده ليس لديه القُدرة على التصرف بحسم، فهذا اختصاص المُحارب، لكن لديه القُدرة على التفكير، فنحن نتواصل مع الساحر كلما واجهنا في حياتنا اليومية قرارًا يبدو مُستحيلًا، من نُرقي في الشركة عندما يكون هناك اعتبارات مُعقدة يجب أخذها في الحسبان؟ كيف نتعامل مع فقدان ابننا أو ابنتنا الحاد بشأن الدراسة؟ كيف نُصمم منزلًا مُعينًا لنُرضي متطلبات

عميلنا ونوفي قوانين المدينة؟ ما المقدار الذي نبوح به لمن نُحلله بشأن أحلامه عندما يبدو أنه مُتجه نحو أزمة ما؟ أو حتى كيف نتعامل مع ميزانية مادية شخصية محدودة؟ كلما نواجه هذه القرارات الصعبة، نتخذ القرار بعناية وتأنٍّ وبصيرة، بفضل الساحر الداخلي فينا.

الساحر إذن هو النموذج المُختص بالتفكر والتأمل؛ ولذلك أيضًا طاقة الساحر هي طاقة الانطوائية، وما نعنيه بالانطوائية ليس الخجل والحياء الاجتماعي، لكن القُدرة على الانفصال عن العواصف الداخلية والخارجية والاتصال مع الحقائق والموارد الداخلية العميقة، ولهذا فالانطوائيون يعيشون في «المركز» أكثر من الآخرين، طاقة الساحر المُتكاملة هي طاقة شديدة الاستقرار والثبات والتمركز، ومن الصعب جدًّا جرجرتها أو دفعها.

الساحر غالبًا ما يظهر في الأزمات، جاء إلينا رجل في الأربعين من عمره وأخبرنا عما حدث له في حادث سيارة، كان الوقت في الشتاء، وكان ينزل على طريق جبلي، كانت هناك سيارة أمامه وقفت فجأة عند إشارة توقُّف أسفل الجبل، أثناء فرملته الاعتيادية، توقفت مكابحه عن العمل، فاتجه بسرعة هائلة على الطريق، كان مذعورًا لأنه مُتجه مُباشرة إلى السيارة

التي أمامه، ثم حدث شيء عجيب، كأنه تحوُّل كامل للوعي، فالرجل قد شعر فجأة أن كل شيء يتحرك بسرعة بطيئة Slow motion، شعر الرجل بالهدوء والثبات، والآن أصبح لديه الوقت للتأمل في الخيارات القليلة المُتاحة له، وكأنه تم تفعيل حاسوب ما أو نوع ذكاء آخر بداخله، ثم قال له صوت بداخله أن ينزع قدمه على المكابح، ثم يضغط عليها بتقطع بضع مرات وأن يوجِّه عجلة القيادة لليمين قدر الإمكان، وهكذا قد يصطدم بالسيارة أمامه بزاوية، مُقللًا أثر الاصطدام ومتوقفًا ببطء في تل الثلج المُجتمع على جانب الطريق، قام الرجل بتنفيذ هذه الخطة بنجاح، ولم يُصَبْ هو أو سائق السيارة أمامه بأي أذى.

ما نظن أن الرجل كان يُخبرنا عنه هو التواصل المُفاجئ الفوري مع طاقة الساحر، الطاقة التي تستخدم المعرفة وهي مُنفصلة عن المشاعر المُتعلقة بالوضع الداخلي أو الخارجي، وتُحلل النتائج المُحتملة المُختلفة، وتستخدم المهارة التقنية، فتتصرف كأفضل ما يكون في ظرف سيئ.

إذا فكَّرنا في كل هذه المجالات في حياتنا التي نحتاج فيها التفكير الواضح المُتأنِّي المبني على الحكمة الداخلية والمهارة التقنية؛ سنُدرك أهمية طاقة الساحر ومدى احتياجنا للتواصل مع هذه الطاقة بالطريقة المُثلى.

غالبًا، في المواقف الصعبة - كالموقف الذي ذكرناه سابقًا يُسحَب الناس إلى مجال يكون فيه المكان غريبًا والإطار الزمني مُختلفًا، يُمكن أن يُدْعَى المجال «المُقدس»؛ لأن هذا المجال يكون مُختلفًا جدًّا عن المكان والزمان العاديين اللذين نختبرهم في العادة في الحياة اليومية، فالسائق - في القصة السابقة - على سبيل المثال فجأة وجد نفسه في مجال داخلي بمكان وزمن مُختلفين (Slow motion كما وصفه)، وكان هذا المجال مُختلفًا كليًّا عن مجال الذُّعر والخوف الذي دان فيه، هذا المجال «المُقدس» يعرفه جيدًا أولئك الرجال الذين يُرشدهم الساحر، بل قد يضع هؤلاء الرجال أنفسهم في هذه المواقف عن عمد، تمامًا مثل السحرة في عملياتهم الطقسية الذين يرسمون الدوائر السحرية على الأرض ويُرددون تعاويذهم وتمائمهم، إنهم يدخلون هذا المجال عن طريق سماع مقاطع مُعينة من الموسيقى، يعملون على هواية، يتمشون في الغابات، يتأملون أفكارًا أو صورًا مُعينة، أو بطرق عديدة أخرى، عندما يدخلون لهذا المجال المُقدس الداخلي يصبحون على تواصل مع الساحر، من ثم يمكنهم أن ينبثقوا من هذا المجال الداخلي وهم يعرفون ما يجب أن يفعلوا بشأن مُشكلة ما، وكيف سيقومون بحلها.

نحن نؤمن أن طاقة الساحر التي تظهر للرجال اليوم هي مُجرد فتات من الصورة المُتكاملة للساحر بالنسبة لما كانت عليه هذه الطاقة تاريخيًّا، الساحر البدائي الكلي في الرجال ظهر في أكثر أشكاله تكاملًا وكليةً في ما يُطلق عليه علماء الأنثروبولوجيا «الشامان»، الشامان في مُجتمعات القبائل «البدائية» كان المُداوي، كان من يشفي الناس من أمراضهم، من يجد «الأرواح المفقودة»، ومن يكتشف الأسباب الخفية لسوء الطالع والمصائب، كان هو المسئول عن إعادة التكامل والتناغم في حياة الأفراد وفي حياة المجموعة ككل، وبالفعل طاقة الساحر اليوم لديها نفس الأهداف والغايات، الساحر والشامان كصورة مُتكاملة لهذا النموذج، يسعى لتحقيق الكلية للأشياء جميعًا من خلال التطبيق الحساس للمعرفة والمهارة.

* الجانبُ المُظلم للساحر: المُتلاعِب والمُنكِر «البريء»

بالرغم من إيجابية وأهمية نموذج الساحر، فككل أشكال الطاقات الذكورية الأخرى، لهذا النموذج جانب مُظلم أيضًا، وإن كان عصرنا هو عصر الساحر، فهو أيضًا عصر الجانب المُظلم ثنائي القُطب للساحر، علينا فقط التفكير في

المشكلة الناشئة عن المُخلفات السامة التي تُفسد وتُسمم بيئة كوكبنا، هذه المُخلفات - التي تُعتبر دلاء ومماسح تلميذ المُشعوذ في قصة ميكي ماوس- التي تتكاثر بينما تتلاشى طبقة الأوزون أكثر وأكثر، بينما يمتلئ المُحيط بنفاياتنا، بينما تهلك الحياة البرية، بينما تسقُط غابات المطر في البرازيل فلا تضر الحيوانات والبيئة فقط، بل تُهدد مصانع الأكسجين الأشجارَ التي نحتاجها للإبقاء على التنوع الحياتي في العالم، لقد كان ظل الساحر - الجانب المُظلم للساحر - الذي قادنا إلى أظلم أيام الحرب العالمية الثانية، ليس فقط بتكنولوجيا مُعسكرات الموت، لكن أيضًا بسلاح الجحيم - الأسلحة النووية - الذي ما زال يُهددنا كل يوم، التحكم في الطبيعة الذي هو أحد وظائف الساحر، يعمل الآن ضدنا، وهذا التحكم غير المحسوب بدأنا في دفع ضريبته الباهظة.

خلف البروباجاندا والمؤتمرات الصحفية المُدبرة والأخبار الخاضعة للقص والرقابة والمسيرات السياسية المُمولة، نجد الوجه المُظلم للساحر المُتلاعِب.

القُطب المُوجب للجانب المُظلم للساحر يُعتبر - بصورة خاصة - «ظلًّا خارقًا»، الرجل الواقع في هذا الجانب المُظلم

لا يُرشد الآخرين كما يفعل الساحر، بل يوجههم بطرق لا يستطيعون أن يروها، فنواياه ليست أن يُحضِر الآخرين ويساعدهم على عيش حياة أسعد وأفضل، بل يقوم المُتلاعِب بإضلال الناس عن طريق إخفاء معلومات قد تكون في صالحهم، ويأخذ منهم الكثير في سبيل المعلومات القليلة التي يُعطيها، التي تكون عادةً كافية فقط لاستعراض أفضليته ومعرفته العظيمة، الساحر الظليل ليس «مُنفصلًا» إنسانيًا فقط، بل متوحش أيضًا.

للأسف مثال واضح عن هذا يُمكن أن نراه في جامعاتنا، فالعديد من طلاب الجامعات - المُتفوقون والموهوبون والذين يعملون بكدٍّ - يُخبروننا عن تجاربهم مع الجانب المُظلم للساحر مُمثلًا في أساتذتهم، خصوصًا في الدراسات العليا، فبدلًا من أن يتواصل هؤلاء المُدرسون بصورة صحيحة مع نموذج الساحر الإيجابي ليصبحوا مُرشدين ومُعلمين لهؤلاء الشباب، يقوم هؤلاء الرجال بالهجوم على نحو مُستمر على طلابهم، ساعين لتحطيم حماسهم، وللأسف الشديد هذا السيناريو يتكرر باستمرار في كل المؤسسات التعليمية بجميع مراحلها وأشكالها، من الروضة إلى كلية الطب، من النظام التعليمي العام إلى نظام القمة.

العديد من الرجال في مجال الطب اليوم يُعبرون عن هذا الظل الخارق أيضًا، فمن المعروف أن أفضل المكاسب المالية في مجال الطب يحصدها الأخصائيون، والأخصائيون هم الذين يملكون معرفة عميقة في مجال نادر وخاص، بدون أي شك، هناك العديد من الأطباء الأخصائيين الذين يهتمون بصدق بصحة مرضاهم، لكن العديد منهم أيضًا لا يقولون لمرضاهم تفاصيل هامة بشأن مُشكلتهم الصحية.

علاوة على ذلك، التكلفة الباهظة للطب - خصوصًا للعمليات الجراحية والتحاليل - تشهد على جشع السُّلطة، هذه السُّلطة التي تجلبها المعرفة السرية، كما تشهد على جشع المال الذي يقع الرجل الواقع في جانب المُتلاعب المُظلم ضحية له، فهؤلاء الرجال يستخدمون معرفتهم السرية لمصلحتهم الشخصية أولًا ثم ثانويًا - إن وُجِدَ من الأساس - لصالح الآخرين.

العالِم المجنون في فيلم The Werewolf of London من سنة ١٩٤٢

التعقيد المُتزايد في القانون واللغة المُشفرة للدعوى والوثائق القانونية يقول ضمنيًّا للعامة من الناس: «نحن الذين في المجال القانوني لدينا معلومات خفية يُمكنها التحكم في مصيرك تمامًا، وبعد أن نُلزمك بدفع أموال طائلة في مُقابل خدماتنا، ربما تستفيد من سحرنا وربما لا.»

في الكثير من الأوقات أيضًا - في غرفة الاستشارة النفسية - يقوم الأخصائي بحجب معلومات يحتاجها العميل ليكون في حالة أفضل، فيقول بطريقة مُباشرة أو غير مُباشرة: «أنا لديَّ

حكمة عظيمة ومعرفة سرية، معرفة تحتاجها لتتحسن حالتك، حاوِلْ أن تحصل على هذه المعرفة مني، ثم اترك حسابك مع سيكرتيرتي وأنت ذاهب.»

هذا الحجب والسرية في صالح المنفعة الشخصية فقط يُمكن رؤيته أيضًا في مجال الدعاية والإعلان، هذا المجال الذي في كثير من الأحيان يُلوثه تلاعُب المُعلنين بعقول العامة، بهدف إشباع جشع الشركات التي يعملون من أجلها، وحتى أن الأمر قد يصل إلى الكذب المُطلق، وهذا الأسلوب يُظهر الطبيعة الانعزالية عن المشاعر الإنسانية الطيبة الصادقة، وهو مُشابه تمامًا للشرور التي يقوم بها مروجو البروباغاندا في الحكومات والأنظمة الشمولية، فعن طريق مهارتهم في استخدام الصور والرموز والخطابات، يلعبون على الأوتار الحساسة لجرح زُملائهم البشر، فهؤلاء كأنهم الدجالون الذين يُشعلون النار ويهزهزون ريش السحر الأسود للمشعوذ.

الرجل الواقع تحت سيطرة المُتلاعب لا يؤذي الآخرين فقط بطبيعته التهكمية المُنفصلة عن القيم الإنسانية، بل يؤذي نفسه أيضًا، هذا هو الرجل الذي يُفكر بشكل مُفرِط، الذي يُراقب حياته ولا يعيشها أبدًا، إنه عالق في الشبكة المُعقدة للإيجابيات والسلبيات الخاصة بكل قرار من قراراته، وتائه

في متاهة لا يستطيع أن يُخرج نفسه منها، متاهة مليئة بالتفاصيل الصغيرة والكبيرة، إنه يخاف العيش، يخاف القفز إلى المعركة، فلا يستطيع سوى أن يجلس على مصطبة ويُفكر، ومع مرور السنين يتساءل كيف مضى عمره، وينتهي به الأمر نادمًا على حياة العُقم التي عاشها، إنه يُحلل كل شيء بإفراط، وبسبب خوفه من اتخاذ القرار الخاطئ، لا يتخذ أي قرارات من الأساس، وبسبب خوفه من عيش حياته، لا يُمكنه كذلك المُشاركة في الفرحة والمُتعة التي يختبرها الآخرون الذين يعيشون حياتهم، فيشعر في النهاية أنه معزول ووحيد، إنه لا يرى أن أذيته للآخرين بمعرفته السرية ومهارته التقنية - أيًا كان شكلها ونوعها - تؤذي روحه هو قبل أي شيء.

عندما نكون مُنعزلين عن الآخرين، وحاجبين معرفتنا عندما يكون ما نعرفه ذا نفع للآخرين، كلما نستخدم معرفتنا للاستخفاف والتحكم في الآخرين أو لصالح تحقيق منافع شخصية على حساب مصلحتهم، نكون حينها تجسيدًا حقيقيًا للساحر المُظلم المُتلاعب، وسحرنا الأسود الذي نقوم به، يضرنا كما يضر الآخرين الذين قد ينتفعون من علمنا ومعرفتنا.

* القُطب السالب لظل الساحر نطلق عليه الساذج أو «البريء»[1]

البريء هو النسخة الكبيرة من القطب السالب لظل «الطفل مُبكر النضوج» الذي سميناه البليد، فالبريء يريد أيضًا القوة ومناصب السلطة التي تأتي عادةً للرجل الساحر، على الأقل في المجالات المُتعارف عليها اجتماعيًّا، لكنه لا يُريد تحمُّل المسئولية الخاصة بالساحر الحقيقي، لا يُريد أن يُشارك ويُعلِّم، لا يُريد أن يقوم بمهمة مُساعدة الآخرين بالحذر والتأني المطلوب في كل عملية تحضيرية، لا يُريد أن يكون المُضيف في المكان المقدس، لا يرغب في أن يفهم نفسه، وبالتأكيد لا يُريد أن يبذل المجهود الكبير المطلوب ليكون خبيرًا في احتواء الطاقة وتوجيهها بشكل إيجابي بنَّاء، يُريد أن يتعلم فقط القدر المطلوب الذي يُمكنه من تعطيل من يقومون فعلًا بالمحاولة ويبذلون الجهود، إنه يقوم بكل هذا وهو يؤكد على براءته وبراءة نواياه الخفية، فالرجل الممسوس من البريء الذي يرى أنه أعظم من أن يقوم ببذل مجهود حقيقي، يُعرقل الآخرين ويسعى دائمًا لفشلهم.

---

(١) تم وضع علامات تنصيص لله بريء « من قبل المؤلفين كتعبير عن الإدعاء الكاذب بالبارءة و السذاجة. المترجم

بينما يقوم المُخادع - القطب الموجب لظل نموذج الطفل مُبكر النضوج - بألاعيبه جزئيًا بهدف الإفصاح عن الحقيقة، يقوم «البريء» بحجب الحقيقة في سبيل الحصول والمُحافظة على منزلته المُتزعزعة، بينما يُركز المُخادع هجماته على غرورنا المُنتفخ لتضئيله، يقوم الساحر الظليل - بكلا قُطبيه - بتوجيه هجماته إلينا حتى عندما يكون هذا التضئيل غير ضروري أو حتى مؤذٍ.

تكون الدوافع الخفية للبريء نابعة من الحقد والغيرة من هؤلاء الذين يفعلون والذين يعيشون والذين يُريدون المُشاركة، ولأنه حاقد على الحياة ومن يعيشها، يكون خائفًا من أن يكتشف الناس شحوح طاقة الحياة لديه، وأن يُسقطوه من على قاعدته الهشة، انعزاله وسلوكه المُثير للإعجاب وتعليقاته المُهينة وعدائيته تجاه الأسئلة وحتى خبراته المُتراكمة؛ كلها مُصممة خصيصًا لتُغطي على كآبته الداخلية الحقيقية ولتُخفي عدم مسئوليته الباطنة.

الرجل الممسوس من البريء يرتكب خطايا مُباشرة وغير مُباشرة، لكنه يُخفي دوافعه العدوانية خلف حائط منيع من البراءة والسذاجة المُصطنعة، هذا النوع من الرجال يكون مُضلِّلًا ومكارًا، فلا يسمحون لنا أن نواجههم مُباشرةً بطاقة

المُحارب الخاصة بنا، إنهم يتفادون محاولتنا لمواجهتهم عن طريق استدراجنا دائمًا للتشكك بحدسنا تجاه أفعالهم، وإذا طعنَّا في براءتهم؛ يردُّون في الأغلب بدموع مُزيفة هدفها التمثيل والتأثير علينا، وقد نشعر حتى بالعار من أنفسنا أننا هاجمناهم وجرحنا مشاعرهم، لكننا لن نستطيع أن نهرب من شعورنا الداخلي أننا تم التلاعب بنا، وهذا الشعور بالتحديد هو ما يكشف القطب الموجب لظل الساحر الذي يكون خفيًّا وراء براءة البريء.

التواصل مع الساحر الداخلي:

إن كنا تحت سيطرة المُتلاعب، نكون حينها في قبضة الظل الخارق للساحر، وإن شعرنا أننا فاقدون للاتصال مع الساحر في صورته المُتكاملة، نكون قد وقعنا في القطب السالب للبريء المُنِكر والكذاب، في هذه الحالة سيغيب لدينا النظام الداخلي والحكمة الفطرية ونقاء الذهن، سنفتقد الأمان الداخلي ونفقد الثقة في تفكيرنا الشخصي، لن نتمكن من الانفصال عن المشاعر السلبية المُتعلقة بمشاكلنا، سنكون أكثر عرضة للفوضى الداخلية، ونُصبح قابلين للجرجرة والدفع بسهولة في الاتجاهات المُختلفة، سنتصرف بطريقة «سلبية - عدوانية» تجاه الآخرين، لكننا ندَّعي البراءة من أي نوايا خبيثة.

إحدى أصعب المهام التي يُمكن لأي مُستشار ومُعالِج نفسي القيام بها هو أن يجعل عُملاءه يفصلون أناهم - الأنا الخاصة بهم - عن مشاعرهم، لكن بدون أن يكبتوا هذه المشاعر، هناك تمرين سيكولوجي ممتاز قد يُساعد في هذه المُهمة: إنه يُسمى «التركيز» وتم تطويره من قِبَل Eugene Gendlin، وفي هذا التمرين، نطلب من مرضانا عندما تُراودهم مشاعر سلبية قوية - كالذعر الشديد أو الحقد أو الغيرة أو الغضب أو اليأس أن يجلسوا على «كرسي مُراقبة»، وعندما تبدأ هذه المشاعر في الظهور أن يضعوها على هيئة كومة في منتصف الغرفة، كل واحد من هذه المشاعر يجب أن يوضع على الكومة بحذر، ثم يُمكننا أن نجلس ونُراقب هذا الشعور، نرى لونه وشكله، نرى النغمات المشاعرية التي يلعبها، نطلب من مرضانا أن يروا مشاعرهم، بدون أن يحكموا على هذه المشاعر أو يحاولوا كبتها أو التخلي عنها، لكن مُجرد مُراقبتها، «أوه، ها أنت مُجددًا، إذن هذا ما تبدو عليه.» فإن كانت المشاعر في منتصف الغرفة، حيث تقدر الأنا على رؤيتها، لن يتم كبت هذه المشاعر، وعندما تضعف القوة السلبية المُرتبطة بالمشاعر، حينها نطلب من عملائنا أن يتخلوا عنها ويدعوها تذهب برفق.

ما يفعله هذا التمرين هو مساعدة العميل على تقوية تواصله مع طاقة الساحر، فالساحر هو من يُراقِب ويُفكِّر، الساحر هو

الذي يُمكِّن الأنا من ترتيب المشاعر على هيئة كومة مُنظمة، بالتالي يتم احتواء الطاقات المشاعرية وحينها تفقد قوة تأثيرها، وهذا في النهاية يُمكِّن الأنا من تحويل هذه الطاقة النابعة من المشاعر السلبية إلى طاقة إيجابية ومُفيدة للذات.

هناك تمرين آخر ساعد شابًّا يافعًا بالتواصل مع ساحره الداخلي، هذا الشاب كان يُذْعَر كل ليلة بسبب أحلام عن أعاصير تُطارده، فكانت السُّحب السوداء تأتي إليه على شكل زوبعة عملاقة وهو مُختبئ تحت شجرة حديقة منزل طفولته، لم يكن لدى الشاب أدنى فكرة عن معنى هذا الحلم، خلال فترة تحليله النفسي، أدرك أن عقله اللاواعي كان يُصور له غضبه في الطفولة على شكل هذا الإعصار، فقد كان والداه مُدمنين، وكانت عليه مسئولية إدارة شئون المنزل والاعتناء بهما، ليس هذا فقط، بل كان قد تعرَّض للاعتداء الجنسي عدة مرات من قِبَل أحد أعمامه، لقد كان غضبه وغيظه في الطفولة فظيعًا، وها هو يظهر هذا الغضب نفسه بكل قوة في أحلام الشاب، هذه الأعاصير غير المحتواة داخل الضواحي النفسية للشاب كانت تُدمر حياته الشخصية والعملية، كان مكتئبًا بشكل عميق.

ولأن الشاب كان فنانًا نوعًا ما، طلب منه مُعالجه أن يرسم صورة لهذه الأعاصير، ثم طلب منه أن يرسم هذه الأعاصير

داخل حاوية من الصلب، ليدور ويدور غضبه كالملفات المغناطيسية في مولد الكهرباء، ثم طلب منه أن يرسم خطوط وأسلاك الطاقة والمُحولات التي تخرج من هذه الحاوية وتغذي أنوار الشوارع والبيوت والمصانع، وأي شيء يحتاج لطاقة.

بمجرد أن فعل الشاب هذا، بدأت حياته في التغير، وجد العزيمة والقوة لترك وظيفته، كان دائمًا يرغب في العمل في مسرح للأطفال، فجأة - وكأنها ظهرت من العدم - بدأت عروض لوظائف مُماثلة تظهر له، هذه الطاقة الجبارة لغضبه الخام في الطفولة، بعد أن تم احتواؤها وتوجيهها إلى الأنوار والمصانع في حياته الحالية، كانت تعمل كمحطة طاقة لحياته الجديدة، السحر الأسود لغضبه الجامح والفوضوي تحوَّل إلى السحر الأبيض للكهرباء التي تُنير حياته.

ما فعله الأخصائي بترجيح الرسم للشاب هو تمكينه من استحضار حكمة ومعرفة الساحر المُتكامل ليتمكن من احتواء وتوجيه المشاعر الجامحة، عندما نكون على تواصل صحيح مع الساحر، نضيف على حياتنا العملية والشخصية بُعدًا جديدًا من قوة النظر ونقاء التفكير، والمعرفة العميقة عن أنفسنا وعن الآخرين، ومهارة تقنية في عملنا الخارجي وفي عملنا الداخلي في التعامل مع طاقاتنا السيكولوجية.

بينما نتواصل مع الساحر، يجب علينا أن نُنظم هذه الطاقة مع الطاقات الأخرى للنماذج الثلاثة، فلا واحد منهم - كما ذكرنا سابقًا - يعمل جيدًا بمفرده، نحتاج أن نخلط مع الساحر رغبة الملك في العطاء والكرم والمُباركة، وقُدرة المُحارب على التصرف بحسم وبشجاعة، وترابط وتوحد المُحِب مع الأشياء جميعًا، حينها سنكون نستخدم معرفتنا واحتواءنا وتوجيهنا لتيارات الطاقة في صالح الإنسان، وربما حتى لصالح خير الكوكب كله.

المُحِب

كهوف «إليفانتا» التي تقع في جزيرة قريبة من ساحل مدينة بومباي في الهند، إنها كهوف ساحرة حتى لمن يراها عن بُعد، هذه الكهوف هي «معابد الموت» الأصلية في سلسلة Indiana Jones، تقع هذه الكهوف على مُنحدر جبلي عال كثيف الأدغال، تمتد فيه الأشجار حتى المياه، على هذه الأشجار تتأرجح القرود قافزة وصارخة فوق الأغصان.

حالما تدخل المغارة، ترى رونق المكان المُعتم، وبنور مئات الشموع المُشتعلة التي تتلألأ في الظلام، يظهر تصوير نحتي ضخم يُعبر عن «الفالوس» - القضيب - للإله الهندي «شيفا»، خالق ومُدمر الكون حسب التقليد الهندوسي، هذه الصورة قوية ومشحونة بطاقة الحياة بقدر عظيم للمؤمنين بهذا الدين، لدرجة أن آلاف الحجاج يزورون هذا المعبد ليل نهار مُرددين ترانيمهم ودعواتهم، هؤلاء الحُجاج يكونون في حالة افتتان روحاني فائق بهذا التصوير الرمزي للطاقة الذكورية المُقدسة.

الإغريق القُدامى كان لديهم إله يُسمى «بيرابس»، كان «فالوسه» كبير لدرجة أنه كان مضطرًا أن يحمله أمامه على عربة يدوية، المصريون القدماء كانوا يُقدرون الإله أوزوريس على هيئة «عواميد جد»، أما اليابانيون في احتفالات الخصوبة الخاصة بهم، كانوا يرقصون بقضبان صناعية كبيرة هدفها استحضار القوى الخلاقة للطبيعة.

القضيب المُنتصِب هو بالطبع رمز جنسي، لكنه أيضًا رمز لطاقة الحياة للشعوب القديمة، كان الدم يُعتبر حامل الروح والطاقة، فعندما يجعل الدم القضيب مُنتصبًا، فكأنه ينفخ الروح في اللحم، وكأن طاقة الحياة - المُقدسة دائمًا - تدخل إلى العالم الدنس للمادة والحياة الإنسانية، ونتيجة هذا الاتحاد بين الإنسان والمُقدس، الروح والمادة، كانت تولد عملية الخلق والتنشيط، فمن هذا الاتحاد تولد حياة جديدة، فُرص واحتماليات جديدة.

هناك العديد من أنواع الحب، الإغريق تحدثوا عن «أجابي» agape الذي هو الحب غير الشهواني، أو كما يُسمى في الكتاب المُقدس: «الحب الأخوي»، تحدثوا عن الإيروس Eros بالشكل الضيق للحب الجنسي، وبالشكل الواسع للحب الذي

يُوحد ويجمع الأشياء جميعًا، الرومان تحدثوا عن «الأمور» amor، الذي هو الاتحاد الكامل لجسد وروح إنسان مع جسد وروح إنسان آخر، هذه الأنواع وجميع الأنواع الأخرى للحب (التي هي في الأغلب مُشتقات من هذه الأنواع المذكورة)، هي التعبير عن طاقة نموذج المُحِب في حياة الإنسان.

اليونجيون - نسبة لأتباع يونج - يستخدمون دائمًا كلمة إيروس - الإله الإغريقي - للتعبير عن طاقة الحُب، هم يستخدمون أيضًا الكلمة اللاتينية «ليبيدو» التي تعني الرغبة، وبهذه المُصطلحات هم لا يقصدون الرغبات الجنسية فقط، بل الشهوة العامة للحياة وطاقتها.

نحن نؤمن أن المُحِب - أيًّا كان اسمه - هو نمط الطاقة البدائي لما يُسمى الحيوية والشغف، وهذه الطاقة تعيش من خلال رغباتنا العظيمة كبشر، رغباتنا للجنس والطعام والصحة والتكاثر والتكيف الإبداعي لصعوبات الحياة، وجوهريًّا الشعور بالمعنى الذي من دونه لا يستطيع الإنسان المُضي قُدمًا في حياته، ودافع نموذج المُحِب هو إرضاء هذه الرغبات.

نموذج المُحِب هو أساسي للنفسية البشرية أيضًا؛ لأنه طاقة الحساسية للبيئة الخارجية، إنه تعبير عن ما سماه يونج «وظيفة

الإحساس»[1]، وهي الوظيفة التي تتخصص في جميع تفاصيل تجارب الحواس، الوظيفة التي تُلاحظ الألوان والأشكال والأصوات والأحاسيس اللمسية والروائح، المُحِب يُراقِب أيضًا التغير في ملمس العالم السيكولوجي الداخلي وهو يتجاوب مع واردات الحواس، يُمكننا بسهولة رؤية أهمية هذه الطاقة البدئية في النجاة لأسلافنا القُدامى في الغابات، الذين كانوا يُعانون جاهدين للنجاة في عالم شديد الخطورة.

لكن بغضِّ النظر عن الخلفية البدائية، كيف يَظهَر «المُحِب» في الرجال اليوم؟ كيف يُساعدنا على النجاة بل وحتى الازدهار؟ ما هي خصائص المُحِب؟

المُحِب في صورته المُتكاملة:

المُحِب هو نموذج اللعب والتعبير والإبداء، نموذج التجسيد الصحي الإيجابي، نموذج التواجد في عالم المُتع الحسية والجسدية دون الشعور بالعار، إذن فالمُحب هو شديد الحسية، حساس وواعٍ حسيًّا للعالم المادي بكل

---

(١) بالنسبة لكارل يونج، هناك أربعة وظائف أساسية للنفسية البشرية: التفكير، الإحساس، الحدس و الشعور.

للمزيد عن اهمية و دور هذه الوظائف يُمكن الرجوع لكتاب « مقدمة إلى علم النفس التحليلي» لكارل يونج. المُترجم

روعته، المُحِب مُرتبط ومُتصل مع الجميع، فهو مجذوب إليهم من خلال حساسيته، وحساسيته هذه تدفعه للشعور بالعطف والشفقة تجاه الآخرين، من منظور الرجل المُتواصل مع المُحِب، تكون كل الأشياء مُتصلة ببعضها بطرق غامضة، إنه - حسبما يقول المثل - «يرى العالم في حبة رمل»، وهو لا يرى العالم في حبة رمل فقط، بل يشعر به كذلك.

أحد الصبيان بدأ التحليل النفسي بطلب من والديه؛ لأنه كان كما قالوا: «غريبًا جدًّا»، كان - كما قالوا - يمضي الكثير من الوقت بمفرده، ما أخبرنا به هذا الولد عندما سألناه عن غرابته المزعومة، هو أنه كان يأخذ نُزهات طويلة في الغابة وحده، حتى يجد بُقعة مُنعزلة، ثم يجلس على الأرض ويُشاهِد النمل والحشرات الأخرى وهي تسلك الطرق المُتعرجة بين العشب والأوراق المُتساقطة، ثم يقول الصبي: إنه يبدأ بشعور كيف يكون العالم بالنسبة للنمل، ويتخيل نفسه نملة، وكان يستطيع أن يشعر بأحاسيس النملة وهي تتسلق الحصى - التي كانت بالنسبة له صخورًا كبيرة - وهي تتبختر بعدم اتزان على أطرف أوراق الشجر.

بل وربما الشيء الأعجب، أن الصبي أخبرنا أنه يستطيع أن يشعر أنه أحد الطحالب التي تنمو على الأشجار الرطبة

والجذوع المُتكسرة، لقد كان يعيش الجوع والمرح والمُعاناة والرضا لعالم الحيوان والنبات كله.

هذا الصبي كان - من وجهة نظرنا - يتواصل مع طاقة المُحب بصورة استثنائية، كان غريزيًا يتعاطف مع عالم الأشياء من حوله، ربما استطاع بالفعل - كما كان يؤمن - أن يشعر بالتجربة الحقيقية لهذه الأشياء.

نحن نؤمن أن الرجل المُتواصل مع المُحِب يكون منفتحًا للـ«لاوعي الجمعي»، كارل يونج هو مَنْ طرح فكرة اللاوعي الجمعي، وهو بحسب يونج لاوعي يخص الجنس البشري ككل، ويحتوي على الذكريات اللاواعية لكل ما حدث في حيوات جميع الناس الذين عاشوا من قبل، لكن - كما رجح يونج - إن كان اللاوعي الجمعي يبدو لا حدود له، إذن لِمَ التوقف هنا؟ ماذا إن كان اللاوعي الجمعي شاسعًا كفاية لاحتواء الانطباعات والأحاسيس لجميع الكائنات الحية؟ فربما بالفعل يتضمن ما يُطلِق عليه بعض العُلماء الآن «الوعي الأولي» حتى للنباتات.

هذه الفكرة أن هناك وعيًا كونيًا تظهر في شخصية Obe Wan Kanobe في سلسلة Star Wars، فهو يتحلى بالشفقة وحساس بدرجة عميقة لكل مجرته، ويشعر بأي تغيرات طفيفة في «القوة» «TheForce»، فلاسفة الشرق الأقصى كانوا يقولون:

إننا كالأمواج على سطح هذا البحر الشاسع، طاقة نموذج المُحِب لديها اتصال فوري وحميمي مع هذا الترابط الخفي للأشياء جميعًا.

أحد التماثيل الهندوسية (ميثونا) من القرن الحادي عشر

مع هذه الحساسية لكل شيء داخلي وخارجي تأتي العاطفة، فالترابط الخاص بطاقة المُحِب ليس ذهنيًّا، بل عاطفيًّا شعوريًّا، فنحن نختبر الشهوات البدائية على مستوى المشاعر والأحاسيس، لكن المُحِب يشعر بها على مستوى أعمق، الوجود على مقربة من اللاوعي يعني التواجد على مقربة من «النار»: نار الحياة، وعلى الصعيد البيولوجي: نار العمليات الجسدية التي تُحافظ على وجود الجنس البشري، فالحب - كما نعرف جميعًا - يكون مُشتعلًا، وغالبًا حتى للدرجة التي يصعب التعامل معها.

الرجل تحت تأثير المُحِب يُريد أن يَلْمِسَ وأن يُلمَس، يُريد أن يَلْمِسَ كل شيء جسديًّا وعاطفيًّا، ويُريد أن يَلْمِسَهُ كل شيء، هو لا يعترف بالحدود، إنه يريد أن يعيش ويختبر الارتباط الذي يشعر به مع العالم، داخليًّا في سياق مشاعره القوية، وخارجيًّا في سياق علاقاته مع الآخرين، رغبته القصوى هي اختبار وعيش عالم المشاعر والأحاسيس في كليته وشموله.

المُحِب - والرجل الذي تحت تأثيره - لديه ما يُسمى «وعي جمالي»، هو يختبر كل شيء - بِغَضِّ النظر عن ماهيته - من منظور جمالي، كل الحياة هي فن بالنسبة له، وهي تستحضر مشاعر دقيقة، القبائل البدوية في صحراء كالاهاري

يمتازون بهذه الخاصية، فهم في حالة تناغم جمالي مع كل شيء في مُحيطهم البيئي، فيرون المئات من الألوان في عالمهم الصحراوي، يُلاحظون تفاصيل دقيقة في النور والظل لشيء قد يبدو لنا مُجرد لون باهت.

طاقة المُحِب كما أنها تنشأ بطبيعتها من الطفل الأوديبي هي أيضًا مصدر للروحانية، خصيصًا لما نُسميه التصوف.

في التقاليد الصوفية - التي هي حاضرة في جميع أديان العالم - تقوم طاقة المُحِب - من خلال الصوفيين - بالسعي للتوحد مع العالم والتقرب إلى الخالق في كل شيء، حتى في الحياة اليومية ومن خلال الإنسان الفاني.

نفس الصبي الذي كان يستطيع أن يتخيل نفسه كنملة، أخبرنا أيضًا بواقعة يُمكن اعتبارها بداية التجربة الصوفية، كانت الواقعة بشأن شعور غريب شعر به في لحظات مُعينة أثناء وجوده في مُعسكر كشافة صيفًا، حيث كان يتم إيقاظ المُعسكِرون في ساعة مُتأخرة من الليل، ثم يشقُّون طريقهم خلال مسارات الغابة الغامضة في عتمة الليل إلى نُقطة تجمُّع مُنيرة يُرددون فيها أغانٍ ورقصات من تقاليد سكان أمريكا الأصليين، قال الصبي: إنه أثناء سيره مع زملائه في الظلام، كان يشعر كثيرًا برغبة عارمة ليفتح ذراعيه للظلام ويطير فيه،

شاعرًا بالأشجار تقطع جسده الروحاني لكن بدون ألم وبنشوة غامرة، قال: إنه كان يشعر بأنه يُريد أن «يتوحد» مع غموض الظلام المجهول ومع الغابة الليلية المُخيفة والمُطمئنة في نفس الوقت، هذه المشاعر والأحاسيس هي بالضبط ما يصفه المتصوفون في الديانات المُختلفة عندما يحاولون وصف رغبتهم في التوحد مع الغموض الروحاني.

الرجل المتواصل مع المُحِب يختبر كل شيء في الحياة عميقًا على هذا النحو، بينما يشعر بالألم والمُعاناة في العالم، يشعر أيضًا بنشوة عظيمة، إنه يشعر بالفرح واللذة في جميع التجارب الحسية للحياة، قد يعرف - على سبيل المثال - لذة رحيق الورد، قد يكون أيضًا حساسًا للمُوسيقى.

الكتابة أيضًا قد تكون تجربة حسية بالنسبة للرجل المُحِب، عندما سألنا بعض الكُتَّاب: لماذا يدخن العديد منهم عندما يجلسون للكتابة؟ أخبرونا أن التدخين يجعلهم يسترخون عن طريق فتح حواسهم للمشاعر والأحاسيس، ويشعرون بارتباط عميق مع ما يُسموه «الأرض» أو «العالم»، حينها يتحد الداخل والخارج في وحدة مُتكاملة؛ فيستطيعون الإبداع.

اللغة - الأصوات المُختلفة والمعاني الدقيقة للكلمات يتم التعامل معها من قِبَل المُحِب من خلال عاطفته، قد يتعلم

الآخرون اللغات بطريقة ميكانيكية، لكن مَنْ هو متواصل مع المُحِب يتعلم اللغات عن طريق الشعور بها.

حتى أكثر الأفكار تجريدية - كأفكار الفلسفة والعلوم - يشعر بها المُحِب بحواسه، ألفريد نورث وايتهيد - الفيلسوف وعالم الرياضيات السويدي الشهير في القرن العشرين - هو مثال على هذا في كتاباته، التي هي تقنية ومليئة بالمشاعر في نفس الوقت، وأحد أساتذة الرياضيات قال ذات مرة: إنه يستطيع أن يشعر بالبُعد الرابع.

الرجل الذي يكون على اتصال عميق مع المُحِب يختبر عمله وزملاءه في العمل من خلال هذا الوعي الجمالي، هو يستطيع أن يقرأ الناس ككتاب، ويكون في الأغلب حساسًا بدرجة مُذهلة لتغيراتهم المزاجية، ويستطيع أن يشعر بدوافعهم الخفية، وقد تكون هذه تجربة مؤلمة جدًّا بالفعل.

جميعنا نعرف أن الحُب يجلب البهجة والألم، فالمُحِب إذن ليس النموذج الخاص بالبهجة في الحياة فقط، فبسبب قُدرته على الشعور بالتوحد مع الآخرين ومع العالم، يشعر أيضًا بألمهم، قد يقدر الآخرون على تجنُّب الألم، لكن الرجل المتواصل مع المُحِب يجب أن يتقبله ويتحمله، إنه يشعر بألم الحياة لنفسه وللآخرين.

الرجل الواقع تحت تأثير نموذج المُحِب لا يُريد أن يتوقف عند الحدود المصنوعة اجتماعيًا، فهو يرفض اصطناعية هذه الأشياء، حياته تكون في الأغلب غير تقليدية وغير مُنظمة كمرسم الفنان ومكتب الباحث المُبدِع، بالتالي - لأنه ضد النظام - نجد أن في حياته هذا الصراع التقليدي بين الشهوانية والأخلاقية، بين الحُب والواجب، أو كما وصف جوزيف كامبل بطريقة شعرية: بين «أمور وروما»، «أمور» تُمثل تجربة الشغف الحسية، و «روما» تُمثِل الواجب والمسئولية تجاه القانون والنِظام.

قد تبدو طاقة المُحِب - على الأقل للوهلة الأولى - مُعارِضة للطاقات الأخرى للذَّكَر الناضج، فاهتمامات المُحِب عكس اهتمامات المُحارب والساحر والملك، التي تهتم بالحدود والاحتواء والنظام والانضباط.

وما يسري على نفسية كل إنسان يسري أيضًا على بانوراما التاريخ والثقافات أيضًا.

* الخلفية الثقافية لنموذج المُحِب:

ما هي أشكال الحياة التي تُعبر عن نموذج المُحِب بوضوح؟ هناك شكلان أساسيان: الأول هو الفنان بصورة عامة، والثاني هو الوسيط (العراف.

الرسامون والموسيقيون والشعراء والنحاتون والكُتَّاب؛ هم جميعهم تعبيرات واضحة عن المُحِب، فالفنان معروف بأنه حساس وحسي، لرؤية هذا علينا فقط رؤية شخصيات الفنان Gauguin المنُيرة، الألوان الساطعة لفناني حركة الانطباعية، لوحات Goya ومنحوتات هنري مور، علينا فقط سماع سمفونيات الصوفية لـ «Mahler»، الجاز الرائع لفرقة Hiroshima، أو الأشعار الحسية المُتأرجحة لـWallaceStevens.

حياة الفنانين الشخصية تكون في الأغلب عاصفة وفوضوية ومتاهية ومليئة بالنجاحات والإخفاقات، زيجات فاشلة وإدمان، إنهم يعيشون قريبًا جدًّا من القوة النارية للاوعي الخلَّاق.

بطريقة مشابهة، العرافون يعيشون أيضًا في عالم مليء بالأحاسيس والذبذبات والحدس العميق، وعيهم - كوعي الفنانين - يكون مُنفتحًا بدرجة شديدة للاحتلال من قِبَل مشاعر وأفكار الآخرين، ومن قِبَل العالم الغامض للاوعي الجمعي، يبدون كأنهم يعيشون في عالم خلف العالم الطبيعي، ومن هذا العالم الخفي، يحصلون على مفاتيح وأدلة عن ما يجري مع الناس، وقد يستقبلون انطباعات عن المُستقبل، لكن العرافين ليسوا بالضرورة دجالين بالصورة التقليدية، فرجل

الأعمال الذي يملك حدسًا باطنيًّا عن الأفكار والسلع التي قد يزيد أو يقل الطلب عليها هو عرَّاف، كذلك نحن نكون عرَّافين عندما نُشكل انطباعات مُسبقة وحدسًا داخليًّا بشأن الآخرين، أو بشأن أحداث ومواقف مُعينة، أو بشأن مُستقبلنا الشخصي، ففي هذه اللحظات، تتكشَّف لنا الوحدة الخفية للأشياء، حتى بطرق تبدو عادية، فعندما نكون متواصلين مع طاقة المُحِب، نكون متواصلين مع عوالم لا نكون مُدركين لها في العادة.

كل مجال إبداعي وتقريبًا كل مهنة، من الزراعة إلى المُضاربة بالبورصة، من دهان المنازل إلى برمجيات الكومبيوتر، كلها مجالات تحتاج طاقات المُحِب للإبداع.

وكذلك المُتذوقون المُحترفون، فهؤلاء يقدرون حقًّا الطعام الفاخر، النبيذ والتوباكو، وكذلك الخُبراء الذين يتميزون في مجال العُملات القديمة، والآثار وكل الأشياء القيِّمة الأخرى، وحتى المهووسون بالسيارات فهم لديهم شغف رهيب تجاهها، مُثمنو السيارات المُستعملة، الذين يستمتعون برؤية ولمس السيارات القيِّمة، الذين يُمكنهم رؤية الجمال والقيمة تحت الصدأ والفرش المُهترئ، المُعجب الذي يُتابع مجالًا أدبيًّا مُعينًا أو فرقة موُسيقى معينة، متذوقو القهوة والشوكولاتة الفاخرة، بائع الأنتيكات المُتميز، إنهم

جميعًا يتواصلون مع المُحِب بهذه المجالات، كلهم يعبرون عن طاقة نموذج المُحِب بداخلهم، الخطيب الذي يملأ خطبته أو موعظته بالقصص والمشاعر، هو - كما يقول سكان أمريكا الأصليون - «يُفكر بقلبه ليس بعقله فقط»، فهو يتواصل مع المُحِب.

جميعنا عندما نتوقف عن الفعل ونسمح لأنفسنا بالشعور، بدون الضغط والرغبة في الفعل، عندما نتوقف لنشمَّ زهرة؛ نشعر حينها بطاقة المُحِب.

بالطبع، نشعر بنموذج المُحِب في حياتنا العاطفية، ففي ثقافتنا هذا هو السبيل الأساسي للتواصل مع المُحِب، الكثير من الرجال يعيشون حرفيًّا من أجل الوقوع في الحب، الذي يعني في الحقيقة الوقوع تحت التأثير الأخَّاذ للمُحِب، ففي هذه الحالة من النشوة، التي يمر بها حتى أكثرنا قسوة، نتلذذ في محبوبتنا ونتغزل في جمالها الجسدي والروحي، ومن خلال توحدنا العاطفي والجسدي معها، ننتقل إلى العالم السماوي المليء بالنشوة والمُتعة من جهة، والمليء بالألم والمُعاناة من جهة أخرى، وفي هذه الحالة، العالم كله يبدو مُختلفًا لنا، نشعر أنه أكثر حياة وزهوة ومعنى، للأفضل وللأسوأ، هذه هي قُدرة المُحِب.

قبل أن ننتقل لمُناقشة الجانب المُظلم للمُحِب، نُريد أن نُلقي نظرة على المُعضلة القديمة، بين الزواج الواحد وتعدد الزيجات، الزواج الأحادي Monogamy ينشأ من نوع حب الـ «أمور»، الذي يُحب فيه الرجل والأنثى بعضهم البعض، روحانيًّا وجسديًّا، ويظهر هذا النوع من الحب في عالم الميثولوجيا في قصص الحب بين الإله المصري «أوزوريس» وزوجته «إيزيس»، وبين الإله الكنعاني «بعل» وزوجته «إنات»، وفي الميثولوجيا الهندوسية، هناك الحب الخفي بين «شيفا» و«بافارتي».

الزواج الأحادي لا يزال يُعتبر النموذج الأمثل اليوم، على الأقل في الغرب، لكن المُحِب قد يُعبِر عن نفسه أيضًا من خلال تعدد الزيجات، أو الزيجات الأحادية المُتسلسلة، في الميثولوجيا، يظهر هذا الأمر في الهندوسية في حب كريشنا للـ «جوبيز»، رعاة البقر الإناث، فهو يحب كل واحدة منهنّ بشدة، يحب كل واحدة بكل قدرته على الحُب، فتشعر كل واحدة منهن أنها مُميزة ومُقدرة، في الميثولوجيا الإغريقية، «زيوس» لديه معشوقات عديدات في العالم السماوي وفي العالم الأرضي، في التاريخ البشري، يظهر هذا الجانب من المُحِب في «حريم الملك»، الذي يُرى من العين الأحادية برعب وإعجاب في نفس الوقت، الملك المصري القديم

رمسيس الثاني يُرجَّح أنه كان لديه أكثر من مئة زوجة، وبدون ذكر الجاريات، حتى أن بعض الرجال المُسلمين الأغنياء اليوم يكون لديهم عدة زوجات، إن طاقة المُحِب تعبر عن نفسها في جميع هذه العِلاقات المُختلفة بأشكال مُختلفة.

الجانب المُظلم للمُحِب: المُحِب المُدمِن والمِحب العاجز

الرجل الذي يعيش في أي قُطب من قطبي ظل المُحِب، كالرجل الذي يعيش في أي ظل من ظلال الطاقات الذكورية الأخرى، يكون ممسوسًا من الطاقة التي من المُفترض أن تكون مصدر حياة وحيوية له إن اتصل بها بالطريقة الصحيحة، وطالما هو ممسوس من ظل المُحِب، هذه الطاقة تعمل على تدميره وتدمير الآخرين حوله،

أكثر الأسئلة قوة وضرورة التي يسألها الرجل الذي يقع تحت سيطرة المُحِب المُدمن هي: «لماذا عليَّ وضع أي قيود على تجاربي الحسية والجنسية لهذا العالم الشاسع، ذلك العالم الذي يحمل لي مُتعًا لا نهائية؟»

كيف يُسيطر المُدِمن على رجل؟ أحد أكثر الخصائص السلبية أساسيةً وعُمقًا التي تُميز المُحِب المُدمِن - القُطب

الموجب للجانب المُظلم لنموذج المُحِب - هي ضياعه، الرجل الممسوس من قِبَل ظل المُحِب يُصبح ضائعًا حرفيًّا في بحر من الأحاسيس، حتى أبسط الأحداث في العالم الخارجي تكون كافية لفقدانه توازنه والإطاحة به خارج المركز، إنه ينجذب إلى الوحدة الشديدة في المساء، وإلى الخراب العاطفي بسبب خلاف في مكتب العمل، ينجذب إلى تملق السيدات اللواتي يراهن في الطريق، كأنه يتم جرجرته في اتجاه مُعين ثم جرجرته في اتجاه آخر، فهو لا يتحكم بزمام أمور حياته، إنه يصبح ضحية لحساسيته، فيتورط في عالم مليء بالمشاهد والأصوات والأحاسيس اللمسية، يُمكننا هنا ذكر مثال: الفنان فان جوخ الذي ضاع في ألوانه ولوحاته وفي الديناميكية العنيفة لنجوم الليل التي صوَّرها.

هناك حالة لرجل كان حساسًا للغاية لدرجة أنه لا يحتمل أقل قدر من النور في غرفته ليلًا، وأصابه الجنون حرفيًّا بسبب الضوضاء من الشقق الأخرى في المبنى، وهو في نفس الوقت كان لديه إمكانية أن يُصبح مُلحنًا مُوسيقيًّا رائعًا، لم يستطع أن يُبقي الألحان والكلمات تفيض داخل عقله فسمعها حرفيًّا، وفي مُحاولة بائسة لإبقاء حياته على الحد الأدنى من التنظيم، كتب مئات المُلاحظات على مُلصقات وألصقها في جميع أرجاء شقته، على المرايا والسرير وعلى طاولة الطعام والأبواب،

وفي نوبة جنون، أخذ يركض من ملحوظة للأخرى، محاولًا بجنون الالتزام بكل مُهمة، فكانت حياته عبارة عن فوضى من الحساسية المُفرِطة، فقد أصبح ضائعًا في حواسه الخاصة.

هناك حالة أخرى لرجل كان يدرس اللغة العبرية في مدرسة ليلية، وبسبب أنه ممسوس من المُحِب المُدمِن، فقد تعامل مع اللغة بأحاسيسه، مُستمتعًا بكل حرف غريب وشاعرًا بكل صوت وسكون وتفصيلة للكلمات، في النهاية، وصل مرحلة كان فيها مُنغمرًا تمامًا في مشاعره، ولم يستطع إكمال التعلم، فلم يقدر على تحقيق الانفصال اللازم لتذكر الحروف والكلمات، ولم يتمكن من أن يستوعب كلمة واحدة أخرى، وبالرغم من أنه كان في البداية الأول على فصله؛ سقط إلى القاع سريعًا.

فهو لم يكن يتحكم في اللغة، بل كانت اللغة تتحكم به، لقد أصبح «مُدمنًا» للعبرية، ضحية المشاعر التي وجدها فيها، أصبح ضائعًا.

أحد الرجال كان لديه شغف للسيارات العتيقة التي كانت أغلى من دخله المادي، كان يُجتذَب مرارًا وتكرارًا لشرائها والعناية بها، «ضائعًا» في جمالها الأخَّاذ، بالرغم من الشحوح الواضح لموارده المادية، حتى ظهرت الحقيقة المُرة،

واكتشف أنه مُفلِس، واضطر لبيع سياراته المحبوبة ليتفادى دخول السجن.

هناك قصة عن رسام أخذ المال القليل المُتبقي في المنزل، المال الذي كانت تحتاجه زوجته لشراء الغذاء لأطفالهم، وصرفه على شراء أدوات رسم وألوان لمشروع رسم كان يعمل عليه، لقد كان يُحِب زوجته وأطفاله، لكن كما قال: كان يشعر أنه مُجبر على التعبير عن فنه، فقد «ضاع» في فنه، وفي النهاية خسر عائلته.

هناك أيضًا قصص الذين يُسمون «الشخصيات الإدمانية»، الذين لا يستطيعون التوقف عن الأكل والشرب والتدخين أو تعاطي المُخدرات، أحد الشبان الصغار كان مُدخِنًا شرهًا، وقد حذره أطباؤه أنه يجب أن يُقلع عن التدخين، وإلا سيُصاب بسرطان الرئة، فقد كانت لديه بالفعل الأعراض البدائية، وبالرغم من أنه كان يرغب في العيش، لم يقدر على أن يُقلِع عن التدخين، فقد كان يستمتع بشدة بالتجربة الحسية للتدخين، ومات الشاب بالفعل، ضائعًا في إدمانه العاطفي على التبغ.

هذا الضياع يظهر أيضًا في الطريقة التي يعيش بها المُدمِن، فهو يعيش فقط لأجل المُتعة اللحظية، ويعلق في شبكة تشله عن

الحركة وتمنعه من الهروب، وهذا ما دعاه اللاهوتي Reinhold Niebuhr بـ «خطيئة الشهوانية»، وما دعاه الهندوس بالـ «مايا» رقصة الوهم، الرقصة المدمنة على الأحاسيس المادية، التي تستعبِد العقل، وتُبقينا عالقين في دورات من المُتعة والألم.

ما يحدث عندما نكون مُشتعلين بنار الحب، نُشوى بنار سكرة الحنين والشوق، هو أننا نفقد القُدرة على الانفصال وعلى أخذ خطوة للخلف وعلى التصرف، نفقد القُدرة على أن نُصبح أنفسنا بعيدًا عن الحُب، لا نستطيع أن نحصل على مسافة بعيدة عن مشاعرنا، وكم من حياة دُمِّرَت بسبب أننا لا نستطيع أن نُخرِج أنفسنا من علاقة مؤذية، فعندما نشعر أننا عالقون في علاقة إدمانية، يجب علينا توخِّي الحذر؛ لأن هناك احتمالية كبيرة أننا وقعنا ضحايا بالفعل للجانب المُظلِم للمُحِب.

في ضياعه - الداخلي والخارجي - يكون الواقع في القُطب المُوجَب للجانب المُظلم للمحب مضطربًا أبديًّا، هذا هو الرجل الذي يبحث دائمًا عن شيء ما، هو لا يعرف ما الذي يبحث عنه، لكنه كالـ Cowboy في نهاية الفيلم الذي يمضي بحصانه إلى الأفق بحثًا عن مُغامرة أخرى، غير قادر على الاستقرار، لديه جوع لا يُشبع لتجربة أي شيء آخر سوى

الذي اختبره بالفعل، وكأنه مجبور على توسيع آفاق ليس معرفته - فالمعرفة قد تُحرره - بل شهوانيته وحسيته، وهذا التوسيع يتم بغضِّ النظر عن الثمن المدفوع في المقابل، إنه «جيمس بوند» و«إنديانا جونز»، يُحِب ويَهجُر ليُحِب مُجددًا، ثم يَهجُر مُجددًا.

هنا نرى مُتلازمة «دون جوان»، ونرى أساس المشكلة بين أحادية الزواج والرغبة في التعددية العاطفية، فأحادية الزواج بصورة مُعقدة - يُمكِن رؤيتها على أنها ناتج التمركز العميق في نفس الرجل، فهو ليس محكومًا بالقواعد الخارجية بل بأنظمته الداخلية، بشعوره الخاص عن الذكورة الناضجة وببهجته الداخلية، أما الرجل الذي يتنقل من أنثى لأخرى، باحثًا بوسوسة قهرية عن شيء لا يعرف ماهيته، هو رجل لم تتشكَّل وتتجذر قيمه الخاصة وأساساته الداخلية بعدُ، ولأنه مُشتت داخليًا وليس مُتمركزًا، يتم جرُّه ودفعه في جميع الاتجاهات من قِبَل وهم المثالية التي يظن أنها موجودة في عالم الأنثى والتجارب الحسية والجسدية.

بالنسبة للمُحِب المُدمِن، يُقدم العالم نفسه كشتات مُحيرة من كمال مُبعثر ومفقود، فهو عندما يكون محصورًا في الواجهة، لا يرى الخلفية الأساسية، عندما يكون محصورًا

لـ «وفرة الأشكال» - كما يقول الهندوس والصوفيون - لا يستطيع إيجاد التوحد الذي سيجلب له الهدوء والاتزان.

هذه صورة أخرى لما سمته بعض الأديان القديمة بـ «الوثنية»، فالمُدمن المُحِب يستبدل بدون وعي تجاربه المُشتتة مع قوة الاتحاد التي لا يختبرها أبدًا، وهذا يظهر مُجددًا في الظاهرة المُثيرة للاهتمام بشأن تجميع الإباحيات، فالرجل الواقع تحت تأثير طاقة المُحِب المُدمِن يحتفظ في الأغلب بمجموعة كبيرة من الأفلام والصور الإباحية، بل ويصنفها أيضًا بحسب مناطق الجسد، ثم يستمتع بالمُقارنة بين هذه الصور، فهو يُعجَب بجمال أعضاء جسد المرأة، لكنه لا يستطيع أن يرى الأنثى ككائن كامل جسديًّا أو سيكولوجيًّا، وبالتأكيد لا يراها كوحدة بين الجسد والروح، كإنسانة كاملة يستطيع أن يختبر معها علاقة إنسانية حقيقية عميقة.

هناك أيضًا تضخُّم اللاوعي في هذه الصورة من الوثنية، فالرجل الفنان الذي يختبر - من منظوره الشخصي - هذه الأشكال والصور اللانهائية من الجمال التي خلقها الله، يعتبر نفسه في اللاوعي «إله الحب» الذي لديه الحق بل الواجب في التأمل والإعجاب بكل هذه التجارب الحسية للجمال.

القلق والضياع الذي يشعر بهما الواقع تحت تأثير المُدمِن المُحِب هم في الحقيقة تعبير عن محاولته في البحث عن الخروج من «شبكة العنكبوت» التي هو عالق فيها، فالرجل العالق في شبكة «المايا» يتلوى ويتقلب وهو يُعاني محاولًا إيجاد مخرج من العالم، لكن بدلًا من سلوك المخرج الوحيد المُتاح، إذ به يجعل مأزقه أعمق، ومشكلته أكثر تعقيدًا، كمن يُرفِّس في الرمال المُتحركة بجنون فيغطس بعمق.

يحدث هذا لأن ما يظن أنه مخرجه، هو في الحقيقة طريقه للسقوط والتيه أكثر، ما يسعى إليه المُحِب المُدمِن - بالرغم من أنه لا يدُرك هذا - هو النشوة والذروة العُظمى الدائمة؛ ولهذا السبب يتنقل من قرية لأخرى ومن مغامرة لأخرى، لهذا السبب يتنقل من امرأة لأخرى، ففي كل مرة يكتشف في امرأته طبيعتها الآدمية الفانية، ضعفها ومحدوديتها، مُحطمةً حلمه في إيجاد النشوة الخالدة - أي عندما يزول وهم الجِماع الجسدي والروحاني المثالي معها - في كل مرة يصطدم بهذا الواقع يركب حصانه ويذهب ليبحث عن نشوة جديدة، إنه دائمًا يرغب في جرعته من السعادة الذكورية، وهو لا يعرف أين يبحث عن هذه الجرعة، وقد ينتهي الأمر بأنه يبحث عن روحانيته في سطر من الكوكايين.

علماء النفس يُطلقون على المشاكل التي تنبع من المُحِب المُدمن «مشاكل حدود»، فالرجل الممسوس من المُحِب المُدمِن لا يوجد لديه حدود، فكما قُلنا: المُحِب لا يُريد أن يكون محدودًا، وعندما يُسيطر علينا المُحب نُصبح لا نُطيق الحدود مهما كانت.

الرجل الممسوس من المُدمن المُحِب هو في الحقيقة ممسوس من اللاوعي، لاوعيه الشخصي واللاوعي الجمعي، فهذا اللاوعي يغمره كأنه بحر، أحد الرجال كان يراوده حلم مُتكرر بأنه يركض في شوارع شيكاجو، مُختبئًا خلف ناطحات السحاب من موجة عملاقة آتية من بحيرة ميشيجين، هذه الموجة كانت تتحرك بسرعة كبيرة جدًّا، وكانت تُهدد المدينة بأكملها، كان نومه يضطرب كل ليلة، ليس فقط بسبب هذا الحلم، بل أيضًا بسبب فيضان من الأحلام الأخرى، لقد كان لديه خلل - كما اكتشفنا لاحقًا - في الحدود بين أناه الواعية والقوة الساحقة للاوعي.

كون أن اللاوعي ظهر له في الحلم كموجة عالية من بحيرة - تذكِّر بتلميذ المشعوذ الذي غمره الماء - يتوافق تمامًا مع الصورة العالمية للاوعي كالبحر الفوضوي العميق في الكتاب المُقدس أو المُحيط البدئي في قصص الخلق للحضارات

القديمة، هذا المُحيط الفوضوي - الذي يُمثل اللاوعي كان يظهر في الميثولوجيا القديمة كطاقة مؤنثة، هذه الموجة العالية في حلم الرجل كانت في الحقيقة تمُثل الخطر الكبير التي تُشكله عقدة الأم لديه، التي لم تكن محلولة أو واعية، ما كان يجب عليه فعله هو أن يبني أساسات الذكورة لشخصيته بعيدًا عن اللاوعي المؤنث، كان يحتاج لأن يرجع إلى مرحلة «البطل» في تطوره الذكوري ويُحارب تنين تعلقه المُفرِط بأمه، أمه الحقيقية وأمه الرمزية.

هذا بالضبط ما يمنعنا المُحِب المُدمِن من فعله، فهو يُعارِض وضع الحدود، لكن الحدود عندما تُبْنَى على أسس بطولية، تكون ما يحتاجه تمامًا الرجل الممسوس من المُحِب المُدمِن، فهو لا يحتاج إلى المزيد من الشعور بالاتحاد والحب مع كل الأشياء، فهو لديه بالفعل الكثير من هذا الاتحاد، ما يحتاجه هو المسافة والانفصال ووضع الحدود.

إذن يُمكننا أن نرى الآن أن الجانب المُظلم للمحِب في قطبه الموجب - المُحِب المُدمِن - هو استكمال لنمط التعلق المُفرِط بالأم الذي يميز «ابن أمه»، القطب الموجب لنموذج الطفل الأوديبي، أي إن الرجل تحت سيطرة المُحِب المُدمن ما زال واقعًا تحت سيطرة طاقة الأم - رمزيًا أو حرفيًا -، وهو

يعاني للخروج، هناك مشهد رائع في فيلم Mishima يظهر فيه الصغير «ميشيما» وهو مُعجب - إلى حد الهوس - بصورة الهيكل الذهبي (الأم، اللاوعي) فهذه الصورة تكون جميلة جدًّا بالنسبة له لدرجة أنها تؤلمه، وتُصبح الصورة مؤلمة لدرجة أن عليه أن يحرقها ليتخلص من تأثيرها، أي إنه يجب أن يُدمر الطاقة الأنثوية الطاغية التي زادت عن حدها داخله فأصبحت تمنعه من تحقيق ذكورته الناضجة، فيقوم بذلك فعلًا.

هذه الحاجة للانفصال والاحتواء في نفس الوقت للقوة الفوضوية للاوعي المليء بالطاقة الأنثوية، قد تُفسر أيضًا بعض الانحرافات الجنسية لدى الرجال، خصيصًا الانحرافات المُتعلقة بـ«الاستعباد» Bondage والمتعلقة بالعنف الجنسي تجاه المرأة، فيمكننا أن نُفسر هذه الرغبات والأفعال المُنفرة كمُحاولات - مثل ميشيما - لـ«تكتيف» وإخضاع القوة الهائلة للاوعي.

إن كان «ابن أمه» يرغب في لمس ما هو ممنوع من لمسه، وأن يتخطى الحدود التي يعتبرها مُصطنعة، إذن فالمُحِب المُدمن، النامي من نموذج ابن أمه، يجب أن يتعلم أهمية وقيمة الحدود بالطريقة الصعبة، يجب أن يتعلم أن عدم وجود بنيان ذكوري مُنظم بداخله وعدم انضباطه وعواقب علاقاته

الفوضوية وعُقد السلطة الخاصة به؛ كل هذا سيقوده لا محالة إلى الكارثة، سيتم طرده من العمل، وزوجته - حتى إن كانت تُحبه - ستتركه في النهاية.

لوحة «دون جوان» - من أرشيف Bettman

من الناحية الأخرى، ماذا يحدث عندما نشعر أننا مُنفصلون تمامًا عن المُحِب في صورته المُتكاملة؟ نكون حينها ممسوسين من المحِب العاجز، سنختبر حياتنا بدون مشاعر عميقة، سنشعر بالعقم والرتابة والبهتان في حياتنا، سنفتقد

الحماس والحيوية والنشاط، سنشعر بالملل والركود، قد نواجه مشاكل في الاستيقاظ صباحًا أو النوم مساءً، قد نجد أنفسنا نتحدث بنبرة واحدة مُملة، قد نشعر أننا مُبعدون بصورة متزايدة عن عائلتنا وزُملائنا في العمل وعن أصدقائنا، قد نشعر بالجوع لكن نفتقد للشهية، قد نشعر حرفيًّا بالمقولة الشهيرة: «لا جديد تحت الشمس»، باختصار: نُصبح مُكتئبين.

الأشخاص الذين يقعون تحت سيطرة المُحِب العاجز بصورة مُعتادة يكونون مُكتئبين بشكل مُزمِن، يشعرون أنهم يفتقدون للتواصل العميق مع الآخرين، بل ويشعرون أنهم مُنفصلون حتى عن أنفسهم، نرى هذا الانفصال عادةً في جلسات العلاج والتحليل، فقد يُلاحظ المُعالِج بوضوح شعورًا مُعينًا يحاول الظهور على المريض، عن طريق تعبيرات وجهه أو لغة جسده، لكن عندما يُسأل المريض: بماذا يشعر؟ لا يكون لديه أدنى فكرة، قد يقول مثلًا: «لا أعلم، أنا أشعر فقط بنوع من الضباب، كل شيء ضبابي»، وهذا يحدث في الأغلب عندما يقترب المريض من مادة «ساخنة»، فما يحدث حينها هو أن هناك جدارًا يظهر بين الأنا الواعية وبين المشاعر، هذا الجدار أو الدرع هو الاكتئاب.

هذا الانفصال قد يصل لدرجات شديدة الخطورة تُسمى في علم النفس «اضطرابات التفارقية» Dissociative Phenomena،

وهي حالة تكون أحد أعراضها - بجانب أعراض أخرى - أن يبدأ المريض بالتحدث عن نفسه كأنه طرف ثالث، فبدلًا من أن يقول: «أنا أشعر» بهذا وذاك، يقول: «جون يشعر بهذا»، قد يرى نفسه كأنه غير حقيقي، وقد تبدو حياته كأنها فيلم يُشاهده لحظة بلحظة، هؤلاء الرجال هم ممسوسون بشكل كامل وخطير من المُحِب العاجز.

لكننا جميعًا نعلم أننا عندما نكون مُكتئبين نفتقد - في معظم الحالات - العزيمة والحافز للقيام بالأشياء التي إما نريد أن نقوم بها أو التي يجب علينا القيام بها، وهذا يحدث كثيرًا لكبار السن، فمشكلاتهم الجسدية وانعزالهم الاجتماعي وعدم انخراطهم في عمل مُفيد يسحبهم إلى الاكتئاب، الشهية للحياة تتلاشى، ويبدو أن طاقة المُحِب ضاعت دون رجعة، حينها يتوقف هؤلاء الرجال الكبار في السن عن إعداد الطعام لأنفسهم، أو يتوقفون عن أخذ الدواء، فهم يشعرون أنه لا داعٍ لمزيد من العيش، فبدون روح التخيل والحيوية لطاقة المُحِب يهلك الناس.

لكن ليس فقط غياب الأمل هو ما يؤشر على وجود القوة المُستبدة للمُحِب العاجز في حياة الرجل، بل أيضًا غياب الشهوة الجنسية والانتصاب المُتحمس، فالرجل الواقع تحت

سيطرة المُحِب العاجز تموت حياته الجنسية، يُصبح خاملًا جنسيًا، وقد ينبع هذا الخمول والبرود الجنسي من عوامل مُتعددة، كالملل من الشريك الحميمي، المشاكل والخلافات في العلاقة، الضغط الذهني والجسدي من العمل والمشاكل المادية، أو شعور الرجل أنه مُستضعف من قِبَل رجال آخرين.

في التماهي مع المُحِب العاجز، يرجع الرجل إلى حالة صبيانية ما قبل الجنسية، أو يعوض النقص بالانخراط في نموذج المُحارِب أو الساحر، أو أحيانًا يقوم بالثلاثة معًا، فرغبته وحساسيته الجنسية والحسية يتم غمرها من قِبَل اهتمامات أخرى، ومع تزايد الضغط من قِبَل شريكه الجنسي - زوجته - تكون ردة فعله أن ينحاز أكثر للقطب السالب لجانب المُحب المُظلم، وحينها القطب المُعاكِس للجانب المُظلم قد يُنقذه عن طريق سحبه لجانب المُحِب المُدمن، وجعله ينخرِط في رحلة البحث عن استمتاعه الجنسي بعيدًا عن الحياة المُملة في علاقته الأصلية.

التواصل مع المُحِب:

إن كنا نتواصل مع المحِب بصورة صحيحة، لكن بدون أن نؤثر سلبيًا على بنيان الأنا المُنظمة الخاصة بنا، سنشعر بالترابط

والاتصال، سنشعر بالحيوية والحماسة، سنكون حنونين وشفوقين ومليئين بالطاقة، وسيكون لدينا منظور رومانسي تجاه حياتنا وأهدافنا وعملنا وإنجازاتنا، إنها طاقة المُحِب، عندما يتم التواصل معها بصورة إيجابية، هي ما تُعطينا المعنى الوجداني، الذي نُطلق عليه «الروحانية»، المُحب هو مصدر شوقنا لعالم أفضل لنفسنا وللآخرين، المُحِب هو الحالم والساعي للمثالية، هو من يُريد لنا كل خير، «أنا هنا لأجلب لك الحياة لتكون عامرة» يقول المُحِب.

المُحِب يُحافظ على إنسانية الطاقات الذكورية الأخرى ويُبقيها مُترابطة ببعضها ومتصلة بالبشر الآخرين الذين يُعانون في عالم صعب مُتعِب، الملك والمُحارب والساحر ينسجمون بشكل جيد مع بعضهم بعضًا كما رجحنا سابقًا، وهذا الانسجام سببه أنهم - بدون المُحِب - مُنفصلون بعيدًا عن الحياة، فهم يحتاجون المُحِب ليملأهم بالطاقة ليجعلهم إنسانيين وليُعطيهم هدفهم الأسمى وهو الحب، إنهم يحتاجون المُحب ليمنعهم من أن يكونوا ساديين.

لكن المُحِب يحتاجهم أيضًا، فالمُحِب بدون الحدود اللازمة - في خضمِّ الفوضى للشعور والأحاسيس - يحتاج الملك ليضع له الحدود، وليُعطيه النظام ويُنظم هذه الفوضى

ليتمكن من توجيهها إبداعيًا، فبدون حدود تصبح طاقة المُحِب ضارة ومُدمرة، المُحِب يحتاج للمُحارب ليتمكن من التصرف بحسم عند الضرورة، وليتمكن من شق مخرجه بضربة سيف، ليخرج من شبكة الحسية والشعور التي تشل الحركة، المحِب يحتاج للساحر ليُحافظ على مسافة صحية بينه وبين التأثير الخطر لمشاعره؛ ليتمكن من التأمل من بعد ورؤية الأمور من منظور أكثر موضوعية، يحتاج الساحر لرؤية الصورة الأكبر وليختبر الواقع خلف الستار الظاهر.

للأسف، الهجمات الضارية على حيويتنا ولمعاننا تبدأ في مرحلة مُبكرة من حياتنا، فالكثير منا كبَتَ المُحِب وطاقته لدرجة أنه أصبح من الصعب جدًّا أن نشعر بالشغف تجاه أي شيء في حياتنا، فمُشكلة مُعظمنا ليست أننا نشعر بالكثير من الشغف - أي إفراط في طاقة المُحِب - بل على العكس، المشكلة أننا لا نشعر بأي نوع من الشغف، لا نشعر بالمرح، لا نشعر أننا قادرون على العيش عميقًا، وغير قادرين على عيش الحياة التي كنا نرغب في عيشها، قد نظن أن المشاعر - وخصوصًا مشاعرنا الشخصية - هي أعباء مُزعجة، ولا يجب الشعور بها كرجال، لكن دعونا لا نتنازل عن حياتنا، دعونا نجد العفوية والمرح الحياتي بداخلنا، حينها لن نعيش حياتنا بوفرة

فقط، بل سنستطيع تمكين الآخرين - ربما للمرة الأولى - أن يعيشوا حياتهم هم.

الاستنتاج:

النفاذ إلى طاقة النماذج الذكورية

فيلم Lord of the Flies «أمير الذباب» المبني على الرواية الكلاسيكية الرائعة لـ «وليام جولدينج» التي تدور حول صبيان المدرسة الذين علقوا في جزيرة استوائية، عندما تم إنتاج فيلم جديد[1] قام النقاد بالتساؤل: لماذا تمت إعادة صياغة القصة؟ وبالرغم من أن هذه النسخة الحديثة من الفيلم ليست على مستوى عالٍ سينمائيًا، إلا أن العمل الأصلي - بأي شكل له - يُعبر بشكل مُباشر وقوي عن الوضع الإنساني القائم على هذا الكوكب.

ربما لم يكن هناك قط أي فترة زمنية كانت فيها لنماذج الذكورة الناضجة أو الأنوثة الناضجة اليد العليا في الحياة البشرية، فيبدو أننا كجنس بشري نعيش تحت لعنة الطفولة والصبيانية؛ لذا فالنظام الذي يُسمى «بالأبوية» هو في الحقيقة

---

(١) الفيلم الجديد الناتج سنة ١٩٩٠ و القديم سنة ١٩٦٣. و قد تم تغير الأحداث في الفيلم الجديد عن الأحداث الأصلية في الرواية. المُترجم

«الصبيانية» - أي سيادة حكم الصبيان وليس الرجال الناضجين -، وربما فعلًا عالمنا البشري كان دائمًا مشابهًا لجزيرة «جولدينج» في الرواية، لكن على الأقل، كان هناك قديمًا بعض الأنظمة - أو بالأحرى الطقوس - التي تُوقِظ مستوى أعلى من النضوج الذكوري، مستوى أعلى مما يُعتبر القاعدة العامة حاليًّا، في ظل ثقافتنا المُعادية للنظام والمُعادية للطقوس والرموز.

ففي الماضي، كان هناك على الأقل بعض الملوك الصالحين المُقدسين الذين يمثلون القدوة الحسنة للرجال في المملكة؛ مما شجع الرجال على أن يُسقطوا ملكهم الداخلي على الملك الفعلي، مُفعِّلين بذلك هذه الطاقة الذكورية داخلهم بشكل غير مُباشر، وبالتأكيد كان هنالك وقت كانت فيه طاقة المُحارِب فعَّالة ومؤثرة - لصالح الخير والشر - في تكوين وتشكيل حياة وهوية الرجال والحضارات التي بنوها، كما أن الساحر كان حاضرًا، بالرغم من سريته ومعرفته التي يحصل عليها البعض فقط، لكنه كان حاضرًا ليُساعد الرجال في حل مشاكلهم العميقة، وإفادة المُجتمع عن طريق التحكم الجزئي في العالم الطبيعي غير المتوقع وفهم الأنماط الخفية لهذا العالم، وكذلك المُحِب كان حاضرًا، وكان يعتلي أعلى

درجات التقدير والاهتمام في الثقافات التي كانت تُقدّر العرافين والرسل ورسامي الكهوف والشعراء.

كل هذا تغير الآن، تم استبداله بالثراء المادي والتعظيم الشخصي، بالرغم من أن عالمنا يحتاج الطاقات الذكورية في شكلها الناضج الآن أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية، إنها لَمُفارقة عجيبة أن الوقت الذي تبدو فيه الحضارة كلها على مشارف التقدم نحو أعظم «مُباشرة» لها - التحول من الحياة المُشتتة للقبائل إلى حياة أكثر وحدة واتحادًا - هو الوقت ذاته الذي تختفي فيه العملية الطقسية التي تحول الصبيان إلى رجال، تختفي فيه هذه العملية الأساسية من الكوكب كله، إنه لمن العجيب تمامًا في الوقت الذي نحتاج فيه أن نستبدل الطفولية بالنضوج - أن يتحول الصبيان إلى رجال والبنات إلى سيدات - لصالح نجاتنا وتقدمنا كجنس بشري، في هذا الوقت بالتحديد نفقد كل ما قد يُساعدنا على هذا التحول؛ فنُعاني جميعًا ونظل نطمح لمُستقبل أكثر حكمة وحدنا تمامًا.

ربما هكذا يجب أن تكون الأمور، فالعملية التطورية الطبيعية وضعت الموارد القوية للنماذج الذكورية الأربعة داخل كل رجل، وتم استدعاء طاقات هذه النماذج في فترات مُختلفة من التاريخ البشري لحل المشاكل الصعبة و للقيام

بما لم يكن حتى التفكير فيه ممكنًا، فتاريخيًّا تم استدعاء هذه الطاقات لوضع النظام والقواعد من قلب الفوضى، لتحفيز فيض هائل من الإبداع والتولدية كهذه التي أنتجت الحضارات الأولى؛ للحصول على القدرة لتسخير الطبيعة الداخلية والخارجية، ولتوليد التقدير الحسي والترابط العاطفي، ربما عملية النمو هذه الخاصة بجنسنا اتجهت نحو هذا الاستبطان الجذري - أي اختفاء طاقات النماذج الناضجة في خبايا النفس السيكولوجية في الإنسان الحديث - بهدف استيعاب وإدراك هذه الطاقات مُجددًا في وقت لاحق في المُستقبل.

إن كان عصرنا عصر الفردية (Individualism) بمعناها الأعمق وكذلك الأكثر سطحية، إذن لنُصبح فرديين! لنُغذي وندعم ونُرحب بالأفراد العظماء، الرجال الذين سيتقدمون بطاقتهم لإنقاذ هذا العالم، باستخدام صلاح المُلوك السابقين، شجاعة وحسم المُحاربين القُدامى بحكمة السحرة وشغف المُحبين، فهناك بكل تأكيد مشاكل واحتياجات عالمية كافية لإبقاء كل رجل على وجه الأرض مشغولًا في العمل الدؤوب حتى المُستقبل.

مدى فاعليتنا في مُواجهة هذه التحديات مُرتبط بشكل مُباشر بمدى مُواجهتنا - كرجال - تحديات عدم نُضجنا

الخاصة بنا، مقدار نجاحنا في تحويل أنفسنا من رجال تحت سيطرة السيكولوجية الصبيانية إلى رجال حقيقيين نسترشد بنماذج السيكولوجية الرجولية الناضجة، مقدار هذا النجاح سيكون له تأثير مُباشر على الناتج والاتجاه الذي سيسلكه عالمنا الحالي.

أساليب التواصل مع النماذج الأربعة:

لقد أوضحنا أبعاد المُشكلة بشكل موجز هنا في هذا الكتاب القصير، ورسمنا الخطوط العريضة لطاقات النماذج الذكورية في صورتها الناضجة وغير الناضجة، وأوضحنا كيف تتفاعل هذه النماذج والطاقات مع بعضها بعضًا وكيف يوُلِّد أحدها الآخر في شكلها الظليل - أي جانبها المُظلم - وكذلك في شكلها المُتكامل، كما ذكرنا بعض الأساليب التي تُمكِّن الإنسان من التواصل مع هذه النماذج والنفاذ إلى طاقتها، في الصفحات المُتبقية، سنلقي نظرة أكثر عُمقًا على هذه الأساليب والطرق التي تُسْتَخْدَم للتواصل مع النماذج الذكورية بشكل صحيح وإيجابي.

أول خطوة لفعل هذا هي التقييم الذاتي النقدي، وقد ذكرنا أكثر من مرة أنه لا يوجد فائدة من سؤال أنفسنا إذا ما كان

الجانب المُظلم أو الظل للنماذج ظاهر في حياتنا، فالسؤال الصريح والواقعي هو كيف تظهر بالفعل هذه الجوانب المُظلمة في حياتنا، دعونا نتذكر مفتاح النضوج، مفتاح التحول من سيكولوجية الصبي إلى سيكولوجية الرجل هو الاتسام بالتواضع، والتواضع لا يعني الذل، نحن لا نطلب أبدًا من أي رجل أن يُهين أو يذل نفسه بنفسه أو من قِبَل أي شخص آخر، لكننا جميعنا نحتاج للتواضع، دعونا نتذكر أن التواضع مُكوَّن من عاملين أساسيين: الأول هو معرفة حدودنا وقدراتنا، والثاني هو الحصول على المساعدة التي نحتاجها.

ومع افتراض أننا جميعنا نحتاج للمساعدة، سنطلع الآن على ثلاثة أساليب هامة للوصول إلى المصادر الإيجابية للطاقات التي نفتقدها في حياتنا.

١ - حوار التخيل الفعَّال:

أول هذه الأساليب يُسمى في علم النفس «حوار التخيل الفعال»[1]، وفيه تدخل الأنا الواعية في حوار مع شتى الكيانات غير الواعية، طاقات وأنظمة مختلفة ومناظير مختلفة بداخلنا،

(١) أول من إستخدم أسلوب التخيل الفعال Active Imagination في مجال علم النفس التحليلي هو كارل يونج. و قد إستخدمه كطريقة إبداعية للتواصل مع - و النفاذ إلى - مُحتويات الاوعي، عن طريق التخيل، الكتابة، الحوار الذتي، الرسم أو القيام بأي عمل فني أخر. للمزيد عن

خلف هذه المناظير المختلفة - أحيانًا وبشكلٍ غامض - توجد النماذج في شكلها الإيجابي والسلبي.

جميعنا نتحاور مع أنفسنا، لكن غالبًا بشكل غير فعَّال، فغالبًا ما نكون نتحدث لأنفسنا، هناك نُكتة بالطبع تقول: «من المقبول أن نتحدث مع أنفسنا، طالما لا نرد على أنفسنا»، لكننا بالفعل نرد على أنفسنا، ونفعل هذا طوال الوقت، نرد على أنفسنا شفهيًّا أحيانًا بصوت عالٍ أو داخل عقولنا، لكن أحيانًا نرد على أنفسنا عن طريق الأحداث والأشخاص التي توجد في حياتنا بدون رغبتنا أو إدراكنا الواعي، نرد على أنفسنا أيضًا عن طريق تعبير فعلي سلوكي لا إرادي لمنظور أو لسمة نرفضها بصورة واعية.

على كل رجل قد مر بهذه التجربة - على سبيل المِثال - أن يُخطط أو يُجهز لما سيقوله أو يفعله قبل أن يدخل إلى اجتماع مُهم، أو كيف سيُوبخ عاملًا في ورشة لعدم إكماله العمل في الوقت اللازم، ثم يذهب ليقول ويفعل شيئًا آخر في الاجتماع، كان قد خطط أن يُحافِظ على هدوئه ويُوضِح بصرامة وهدوء وجهة نظره، لكن عندما يبدأ الآخرون في التذمر، يجد نفسه فجأة - مُحاولًا التغلب على خصومه - غاضبًا بالصياح، في الورشة خطته تم قطعها عن طريق موظف يتحدث بصورة لبقة

هذا الأسلوب يمكن الرجوع إلى كتاب « Jung on Active Imagination ». المُترجم

ومتعاطفة على شكل غير متوقع، فأصبح هو الآخر يتعامل بلطف، بالرغم من أنه كان يعرف أن الموظف كان يقصد تملقه.

وغالبًا أيضًا عندما ينتهي موقف حاد ما، نقول لأنفسنا: «لا أدري ماذا أصابني».

ما أصابنا وما غيَّرَ كلامنا وسلوكنا الذي كنا قد خططنا له، هو ما يُسمى في علم النفس «عقدة مُستقلة»، وخلفها يختبئ أحد أقطاب الجانب المُظلم لظل نموذج ما، سيكون من مصلحتنا أن نواجه هذه الطاقات المُتمردة التي تكون في الأغلب سلبية، قبل أن تجعلنا هذه الطاقات نقول أو نفعل أشياء نندم عليها لاحقًا.

حوار التخيل الفعال هو أسلوب هام للتواصل بالفعل مع هذه الطاقات، والدخول معها في اجتماعات «إدارية»، هذه الطاقات التي تلبس وجهنا مؤقتًا في الحقيقة أزلية وعالمية، في الحوار التخيلي الفعال نقوم بالتحدث مع هذه النماذج، مُستدعين واحدًا أو أكثر منهم ونُعطيه منظورنا بشأن موضوع مُعين، ثم نستمع لردوده أو ردودهم، من الأفضل أن نقوم بذلك على ورقة، عن طريق كتابة أفكار ومشاعر كلا الأنا و«خصومها»، عندما تظهر هذه الأفكار والمشاعر، وبدون أن

نمنع ونكبح أي شيء يظهر.

وكأي اجتماع مجلس إدارة ناجح، علينا على الأقل أن نتفق أننا سنختلف، وفي الظروف شديدة العدائية والحدة، علينا أن نسعى لهدنة - إن أمكن - على الأقل مؤقتًا، على أقل تقدير سيُساعدنا هذا التمرين على أن نكتشف المُعارضة بداخلنا، وإظهار كل الكروت على الطاولة، وهذا التحذير المسبق بشأن المخاطر الداخلية المحتملة؛ سيعطينا بالتأكيد أفضلية أولية.

قد يبدو هذا التمرين غريبًا في البداية، لكن غالبًا ما تكون بضع دقائق من الكتابة كافية لإظهار حقيقة وجهات النظر المختلفة داخل نفسية كل رجل، قد يحدث أنك لا تجد شيئًا تكتبه في البداية، لكن إن استمررت في التحدث مع نفسك، ستحصل عاجلًا أم آجلًا على إجابات، قد تحصل على إجابات مُفزعة أو إجابات مُطمئنة، لكنك ستحصل على إجابات مهمة دون أي شك.

ملحوظة للتحذير: في خلال هذا التمرين، إذا قابلت كيانًا عدائيًا للغاية، ما يُسميه علماء النفس «المُعذِب الداخلي»؛ أَوْقِف التمرين واستشِرْ أخصائيًا نفسيًا جيدًا، معظمنا في الأغلب لديه معذبون داخليون، وكذلك مساعدون داخليون،

لكن أحيانًا يكون المُعذِب وحشيًّا لدرجة أنك تحتاج العون الخارجي للتعامل معه والاستمرار في الحوار معه، إن كان عندك شك أنك ستُقابل أحد هؤلاء المُعذِبين الوحشيين، من الأفضل أن تستدعي طاقة إيجابية للنماذج قبل أن تبدأ الحوار، وستتحدث عن الاستدعاء في القسم التالي، ملحوظة أخرى: أثناء الحوار قد تتواصل مع أكثر من وجهة نظر، حينها عليك أن تتعامل مع الحوار على أنه مجلس إدارة، واستمع لرأي الجميع بعدل.

التالي هو مثال حقيقي عن تمرين الحوار التخيلي الفعال، الرجل الذي خاض هذا الحوار مع أحد عقده الداخلية (المُخادِع) كان يواجه العديد من المشاكل في العمل؛ لأنه اكتشف أنه لا يستطيع التحكم في تعليقاته الناقدة الحادة - التي معظمها مبني على ملاحظات دقيقة وواقعية - تجاه عدم كفاءة الإدارة، وجد نفسه يسخر من مديره أمام زُملائه المُوظفين، كما لم يكن يستطيع أن يصل العمل في المواعيد المُحددة، ولم يتمكن من احتواء انزعاجه واشمئزازه في الاجتماعات أو حتى أحيانًا في اللقاءات الثنائية مع المُشرفين عليه، التالي هو ما حدث عندما حاول هذا الرجل التواصل مع ما كان يجعله يتصرف بهذه الطريقة.

«أ» هي الأنا و«م» هو المُخادِع.

أ: من أنت؟ (وقفة) من أنت؟ (وقفة) ماذا تُريد (وقفة طويلة)، أيًا كنت، أنت تسبب لي المشاكل.

م: أليس هذا مُثيرًا للاهتمام؟

أ: أوه، إذن هناك أحد بالفعل.

م: لا تكن مُغفلًا، بالطبع هناك أحد هنا، ليتني أستطيع قول هذا عنك أيضًا، الأنوار مُشتعلة، لكن لا أحد في المنزل.

أ: ماذا تُريد مني؟

م: حسنًا، دعني أُفكر في ذلك (وقفة)، أنت تعرف ما أريد، أيها المُغفل، أريد أن أجعل حياتك بائسة.

أ: لماذا؟

م: لماذا؟! هاها (بسخرية) لأن هذا مُمتع، أنت تظن أنك هادئ ورابط الجأش، تخيل إن تم طردك من العمل، يا إلهي، سيكون هذا مُمتعًا جدًّا.

أ: مَنْ أنت؟

م: اسمي لا يهمُّ، ما يهمُّ هو أنني هنا.

أ: لماذا تُريد أن تجعل حياتي بائسة؟ لماذا هذا مُمتع بالنسبة لك؟

م: لأنك تستحق حياة بائسة، فأنا أيضًا بائس!

أ: لماذا أنت بائس؟

م: بسبب ما فعلته بي.

أ: أنا فعلت بك؟!

م: نعم، أيها الأحمق.

أ: ماذا فعلت بك؟

م: أنت لا تكترث بشأني، فلا تتظاهر أنك تكترث.

أ: أنا أكترث، أريد أن أكترث.

م: نعم، لأنك غير مُرتاح.

أ: هذا صحيح، أنا وأنت علينا أن نحل الأمور بيننا.

م: لا، ليس علينا ذلك، علينا فقط أن نُتِمَّ طردك من العمل.

أ: لن أسمح لك أن تتسبب في طردي.

م: إذن حاوِلْ أن تمنعني!

بعد المزيد من الاتهامات المُتبادلة والتعبير عن عدم الثقة من الجهتين، بدأت أنا الرجل وهذا الكيان الداخلي، الذي كان نموذج المُخادِع يرتدي الظل الشخصي لهوية الرجل، بدأوا حوارًا حقيقيًّا جادًّا.

م: أنت تمنع وتكبت مشاعرك الحقيقية تجاه الأشياء، تكبت كل مشاعرك، أنت جبان!

أنا مشاعرك، مشاعرك الحقيقية، أحيانًا أريد أن أكون غاضبًا، وأحيانًا أريد أن أكون مُبتهجًا جدًّا، وأنت كل ما تفعله هو أنك تتخاذل مُدعيًا التفوق، بينما أي تفوق لديك هو داخلي أنا، أنا حقيقتك.

أ: أنا أريد أن أكون صديقك، أريدك أن تكون صديقي أيضًا، أنت لست أنا، أنا لديَّ وجهة نظري الخاصة، وأريد منك أن تستمع إليها، لكني بالفعل سأبدأ صفحة جديدة، لكن في نفس الوقت، لا يُمكنني أن أتركك تُخرب وظيفتي، فإن جعت أنا ستجوع معي، فنحن في هذا الشأن سويًّا.

م: نعم، حسنًا، لكن يجب عليك أن تنتبه لي وتكترث بشأني، لدينا إجازة من العمل قريبًا، وأريد أن أذهب لمكان جميل هذا العام، أريد نبيذًا ونساءً وأغانٍ، إذن فعليك أن تشتري ملابس

جديدة وتذكرة لمكان ما، أنا أفضِّل الأماكن الاستوائية، وكذلك أريد - ولا تُصَبْ بالصدمة - علاقة حميمية!

أ: لقد اتفقنا، وأنت عليك أن تتوقف عن الضغط عليَّ في العمل، وإلا سنصبح في إجازة دائمة.

م: لقد كانت هذه الخطة، كنت أنوي أن أجعلك تأخذ إجازة بأي شكل من الأشكال، فقط عليك ألا تتراجع عن اتفاقنا.

أ: لن أتراجع.

م: إذن نحن مُتفقان.

عادةً إجراء حوار مع خصوم داخليين - والذين يكونون في الأغلب نماذج غير ناضجة للطاقات الذكورية - يُشتت مُعظم قواهم، فما يُريدونه في الحقيقة هو - كجميع الأطفال - أن يتم مُلاحظتهم والاهتمام بهم، وأخذ رأيهم في الاعتبار، ولديهم الحق في ذلك، وحينما يتم تقديرهم والاعتراف بمشاعرهم؛ سيتوقفون عن مُحاولة لَفْت الانتباه من خلال حياتنا وسلوكنا.

هذا الخلاف بين الرجل ومُخادعه الداخلي انتهى بصورة ودية وسلمية، وما كان علاقة سلبية سامة، تحوَّل إلى مصدر للتوازن في حياة هذا الرجل، فقد قام مُخادعه الداخلي بتفريغ انتفاخ الأنا أخيرًا، وقد فعل هذا في الواقع لإرغام الرجل على

الاهتمام بجوانب كانت مُهملة ومُتجاهلة في شخصيته وحياته، والكيان الذي كان مُعذبًا داخليًّا يُريد الشر لصاحبه تحوَّل لصديق حميم.

في هذا المثال التالي عن الحوار التخيلي الفعال، قامت أنا الرجل بلعب دور الحكم بين جانبين مُتخالفين من شخصيته: أحدهما يُظهِر تأثير شكل غير ناضج من نموذج البطل، والآخر يُظهِر نموذج المُحِب، هذان النموذجان كانا على خلاف في كيفية التعامل مع المرأة التي كانت في حياة الرجل، البطل كان يرغب في أن يتغلب عليها، والمُحِب كان يرغب فقط في التقرب إليها على أسس مُشتركة، هكذا جرى الحوار.

(«أ» ترمز للأنا، «ب» ترمز للبطل، «م» ترمز للمحب).

أ: إذن أنتما الاثنان لدينا مُشكلة، المرأة تُريد أن تذهب في رحلة إلى البرازيل، وحدها وبدوننا، أنت أيها البطل تُريد أن تُخرب الموضوع بالنسبة لها وتُعطيها إنذارًا أخيرًا: إما أن تُلغي الرحلة وتأتي هنا إلى شيكاغو لتزورك بدلًا من الرحلة، أو تنسى هذه العلاقة تمامًا، وأنت أيها المُحِب تُريد أن تدعها تذهب وتُحبها مهما كان الأمر، إذن علينا أن نتخذ قرارًا مهمًّا هنا.

ب: إنها تتصرف بأنانية كالعادة، هي تُحاول أن تغمرني برغباتها الاندفاعية، هي لا تكترث بشأني، إنها خطرة وإن كان عليَّ أن أكون في علاقة معها، عليَّ إذن أن أضع القوانين والقواعد.

م: نعم، لكن هذا يُلغي مُتعة العلاقة، عليها هي أن ترغب أن تكون معنا، وإلا لن يُصبح للموضوع قيمة، سأحبها مهما فعلت، أنا واقع في حبها بشدة، وإن حاولت التحكم فيها، ستُفسِد قيمة الحب الحقيقي.

ب: لا تُصدِّعني بهذا الهراء الرومانسي، ربما أنت مُستعد أن تستلقي وتستسلم للأمر لكنني لن أفعل هذا، كيف يُمكنك حتى مُجرد التفكير في العيش مع امرأة أنانية واندفاعية مثلها؟

م: لأنها - وبغضِّ النظر إن كانت أنانية واندفاعية أم لا - هي المرأة التي أحب.

ب: لكن ليس هناك أي نوع من الاستقرار والأمان مع هذه المرأة.

م: ليس هناك أي استقرار أيضًا في إرغام شخص ما على فعل ما تُريده إذا كان مُخالفًا لرغباته الخاصة، فالحب موجود فقط لتحقيق السعادة النقية والحب النقي.

ب: ربما أنت تستطيع أن تعيش بالحب النقي، لكني لا أقدر على هذا، سأتغلب على رغباتها العنيدة أو أموت وأنا أحاول.

م: ما سيموت هو العلاقة.

أ: حسنًا، لقد استعرض كل منكما وجهة نظره، والآن علينا أن نصل لاتفاق ما.

يبدو لي أن كليكما على صواب، لكن كليكما مُبالِغ، البطل على صواب بشأن وضع الحدود والقواعد المعقولة للعلاقة، وكذلك إدراك حدودنا الخاصة، وما هو مُريح لنا، وأن تذهب «جيل» - اسم الفتاة - إلى البرازيل بدلًا من أن تأتي إلى شيكاغو شيء يفوق تحملنا، وكذلك المُحب على حق بشأن عدم الرغبة في تدمير العلاقة، وبشأن الرغبة في احترام رغبات وحدود «جيل» الشخصية، لكن يا مُحِب، عليك أن تُدرِك أن الحب البشري لديه بالفعل حدود، قد يكون الحب نفسه كفضيلة لا حدود له، لكن ما نقدر على التعامل معه في الحياة البشرية بعيدًا عن هذه اللامحدودية، إذن دعونا نضع الحدود ونُحِب «جيل» في نفس الوقت.

لأن البطل تحت تأثير المُحِب، تمكَّن من تحويل خوفه وغضبه إلى شجاعة وثقة في وضع الحدود وهو ما كانت

تحتاجه جيل فعلًا في الواقع، لم تذهب جيل إلى البرازيل وتحسنت علاقتها به، والتشتت النفسي داخله تحول لاتحاد وتكامل.

٢ - الاستدعاء:

هناك أسلوب آخر نُسميه الاستدعاء، يُستخدم للتواصل مع طاقات النماذج بصورتها الناضجة، وهذا الأسلوب قد يبدو غريبًا في البداية، لكن التأمل في الموضوع قليلًا يكفي لإقناعنا أننا نفعل هذا الأسلوب طوال الوقت، الحقيقة هي أننا جميعًا نعيش حياتنا السيكولوجية دون قصد، مُستدعين صورًا وأفكارًا قد تكون مُفيدة لنا أو لا، عقولنا مليئة بالرؤى والأصوات والكلمات، والعديد منها غير مرغوب فيه، ولرؤية حقيقة هذا على المرء فقط أن يُغلق عينيه للحظة، وستظهر له صور في العتمة، وستظهر أفكار بالكاد يُمكن سماعها بالأذن الداخلية، إن كان أسلوب الحوار التخيلي الفعال هو طريقة واعية للتحدث مع النفس، فالاستدعاء عبارة عن طريقة واعية في استجلاب صور نُريد أن نراها.

التخيُّل يؤثر فينا عميقًا، في مزاجنا وتصرفاتنا، في نظرتنا للأشياء وما نفعله.

لذا فمن المُهم أن ننتبه للصور والأفكار التي نستدعيها في حياتنا، وهكذا نقوم بالتخيل الواعي أو الاستدعاء.

إن أمكن، ابدأ هذا التمرين في وقت هادئ ومكان هادئ، وحاوِلْ أن تسترخي وتُنقِّي ذهنك قدر المُستطاع، لا داعي لتمارين استرخاء طويلة، فقط قدر المستطاع، ركِّز على صورة مُعينة لديها صور ذهنية وكذلك أسماء أو كلمات شفهية، من المُفيد أن تبحث قليلًا - قبل القيام بالاستدعاء - عن صور حقيقية للملك والمُحارِب والساحر والمُحِب، قد تكون صورة من فيلم ما، أو رسمة على سبيل المثال، لنفترض أنك وجدت صورة لإمبراطور روماني على عرشه، خلال التمرين، ضع الصورة أمامك، وحينما تسترخي تحدَّث إلى الصورة، استدعِ الملك بداخلك، اسعَ لتوحُّد أعماق لاوعيك معه، استوعب أنك (كأنا) مُختلف عن هذا النموذج، أثناء التخيل، اجعل أناك خادمًا له، اشعر بهدوئه وقوته، خيره المُتزن تجاهك، طاقته التي تحميك، تخيل نفسك أمام عرشه تتحاور معه، احترم وبجِّل حضرته وحضوره، قل له: إنك تحتاجه، تحتاج مساعدته وقوته ونظامه وشموخه، اعتمد على كرمه وعطائه وصلاحه.

أحد الشباب أتى ذات مرة للتحليل لأنه كان يشعر أنه مُنفصل تمامًا عن جانبه الجنسي، فهو لم يستطع أن يُقيم أي

ترابط «كيميائي» مع النساء، كان يرغب أكثر من أي شيء في أن يجد امرأة تُحبه، امرأة يحصل معها على حياة جنسية مُثيرة، امرأة يُمكنه تزوجها، جزء مما وصفناه لمُساعدته في حالته هو أن يقرأ كل ما يستطيع عن إله الحب الإغريقي «إيروس»، خصوصًا قصة إيروس والروح، ثم أن يستحضر طاقة إيروس رمزيًا وسيكولوجيًا لمساعدته في الشعور بالحسية والجاذبية.

بعد أن بدأ تمارين استدعائه بفترة قصيرة، ذهب في رحلة سياحية على باخرة، وهناك قابل - على نحو غير مُتوقع - سيدة جميلة، وشعرت السيدة أنه أكثر الرجال وسامة ورجولة ممن قابلتهم في حياتها، هذه السيدة كانت في الحقيقة تتعامل مع روح «إيروس» - أي روح طاقة المُحِب - المبعوثة جديدًا في داخله، هذه الطاقة الجذابة التي كانت تملأ شخصيته ونفسيته كلها، حتى أنها قالت له ذات مرة: «أنت جميل كآلهة الإغريق»، وقد اشتركا سويًا في جماع يملؤه الشغف لعدة ليال على البحر، وقد وصف هذه التجارب بأنها كانت أكثر التجارب الجنسية روعة في حياته، الشاب والسيدة ظلا على اتصال بعد انتهاء الرحلة، وفي خلال سنة تزوَّجا، ويتنظران الآن مولودًا في خلال الأشهر القادمة، وقد رأى الشاب أن حياته الجديدة والغنية كانت بفضل تخيله واستدعائه لنموذج المُحِب بداخله.

رجل آخر وجد أن النساء تهاجمه في مكان عمله؛ بسبب طريقته في التعامل التي تمتاز بالذكورية المدعمة بالثقة في النفس، وجد الرجل القدرة على تحمل وتخطي هذه الهجمات من خلال هرم زجاجي كان على مكتبه، فحينما كان يشعر أن هذه الهجمات تغمر مشاعره، كان يأخذ دقيقة راحة، يُركز فيها على التنفس ببطء وينظر إلى الهرم مُتخيلًا أن الهرم داخل صدره، في هذه اللحظات، كان يبدو وكأن موجات الهجمات العاطفية تصطدم بجوانب الهرم، مُحاوِلَةً تدميره، لكن الموجات تتشتت وتتكسر فاقدةً قواها، لم تتحسن بيئة وظيفته، لكنه كان ينجح في المُحافظة على توازنه وهدوئه وتمركزه في مُعظم الأوقات، بينما كان يسعى - على أرض الواقع - لإيجاد وظيفة أُخرى ببيئة أفضل.

في خلال أيام العمل العصيبة، لم يتمكن هذا الرجل من جعل عملية الاستدعاء لديه طقسية، لكن العديد من الرجال يُمكنهم ذلك، أثناء هدوء الصباح الباكر أو المساء المُتأخر، حتى إن بعضهم أحيانًا يُشعل الشموع والبخور أمام صور النماذج للتأمل بها، مُكرمين بهذه الطريقة النماذج بطريقة قديمة لكنها مثالية.

هذا الأسلوب الذي نُرجحه هو مُشابه بصورة كبيرة لما سمته مُعظم الأديان: الصلاة أو الدعاء، فحينما تجتمع هذه الصلوات بصور وأماكن وطقوس خاصة، يكون لها تأثير نفسي عظيم، في الحقيقة أن تماثيل الإغريق والرومان العديدة الخاصة بالآلهة كانت تخدم هذا الأسلوب الطقسي بالتحديد، فهي تُعتبر صورة رمزية للإله تُفيد في عملية التركيز والاستدعاء.

٣ - الإعجاب بالرجال العظماء والقدوات:

أسلوب الإعجاب والتقدير يمكن أيضًا استخدامه في عملية التواصل مع النماذج، الرجال الناضجون يحتاجون أن يُعجبوا بالرجال العُظماء الآخرين، الحي منهم والميت، علينا خصيصًا أن نتواصل مع الرجال الأكبر سنًّا الذين نستطيع أن نتطلع إليهم كأمثلة حسنة، وإن لم نجد حولنا شخصًا مثل هؤلاء الرجال، علينا أن نقرأ مُذكراتهم وسيرهم الشخصية ونطلع على أقوالهم وأفعالهم، لا يجب على هؤلاء الرجال أن يكونوا مثاليين، فالمثالية - وهو ما يدركه أي إنسان مُتكامل - لا يُمكِن تحقيقها أبدًا، لكن السعي لتحقيق الكلية مُمكن، وهذا السعي مسئولية كل رجل.

ما ينقصنا نقاط ضعفنا، الأماكن في نفسيتنا التي هي ممسوسة بأقطاب الجوانب المُظلمة، هي الأماكن التي نحتاج فيها تحديدًا أن نستدعي مُميزات الآخرين، من خلال الإعجاب الواعي الفعال، إن كنا نحتاج المزيد من طاقة المُحارِب في حياتنا، قد نتجه للتعرف على روح المُحارب المصري القديم رمسيس الثاني، وقائد قبيلة زولو الشجاع الذي واجه هو ورجاله ببسالة الاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر، إن كنا نحتاج المزيد من طاقة الملك، قد ندرس حياة «أبراهام لنكولن» أو «هوتشي منه»، إن كنا نحتاج لطاقة المُحِب، قد نُعجب بهذه الطاقة في الكاتب الأمريكي «ليو بوسكاجاليا».

ما يجب استيعابه هو أن الصور والأفكار التي نستدعيها تُحدِّد بقدر كبير ليس فقط ما تبدو عليه الأشياء بالنسبة لنا، بل ماهية هذه الأشياء وحقيقتها أيضًا، التحول الإيجابي في طريقة تواصلنا الداخلية مع نماذج الذكورة الناضجة سيُسبب تغيرًا أيضًا في حياتنا الخارجية، على أقل تقدير، التحول الإيجابي في العالم الداخلي سيدعمنا بشكل كبير في التعامل مع المشاكل والظروف الصعبة، وسيُمكننا من تحويلها إلى إيجابيات تصب في مصلحتنا، مصلحة من نُحب، مصلحة وظائفنا وشركاتنا، مصلحة قضايانا وحتى مصلحة العالم.

هناك مقولة شهيرة في هذا السياق: «كن حذرًا لما تتمناه، فقد تحصل عليه»، القوة الهائلة للتفكير الإيجابي هي على الأقل حقيقية بشكل جزئي، على الأقل أكثر حقيقية مما نظن، فحينما نكون في عملية تقييم لعلاقتنا مع النماذج السيكولوجية الأربعة، وحينما نكون مُنخرطين في حوار مع الجوانب الإيجابية والمُظلمة منهم، علينا أيضًا أن نستدعي النماذج في صورتها الإيجابية المُتكاملة بشكل مُتعمَّد وفعَّال.

* التعامل «كأنك»:

هناكَ أيضًا أسلوب آخر للتواصل مع النماذج الناضجة يستحق الذكر ولو بشكل موجز؛ لأنه غالبًا ما يتم تجاهله، وهذا الأسلوب يعتمد على الطريقة التي تنجح مرارًا وتكرارًا في مجال التمثيل عندما يحاول المُمثل أن يتمكن من الشخصية عندما لا يشعر بالشخصية بالشكل المطلوب.

في هذا الأسلوب، إن كنت غير قادر على الشعور بالشخصية المطلوبة منك في النص، تبدأ في أن تتعامل وتتصرف كأنك هذه الشخصية، تتحرك وتتكلم مثلما تتحرك وتتكلم هذه الشخصية.

في الحياة الواقعية، حتى إن وجب الأمر أن تتعامل «كأن هكذا هو الأمر»، قم بهذا، فعلى مسرح الحياة - وعلى سبيل المثال - يجب أن تستمر في لعب دور الملك حتى عندما تسوء الظروف، حتى إن كنت مطرودًا لتوِّك من العمل وزوجتك تخلَّت عنك حالًا، يجب أن يستمر العرض فالآخرون يعتمدون عليك بأن تقوم بدورك بشكل صحيح، فعليك أن تمسك النص وتقرأ كلمات الملك، وتجلس على العرش، أن تتعامل «كأنك» ملك، وحينها صدِّق أو لا تصدِّق، ستبدأ بالشعور أنك ملك.

إنه أمر غريب، لكن إن أردت أن تتواصل مع المزيد من طاقة المُحِب على سبيل المِثال، ولحظات غروب الشمس لا تُثير اهتمامك، عليك فقط أن تذهب وتحاول حقًّا أن ترى الغروب، تعامل كأنه يُعجبك، قل لنفسك: «ما هذا الجمال! هذه الألوان البرتقالية والحمراء، والتحول الخافت من الأزرق للبنفسجي» قد تبدأ بالشعور حقًّا - بالرغم من غرابة الأمر - أنك تجد الغروب جميلًا بالفعل.

إن أردت أن تتواصل مع المزيد من طاقة المُحارب، قد تبدأ بالنهوض من أريكتك من أمام التلفاز، وأن تُرغِم نفسك على الخروج لتركض في الشارع حول المنزل، قد تبدأ تعلم الفنون

القتالية، أو تبدأ في الذهاب للصالة الرياضية، انهض وتحرَّك وخذ موقفًا تعلم أنه ضروري، وقريبًا ستشعر أنك بالفعل تتعامل كمُحارب في جوانب عديدة في حياتك.

إن أردت أن تتواصل مع طاقة الساحر بصورة أكثر فاعلية، في المرة القادمة التي يلجأ إليك أحد ساعيًا لحكمتك، تعامل كأنك لديك فعلًا بعض الحكمة، تعامل كأنك حقًّا لديك شيئًا مُفيدًا لتقوله، أرْغِمْ نفسك لتستمع حقًّا لهذا الشخص، حاوِلْ أن تُنقي عقلك من أجندتك الخاصة وركز بشدة في المُشكلة التي يعرضها أو لك، ثم بعد تفكر حقيقي عميق، قم بإعطاء هذا الشخص كل ما تستطيع من الحكمة التي تعلمتها من تجاربك الحياتية، جميعنا لدينا حكمة أكثر مما نظن.

كلمة أخيرة:

في هذا الكتاب كنا حريصين أن نُساعد الرجال على تحمُّل مسئولية الدمار الذي تُسببه أشكال الذكورة غير الناضجة، في نفس الوقت، من الواضح أن العالم مُكتظ ليس فقط بالرجال غير الناضجين، بل بالفتيات غير الناضجات كذلك، المُستبدات المُستغلات اللواتي يتظاهرن أنهن نساء بالغات، لقد حان الوقت للرجال - خصوصًا للرجال في العالم الغربي

- أن يتوقفوا عن تقبل اللوم بشأن كل ما يعيب العالم اليوم، إن هناك حربًا خاطفة على جنس الرجال، هذه الحرب وصلت للشيطنة الواضحة لجميع الرجال، والافتراء وإهانة الذكورة، بينما في الواقع لا يوجد اختلاف مُتأصِّل في النضوج بين الرجل والمرأة، فما يُصيب الرجال من عدم نضوج يُصيب النساء أيضًا، على سبيل المثال، «الطاغية على كرسي الأطفال» يظهر بكل وضوح أو تظهر بكل وضوح في الرجال والنساء على حدٍّ سواء،

الرجال لا يجب عليهم أبدًا أن يشعروا بالعار من جنسهم لمجرد أنهم رجال، بل يجب أن يُركزوا على تنمية وإنضاج أنفسهم من أجل جنسهم وجنس النساء والعالم أجمع، فالعدو لكلا الجنسين هو ليس الجنس الآخر، بل العظمة الطفولية والانشقاق في النفس الكلية وما يحدث نتيجة ذلك.

كلمة تشجيع أخيرة: أي عملية تحولية - كالحياة نفسها - تتطلب الوقت والجهد، يجب أن نقوم بواجبنا المنزلي من الناحية الواعية، وحين يتم التواصل بطريقة صحيحة مع اللاوعي، فسيستجيب بطاقاته العظيمة لأسئلتنا ولحاجاتنا ولشفاء جراحنا، فالكفاح من أجل النضوج هو إلزام سيكولوجي وأخلاقي وروحاني داخل كل رجل.

«جوزيف كامبل» في كتابه الأخير «الفضاء الخارجي في داخلنا» دعا إلى صحوة عالمية، إلى نوع من المُباشرة البشرية التي تتحول إلى نقطة لمِّ شمل وانتعاش البشرية وإيقاظ حسها تجاه المسئولية والنضوج، المُباشرة - كما تحدثنا عنها - هي في الحقيقة سبيل لاكتشاف «الفضاء الخارجي بداخلنا»، نتمنى أن نُضيف صوتنا أيضًا إلى العديد من الرجال الذين على مدار التاريخ وضد كل الاحتمالات، ومن خلال حياتهم وتعاليمهم، دعوا إلى إيقاف سيادة السيكولوجية الطفولية، وأوقفوا اقتراب النهاية المأساوية للعالم

لو استطاع الرجال المُعاصرون أن يأخذوا على عاتقهم مُهمة مُباشرتهم الخاصة للتحول من الطفولة والصبيانية إلى الذكورة الناضجة، بنفس العزيمة والجدية التي كان يتحلى بها أجدادهم في القبائل البدائية، حينها قد نشهد توقُّف الانهيار ومخاطر بداية النهاية التي يتعرض لها جنسنا البشري في الوقت الحالي.

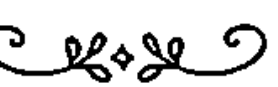

المراجع وقراءات مُختارة

Ethology/Anthropology علم السلوك/علم الإنسان (أنثروبولوجيا

Robert Ardrey "African Genesis"

Robert Ardrey "The Territorial Imperative"

David D. Gilmore "Manhood in the Making: Cultural Concepts of Masculinity"

Jane Goodall "The Chimpanzees of Gombe: Patterns of Behavior"

Victor Turner "The Ritual Process"

Comparative Mythology and Religion الميثولوجيا والأديان

Mircea Eliade "Cosmos and History"

Mircea Eliade "Patterns in Comparative Religion"

Mircea Eliade "The Sacred and the Profane: The

Nature of Religion"

James G. Frazer "The Golden Bough"

Jung **عن كارل يونج**

Joseph Campbell "The Portable Jung"

Edward F. Edinger "Ego and Archetype"

Jolande Jacobi "Complex/Archetype/Symbol in the Psychology of Jung"

Anthony Stevens "Archetypes: a Natural History of the Self"

Boy Psychology **النفسية الطفولية**

Joseph Campbell "The Hero With a Thousand Faces"

William Golding "Lord of the Flies"

Alice Miller "For Your Own Good"

Man Psychology **النفسية الرجولية**

Robert Bly	"Iron John"
Jean Shinoda Bolen	"Gods in Everyman"
Don S Browning	"Generative man: Psychoanalytic Perspectives"
D.W. Winnicott	"Home Is Where We Start From"

King — **الملك**

Henri Frankfort	"Kingship and the Gods"
John Weir Perry	"Lord of the Four Quarters"
John Weir Perry	"Roots of Renewal in Myth and Madness"

Warrior — **المُحارب**

David J. Rogers	"Fighting to Win"
Anthony Stevens	"Roots of War and Terror"

Magician — **الساحر**

Elizabeth M. Butler	"The Myth of the Magus"
John G. Neihardt	"Black Elk Speaks"
Shirley Nicholson	"Shamanism"

Lover	**المُحِب**
Erich Neumann	"Art and the Creative Unconscious"
Walter M. Spink	"The Axis of Eros"

مَلِك .. مُحَارِب .. سَاحِر .. مُحِب

' هذا الكتاب يُعتبر خريطة للرجال، عندما يتم تسجيل التاريخ الفكري لنهاية القرن العشرين، سيحتل تحليل 'موور' لأفكار كارل يونج مكانة عظيمة في هذا التاريخ. يقوم موور و جيليت بإعطاء الرجال أفكار و صور واضحة، وتمارين وأساليب تفكير مُميزة، كلها تُمثل طُرق لمُساعدة الرجال على النضوج النفسي بدون التخلي عن ذكورتهم. '

- جريدة شيكاغو صن تايمز.

' دليل مُحرر عن التحول النفسي الذاتي. '

- مجلة بابلشرز ويكلي.

' يُقدّم الكتاب نظرة مُثيرة حماسية عن الذكورة، ذكورة ليست مبنية على أسس السيطرة، بل مبنية على أسس الإبداع و دعم النفس والأخرين '

- مجلة نيو إيدج.